التراث الروحي

القدّيس أوغسطينس

تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي

*

في الحياة السعيدة

*

في الكذب

نقله إلى العربية

الخورأسقف يوحنا الحلو

دار المشرق - بيروت

التراث الروحي

القدّيس أَوْغسطينُس

تَعليمُ المُبْتَدِئين
أُصُول الدِّين المَسِيحيّ

*

في الحَياة السَّعيدَة

*

في الكَذِب

نَقَلَهُ إلى العَرَبيَّة
الخورأسْقف يوحَنّا الحُلو

دار المشرق - بيروت -

التراث الروحي

القدّيس أوْغسطينُس

تَعليمُ المُبْتَدِئين
أُصُول الدِّين المَسِيحيّ

*

في الحيَاة السّعيدَة

*

في الكَذِبْ

نَقَلَهُ إلى العَرَبيَّة
الخورأسْقف يوحَنّا الحُلو

دار المشرق - بيروت -

كلمة المترجم

تلبية لحاجة ملحّة وتجاوبًا مع رغبة الكثيرين من رسل الكلمة، أقدمتُ على تعريب هذا الكتاب للقدّيس أوغسطينُس، موقنًا أنّ الباحثين عن طريقة مجدية للتبشير سوف يجدون فيه، بدون كبير عناء، ضالّتهم المنشودة ويتّخذون منه عونًا لهم على تخطّي الصعاب التي تعترضهم ويعتمدون سبله الكفيلة بإنجاح مساعيهم الخيّرة.

ولهذا فقد توخّيتُ الأمانة الكلّيّة للفكرة والنصّ والأسلوب، واجتهدتُ في أن أنقل إلى المكتبة الدينيّة العربيّة هذا الكنز الدفين من تراثنا الروحيّ، النابض جدّةً وحياةً وفرحًا على مرّ الزمن. وحسبي أن يُؤتيَ الله، عزّ وجلّ، خادمَه، الشجاعة في قول الحقيقة وإعلانها، بمحبّة وتفان، ويُلهم السامع قبولها والاستمساك بها، حتّى إذا تمَّ السعي واكتمل، تحقّقت الغاية.

صيدا، في العشرين من تمّوز ١٩٧٧

الخوري يوحنّا الحلو

كلمة المترجم

تلبية لحاجة ملحّة وتجاوبًا مع رغبة الكثيرين من رسل الكلمة، أقدمتُ على تعريب هذا الكتاب للقدّيس أوغسطينُس، موقنًا أنّ الباحثين عن طريقة مجدية للتبشير سوف يجدون فيه، بدون كبير عناء، ضالّتهم المنشودة ويتّخذون منه عونًا لهم على تخطّي الصعاب التي تعترضهم ويعتمدون سبله الكفيلة بإنجاح مساعيهم الخيّرة.

ولهذا فقد توخّيتُ الأمانة الكلّيّة للفكرة والنصّ والأسلوب، واجتهدتُ في أن أنقل إلى المكتبة الدينيّة العربيّة هذا الكنز الدفين من تراثنا الروحيّ، النابض جدّةً وحياةً وفرحًا على مرّ الزمن. وحسبي أن يُؤتيَ الله، عزّ وجلّ، خادمَه، الشجاعة في قول الحقيقة وإعلانها، بمحبّة وتفان، ويُلهم السامع قبولها والاستمساك بها، حتّى إذا تمَّ السعي واكتمل، تحقّقت الغاية.

صيدا، في العشرين من تمّوز ١٩٧٧

الخوري يوحنّا الحلو

تعليم المبتدئين
أصول الدين المسيحيّ

المقدّمة

١ - مناسبة الكتاب

تسألني أيّها الأخ شكرالله أن أكتب إليك، بما يفيدك، في تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحيّ، لأنّه يُقدَّمُ إليك، في أغلب الأحيان، في قرطاجة، حيث تخدم، شمّاسًا، طلّاب لكي تثقّفهم في الدين، اعتمادًا على رسوخ إيمانك وحسن كلامك. ومع أنّك قد عُرفتَ بقدرتك على ذلك، فما زلتَ تلقى، أحيانًا كثيرة، صعوباتٍ في إيجاد أسلوب يلائم العقيدة التي تصيِّرنا مسيحيّين، إن قبلناها.

وتسألني، من أين نبدأ بسرد القصّة؟ وإلى أيّ حدّ نتابع سردها؟ وهل لنا أن نضيف إليها إرشادًا، بعد الانتهاء منها، أم نكتفي بإعطاء وصايا، إن حفظها السامع، تعلّمَ منها سرّ الحياة المسيحيّة ودستورها؟ إضافةً إلى ذلك، أنت تُقرّ وتشكو أنّك في أثناء حديثٍ طويل ومملّ، قد يخامرك شعور باحتقار ذاتك والاشمئزاز منها، عوضًا عن أن تعلِّمَ سامعَك والحاضرين الذين يصغون إليك. وإنّي لأراك، بدافعٍ من حاجةٍ ضاغطةٍ لمقاومة هذا الشعور، تُلِحُّ، بما لك عليّ من دالّة، كيلا أستثقل في خضمّ مشاغلي الكثيرة، أن أكتب إليك في موضوع التعليم الدينيّ.

٢ - الرغبة في الخدمة

إنّي مدينٌ، بهذه المحبّة، لك بوجهٍ خاصّ، ولأمِّنا الكنيسة،

يمكن أن تكون مُلْكًا خاصًّا بأمّةٍ من الأمم؛ بل هي وليدة الفكر، كما هو الوجه تعبير عن الجسم بكامله؛ وفي الواقع، مثلًا، إنّ لفظة غضب «ira» في اللاتينيّة هي غيرها في اليونانيّة وفي سواها من لغات الأرض بسبب تباين اللغات. أمّا ملامح الوجه الغضبان فليست خاصّة باللاتين واليونان دون سواهم من شعوب العالم. لأنّ مَن علا وجهَه شعور النفس الغضبى وتبدّلت ملامحه قال الناظرون إليه إنّه غضبان. حقًّا إنّنا لا نستطيع أن نعبِّر أو نكشف للخارج عن الرسوم المحفورة في الذاكرة لنجعلها في متناول إدراك السامعين بشكل أوضح ممّا يعبّر عنه وجه ما لأنّها هي في الباطن، في النفس، وهو في الخارج، في الجسد؛ كما وأنّنا نستطيع أن ندرك التباين القائم بين نبرة الصوت واللمحة الفكريّة الخاطفة لأنّها لا تشبه رسم الذاكرة. وما أكثر ما نتحرّق شوقًا إلى أن نفيد سامعينا فنلقي عليهم خطابًا في وقتٍ نجدُ أنفسنا عاجزين بسبب اضطراب عقلنا؛ فنفشل ونتألّم كما لو قمنا بعملٍ لا فائدة منه، ونصاب بالاشمئزاز الذي يُضفي على خطابِنا مزيدًا من التفاهة والميوعة.

٤ - فرح المعلّم بعطائه ضروريّ لنجاحه

بيد أنّ استمرار الرغبة لدى المستمعين في الإصغاء إليّ لدليل على أنّ خطابي ليس، كما أظنّ، على هذا القدر من التفاهة؛ ومن ثمّ أدرك الفائدة التي يجنونها منه، فأسعى جهدي لكي أضمَنَ لهم هذه الخدمة حيثما أجدُهم يتقبّلون جيّدًا ما أقدّمه لهم. وتلك هي حالك أنت. بما أنّهم يقدّمون إليك غالبًا أناسًا لكي تعلّمَهُم أصول الدين فهذا يعني أنّهم لا ينزعجون من خطابك كما تنزعج أنت. إيّاك أن تعتبر نفسك عديم الفائدة لأنّك لا تتوسّع في أفكارك كما تشتهي

يمكن أن تكون مُلْكًا خاصًّا بأمّةٍ من الأمم؛ بل هي وليدة الفكر، كما هو الوجه تعبير عن الجسم بكامله؛ وفي الواقع، مثلًا، إنّ لفظة غضب «ira» في اللاتينيّة هي غيرها في اليونانيّة وفي سواها من لغات الأرض بسبب تباين اللغات. أمّا ملامح الوجه الغضبان فليست خاصّة باللاتين واليونان دون سواهم من شعوب العالم. لأنّ مَن علا وجهَه شعور النفس الغضبى وتبدّلت ملامحه قال الناظرون إليه إنّه غضبان. حقًّا إنّنا لا نستطيع أن نعبِّر أو نكشف للخارج عن الرسوم المحفورة في الذاكرة لنجعلها في متناول إدراك السامعين بشكل أوضح ممّا يعبّر عنه وجه ما لأنّها هي في الباطن، في النفس، وهو في الخارج، في الجسد؛ كما وأنّنا نستطيع أن ندرك التباين القائم بين نبرة الصوت واللمحة الفكريّة الخاطفة لأنّها لا تشبه رسم الذاكرة. وما أكثر ما نتحرّق شوقًا إلى أن نفيد سامعينا فنلقي عليهم خطابًا في وقتٍ نجدُ أنفسنا عاجزين بسبب اضطراب عقلنا؛ فنفشل ونتألّم كما لو قمنا بعملٍ لا فائدة منه، ونصاب بالاشمئزاز الذي يُضفي على خطابِنا مزيدًا من التفاهة والميوعة.

٤ - فرح المعلّم بعطائه ضروريّ لنجاحه

بيد أنّ استمرار الرغبة لدى المستمعين في الإصغاء إليّ لدليل على أنّ خطابي ليس، كما أظنّ، على هذا القدر من التفاهة؛ ومن ثمّ أدرك الفائدة التي يجنونها منه، فأسعى جهدي لكي أضمَنَ لهم هذه الخدمة حيثما أجدُهم يتقبّلون جيّدًا ما أقدّمه لهم. وتلك هي حالك أنت. بما أنّهم يقدّمون إليك غالبًا أناسًا لكي تعلّمَهُم أصول الدين فهذا يعني أنّهم لا ينزعجون من خطابك كما تنزعج أنت. إيّاك أن تعتبر نفسك عديم الفائدة لأنّك لا تتوسّع في أفكارك كما تشتهي

تصميم الجزء الأوّل

ولهذا سنحاول التبسّط في ما يوحي به الله إلينا بشأن الأسلوب الواجب اتّباعه في القصّة ما دام أنّك ترغب في ذلك؛ على أن ننتقل إلى فنّ إعطاء الوصايا، وإسداء الإرشاد، فالوسائل التي تمكّننا من الغبطة التي ننشدها.

تصميم الجزء الأوّل

ولهذا سنحاول التبسّط في ما يوحي به الله إلينا بشأن الأسلوب الواجب اتّباعه في القصّة ما دام أنّك ترغب في ذلك؛ على أن ننتقل إلى فنّ إعطاء الوصايا، وإسداء الإرشاد، فالوسائل التي تمكّننا من الغبطة التي ننشدها.

الجزء الأوّل

الأسلوب العقيديّ في التعليم الدينيّ

الجزء الأوّل

الأسلوب العقيديّ في التعليم الدينيّ

في إخراج القصّة

٥ - يجب أن تشمل القصّة أهمّ الأحداث في التاريخ الدينيّ

تُعتبر القصّة كاملة، حين ينطلق تعليم الموعوظ من الإصحاح التالي: «في البدء خلق الله السماء والأرض» (**تكوين ١ : ١**) حتّى العصر الحاليّ من تاريخ الكنيسة بدون أن نضطرَّ، إتمامًا لذلك، إلى أن نتلو عن ظهر قلبنا الكتب الخمسة الأوائل وأسفار الملوك والإنجيل وأعمال الرسل كافّة؛ وإن كنّا قد حفظناها كلمة كلمة.

وإذ نسرد القصّة بلغتنا الخاصّة، فليس علينا أن نتبسّط في مضمون تلك الأسفار وشرحه، لأنّ الوقت لا يسمح لنا بذلك، ولا هذا ما تفرضه علينا الضرورة. لكن علينا أن نفقه هذه المجموعة، بوجه عامّ، فنختار، من الأحداث أهمّها لكي يصغي إليها السامع بمزيد من الغبطة، وهي التي قد جرت في عصور التاريخ الرئيسيّة. علينا أن نتجنّب عرضها كما نتصرّف حيال مخطوطات ملفوفة فَنَبسطها بعض الوقت، ثمّ نطويها للحال. لكن علينا أن نسلخ بعضها عن بعض ونفكّكها ونقدّمها إلى عقول السامعين ليتفحّصوها معجبين. أمّا الأحداث الأخرى فنربطها بنسيج القصّة بواسطة لمحة موجزة لتبرز جليّةً واضحة، بعد أن نلقي بكلّ ما سواها إلى الوراء،

في إخراج القصّة

٥ - يجب أن تشمل القصّة أهمّ الأحداث في التاريخ الدينيّ

تُعتبر القصّة كاملة، حين ينطلق تعليم الموعوظ من الإصحاح التالي: «في البدء خلق الله السماء والأرض» (**تكوين ١ : ١**) حتّى العصر الحاليّ من تاريخ الكنيسة بدون أن نضطرَّ، إتمامًا لذلك، إلى أن نتلو عن ظهر قلبنا الكتب الخمسة الأوائل وأسفار الملوك والإنجيل وأعمال الرسل كافّة؛ وإن كنّا قد حفظناها كلمة كلمة.

وإذ نسرد القصّة بلغتنا الخاصّة، فليس علينا أن نتبسّط في مضمون تلك الأسفار وشرحه، لأنّ الوقت لا يسمح لنا بذلك، ولا هذا ما تفرضه علينا الضرورة. لكن علينا أن نفقه هذه المجموعة، بوجه عامّ، فنختار، من الأحداث أهمّها لكي يصغي إليها السامع بمزيد من الغبطة، وهي التي قد جرت في عصور التاريخ الرئيسيّة. علينا أن نتجنّب عرضها كما نتصرّف حيال مخطوطات ملفوفة فَنَبسطها بعض الوقت، ثمّ نطويها للحال. لكن علينا أن نسلخ بعضها عن بعض ونفكّكها ونقدّمها إلى عقول السامعين ليتفحّصوها معجبين. أمّا الأحداث الأخرى فنربطها بنسيج القصّة بواسطة لمحة موجزة لتبرز جليّةً واضحة، بعد أن نلقي بكلّ ما سواها إلى الوراء،

طوال أجيال التاريخ الخمسة يرسل مَن يبشّرون به ويتنبّأون عنه، فإنّ الإنسان الذي أعطيت الشريعة بواسطته قد كتب الكتب الخمسة بالتلاؤم مع ذاك الحدث. إنّ المتكبّرين ذوي التفكير اللحميّ الراغبين في إقامة برّهم (**رومية ١٠ : ٣**) لم ينالوا البركة من يد المسيح المبسوطة، بل وجدوا أنفسهم محرومين منها باليد المقبوضة المغلقة؛ ولهذا قُيّدت أرجلهم فسقطوا أرضًا في حين «نحن قمنا وانتصبنا» (**مزمور ١٩ : ٩**). وبالتالي ووفقًا لما قلتُ سابقًا، ومع أنّ السيّد المسيح قد أرسل أمامه بعضًا من جسده، في الأبرار الذين سبقوا ميلاده فهو، ولا شكّ، رأس الجسد، الكنيسة (**قولسي ١ : ١٨**)، فانضمّ إلى جسده، كلّ مَن كان لهم رأسٌ، وقد آمنوا به وكانوا به يبشّرون؛ ومع أنّهم سبقوه فلم ينقطعوا عنه، بل كوّنوا معه جسدًا واحدًا، عاملين بحسب إرادته. إذا كان إرسال اليد قبل الرأس ممكنًا، فإنّها تبقى في كلّ حركاتها خاضعة للرأس؛ ومن ثمّ «فإنّ كلّ ما كتب إنّما كتب لتعليمنا» (**رومية ١٥ : ٤**) وكان لنا مثلًا «في تلك الكتب كانت الأحداث لنا مثلًا، وكُتِب تنبيهًا لنا نحن الذين قد بلغنا منتهى الأزمنة» (**رومية ١٠ : ١١**).

٧ - المحبّة هي السبب الحتميّ لمجيء المسيح

وأيّ دافع لمجيء المسيح أعظم من هذا، وهو أنّ الله أراد أن يظهر به محبّته لنا وقد جمَّله بأفضل المحاسن؛ لقد كنّا من قبلُ أعداء له، حين مات المسيح عنّا (**رومية ٥ : ٦-٩**). ولهذا، فالمحبّة هي غاية الوصيّة وكمالها؛ فيجب علينا نحن أيضًا أن نحبَّ بعضنا بعضًا، وكما أنّ المسيح بذل نفسه في سبيلنا كذلك علينا نحن أيضًا أن نبذل نفوسنا في سبيل إخوتنا (**١ يو ٣: ١٦**)، أمّا وقد سبق الله

طوال أجيال التاريخ الخمسة يرسل مَن يبشّرون به ويتنبّأون عنه، فإنّ الإنسان الذي أعطيت الشريعة بواسطته قد كتب الكتب الخمسة بالتلاؤم مع ذاك الحدث. إنّ المتكبّرين ذوي التفكير اللحميّ الراغبين في إقامة برّهم (**رومية ١٠ : ٣**) لم ينالوا البركة من يد المسيح المبسوطة، بل وجدوا أنفسهم محرومين منها باليد المقبوضة المغلقة؛ ولهذا قُيّدت أرجلهم فسقطوا أرضًا في حين «نحن قمنا وانتصبنا» (**مزمور ١٩ : ٩**). وبالتالي ووفقًا لما قلتُ سابقًا، ومع أنّ السيّد المسيح قد أرسل أمامه بعضًا من جسده، في الأبرار الذين سبقوا ميلاده فهو، ولا شكّ، رأس الجسد، الكنيسة (**قولسي ١ : ١٨**)، فانضمّ إلى جسده، كلّ مَن كان لهم رأسٌ، وقد آمنوا به وكانوا به يبشّرون؛ ومع أنّهم سبقوه فلم ينقطعوا عنه، بل كوّنوا معه جسدًا واحدًا، عاملين بحسب إرادته. إذا كان إرسال اليد قبل الرأس ممكنًا، فإنّها تبقى في كلّ حركاتها خاضعة للرأس؛ ومن ثمّ «فإنّ كلّ ما كتب إنّما كتب لتعليمنا» (**رومية ١٥ : ٤**) وكان لنا مثلًا «في تلك الكتب كانت الأحداث لنا مثلًا، وكُتِب تنبيهًا لنا نحن الذين قد بلغنا منتهى الأزمنة» (**رومية ١٠ : ١١**).

٧ - المحبّة هي السبب الحتميّ لمجيء المسيح

وأيّ دافع لمجيء المسيح أعظم من هذا، وهو أنّ الله أراد أن يظهر به محبّته لنا وقد جمَّله بأفضل المحاسن؛ لقد كنّا من قبلُ أعداء له، حين مات المسيح عنّا (**رومية ٥ : ٦-٩**). ولهذا، فالمحبّة هي غاية الوصيّة وكمالها؛ فيجب علينا نحن أيضًا أن نحبَّ بعضنا بعضًا، وكما أنّ المسيح بذل نفسه في سبيلنا كذلك علينا نحن أيضًا أن نبذل نفوسنا في سبيل إخوتنا (**١ يو ٣: ١٦**)، أمّا وقد سبق الله

لديهم رغبة في استرضائهم. ما أعظم الحبّ الذي يستولي على مرؤوس يعلم أنّ رئيسه يحبّه. وفي الواقع، أكثر الحبّ قبولًا هو الحبّ الذي لا يحرقه جفاف الفاقة، بل يفيض غزيرًا بغنى الإنسان. فالحبّ الأوّل هو مولود فاقة والثاني مولود رحمة. زد على ذلك، إن كان المرؤوس لا يزال يائسًا من محبّة رئيسه وأظهر له رئيسه تلقائيًّا عظيم محبّته، فسوف يندفع في حبّه إيّاه حبًّا يفوق الوصف؛ وهو الذي لم يجرؤ يومًا أن يَعِدَ نفسه بمثل هذا العطف. وبالتالي، مَن ذا الذي هو أسمى عدلًا من الله في برّه، وأشدّ يأسًا من الإنسان في إثمه؟ فهذا باع نفسه من قوى الكبرياء التي لا تستطيع أن تجعله سعيدًا، فسار تحت نيرها ووصايتها وازداد يأسًا من تلك القدرة التي تأبى أن تتسامى بالشرّ لأنّها سامية بصلاحها.

٨ - الكتب المقدّسة دليل محبّة اللهِ الإنسانَ

وعليه، فإن كان المسيح قد جاء ليعرِّفَ الإنسان، بادئ ذي بدء، بمحبّة الله إيّاه وبواجب الاضطرام حبًّا لمَن سبق فأحبّه، وحبًّا للقريب على مثاله، وعملًا بوصيّته، وهو الذي صار للإنسان قريبًا، وأحبّه يوم كان الإنسان يتيهُ بعيدًا عنه؛ وإذا وُضِع الكتاب الإلهيّ سابقًا ليبشّر بمجيء الربّ قبل أن يتمّ، وإذا كان كلّ ما عُهد به إلى الكتب المقدّسة منذ مجيء الربّ، مثبّتًا بالسلطان الإلهيّ، يحكي عن المسيح ويشدّد على المحبّة، فمن الواضح أن تتعلّق بهاتين الوصيّتين، أي بمحبّة الله والقريب، كلّ الشريعة والأنبياء، (متّى ٢٢: ٤٠)، الكتاب الوحيد المقدّس المعروف حتّى ذلك الوقت الذي أعلن فيه الربّ شريعته، بل وكتب الأسفار الإلهيّة عينها التي وضعت بعدئذ لخلاصنا وعهد بها إلى الخلف. ولهذا نجد في العهد

لديهم رغبة في استرضائهم. ما أعظم الحبّ الذي يستولي على مرؤوس يعلم أنّ رئيسه يحبّه. وفي الواقع، أكثر الحبّ قبولًا هو الحبّ الذي لا يحرقه جفاف الفاقة، بل يفيض غزيرًا بغنى الإنسان. فالحبّ الأوّل هو مولود فاقة والثاني مولود رحمة. زد على ذلك، إن كان المرؤوس لا يزال يائسًا من محبّة رئيسه وأظهر له رئيسه تلقائيًّا عظيم محبّته، فسوف يندفع في حبّه إيّاه حبًّا يفوق الوصف؛ وهو الذي لم يجرؤ يومًا أن يَعِدَ نفسه بمثل هذا العطف. وبالتالي، مَن ذا الذي هو أسمى عدلًا من الله في برّه، وأشدّ يأسًا من الإنسان في إثمه؟ فهذا باع نفسه من قوى الكبرياء التي لا تستطيع أن تجعله سعيدًا، فسار تحت نيرها ووصايتها وازداد يأسًا من تلك القدرة التي تأبى أن تتسامى بالشرّ لأنّها سامية بصلاحها.

٨ - الكتب المقدّسة دليل محبّة اللهِ الإنسانَ

وعليه، فإن كان المسيح قد جاء ليعرِّفَ الإنسان، بادئ ذي بدء، بمحبّة الله إيّاه وبواجب الاضطرام حبًّا لمَن سبق فأحبّه، وحبًّا للقريب على مثاله، وعملًا بوصيّته، وهو الذي صار للإنسان قريبًا، وأحبّه يوم كان الإنسان يتيهُ بعيدًا عنه؛ وإذا وُضِع الكتاب الإلهيّ سابقًا ليبشّر بمجيء الربّ قبل أن يتمّ، وإذا كان كلّ ما عُهد به إلى الكتب المقدّسة منذ مجيء الربّ، مثبّتًا بالسلطان الإلهيّ، يحكي عن المسيح ويشدّد على المحبّة، فمن الواضح أن تتعلّق بهاتين الوصيّتين، أي بمحبّة الله والقريب، كلّ الشريعة والأنبياء، (متّى ٢٢: ٤٠)، الكتاب الوحيد المقدّس المعروف حتّى ذلك الوقت الذي أعلن فيه الربّ شريعته، بل وكتب الأسفار الإلهيّة عينها التي وضعت بعدئذ لخلاصنا وعهد بها إلى الخلف. ولهذا نجد في العهد

ليس الإيمان جسرًا ينحني للمرور، بل هو نفس تؤمن؛ بيد أنّ رحمة الله تتدخّل، بشكلٍ ثابت بواسطة معلّم الدين، وتجعل من الطالب الذي تأثّر بالخطاب، إنسانًا راغبًا حقًّا في ما قد صمَّم على أن يتظاهر به، وما إن تنشأ فيه تلك الرغبة حتّى ينضمّ إلينا. ولكن، متى ينتقل حقًّا إلينا، بالروح، مَن نراه حاضرًا بيننا بالجسد؟ هذا أمر يظلّ خفيًّا علينا؛ لكن يجب ألّا نكفّ عن ترغيبه، ولو لم يفكّر في ذلك، لأنّنا لن نخسر شيئًا. إن كان به ميلٌ إلى الانضمام إلينا ثبّتناه فيه حتّى ولو كنّا نجهل الوقت الذي نشأ فيه ذلك الشعور. وممّا لا شكّ فيه أنّ الاستعلام عن حالته النفسيّة وعن الدوافع التي حملته إلى تعلّم الديانة المسيحيّة، بواسطة مَن يعرفونه، لأمر مفيد جدًّا، حتّى إذا لم نجد مَن ينبئنا عن ذلك، سألناه شخصيًّا، واتّخذنا، من جوابه، مقدّمةً لخطابنا. إن أظهر غير ما يبطن، طلبًا لنعمةٍ أو هربًا من شيء يزعجه، كان حتمًا كذّابًا. وبما أنّه يكذب فلا يجوز أن تتبنّى هذا المبدأ لتفضح كذبه، وكأنّك به واثق. أمّا إن ادّعى بأنّه آتٍ لغاية حسنة، سواء أصادقًا في قوله كان أم لا، فما علينا إلّا أن نثني على قصده، مكتفين بما عبّر عنه في جوابه، ساعين إلى أن نجعله سعيدًا، وصولًا إلى ما يبتغيه. أمّا إذا ظهر منه تفكير يتناقض وما يجب أن يكون في نفس كلّ طالب يتعلّم أصول الدين المسيحيّ، فعلينا أن ننهاه بكلّ أدب ولطف كما ننهى أمّيًّا وجاهلًا ونعلن له ونقيِّم، بدقّةٍ وإيجاز وصوابية، غاية الدين المسيحيّ، من دون أن يكون ذلك على حساب الوقت المعيّن للقصّة ومن دون أن نغامر في فرض القصّة على مَن لم يكن مهيّئًا لها فنجعله الآن راغبًا، عن ضلال أو رياء، في ما لم يكن يريده سابقًا.

ليس الإيمان جسرًا ينحني للمرور، بل هو نفس تؤمن؛ بيد أنّ رحمة الله تتدخّل، بشكلٍ ثابت بواسطة معلّم الدين، وتجعل من الطالب الذي تأثّر بالخطاب، إنسانًا راغبًا حقًّا في ما قد صمَّم على أن يتظاهر به، وما إن تنشأ فيه تلك الرغبة حتّى ينضمّ إلينا. ولكن، متى ينتقل حقًّا إلينا، بالروح، مَن نراه حاضرًا بيننا بالجسد؟ هذا أمر يظلّ خفيًّا علينا؛ لكن يجب ألّا نكفّ عن ترغيبه، ولو لم يفكّر في ذلك، لأنّنا لن نخسر شيئًا. إن كان به ميلٌ إلى الانضمام إلينا ثبّتناه فيه حتّى ولو كنّا نجهل الوقت الذي نشأ فيه ذلك الشعور. وممّا لا شكّ فيه أنّ الاستعلام عن حالته النفسيّة وعن الدوافع التي حملته إلى تعلّم الديانة المسيحيّة، بواسطة مَن يعرفونه، لأمر مفيد جدًّا، حتّى إذا لم نجد مَن ينبئنا عن ذلك، سألناه شخصيًّا، واتّخذنا، من جوابه، مقدّمةً لخطابنا. إن أظهر غير ما يبطن، طلبًا لنعمةٍ أو هربًا من شيء يزعجه، كان حتمًا كذّابًا. وبما أنّه يكذب فلا يجوز أن تتبنّى هذا المبدأ لتفضح كذبه، وكأنّك به واثق. أمّا إن ادّعى بأنّه آتٍ لغاية حسنة، سواء أصادقًا في قوله كان أم لا، فما علينا إلّا أن نثني على قصده، مكتفين بما عبّر عنه في جوابه، ساعين إلى أن نجعله سعيدًا، وصولًا إلى ما يبتغيه. أمّا إذا ظهر منه تفكير يتناقض وما يجب أن يكون في نفس كلّ طالب يتعلّم أصول الدين المسيحيّ، فعلينا أن ننهاه بكلّ أدب ولطف كما ننهى أمّيًّا وجاهلًا ونعلن له ونقيِّم، بدقّةٍ وإيجاز وصوابية، غاية الدين المسيحيّ، من دون أن يكون ذلك على حساب الوقت المعيّن للقصّة ومن دون أن نغامر في فرض القصّة على مَن لم يكن مهيّئًا لها فنجعله الآن راغبًا، عن ضلال أو رياء، في ما لم يكن يريده سابقًا.

القصّة، فيتيه عقلُنا ولسانُنا في نقاش صعب ومعقّد. لكن يجب أن تكون حقيقة التفكير المتّبع خيطًا ذهبيًّا يجمع صفًّا من الحجارة الثمينة من دون أن يعطّل سلسلة الزينة لنقص في القياس.

القصّة، فيتيه عقلُنا ولسانُنا في نقاش صعب ومعقّد. لكن يجب أن تكون حقيقة التفكير المتّبع خيطًا ذهبيًّا يجمع صفًّا من الحجارة الثمينة من دون أن يعطّل سلسلة الزينة لنقص في القياس.

في إسداء النصائح وتوجيه الإرشادات

١١ - شرح العقائد الجوهريّة والمسلك الأدبيّ

لدى انتهائنا من سرد القصّة، علينا أن نبشّر بالقيامة المرجوَّة، وفقًا لأهليّة السامع وطاقاته، وفي إطار الوقت المعطى، يجب أن ندحض ما يوجّهه غير المؤمنين من سخريات واهية، ضدّ بعث الأجساد، وأن نتحدّث عمّا ينتظر الصالحين من خير والطالحين من شرّ في الدينونة الأخيرة. وبعد أن نذكّر بكراهيةٍ وخوف بما سوف ينزل بالأثمة من عقابات، نحيي، بحماسةٍ، ملكوت الأبرار والمؤمنين وتلك المدينة العلويّة الرائعة وما فيها من غبطة وسرور، ثمّ نسلّح الضعف البشريّ بالقوّة ضدّ التجارب والشكوك، سواء أضمن الكنيسة كانت أم خارجها: في الخارج ضدّ الوثنيّين واليهود والهراطقة، وفي الداخل ضدّ تِبْن بيدر الربّ وقشوره؛ وهذا لا يعني أنّه يجب علينا أن ندخل في نقاش ضدّ كلّ فئة من الناس الأشرار وندحض آراءَهم الشرّيرة ببراهين قانونيّة، لكن علينا، وفقًا لما يسمح لنا به الوقت القصير، أن نبرهن بأنّ الكلام قد سبق على تلك الأخطاء، ثمّ نتحدّث عن فائدة التجارب في تثقيف المؤمنين، وعن العلاج الذي نأخذه من طول أناة الله الذي يسمح بمثل تلك التجارب حتّى النهاية.

في إسداء النصائح وتوجيه الإرشادات

١١ - شرح العقائد الجوهريّة والمسلك الأدبيّ

لدى انتهائنا من سرد القصّة، علينا أن نبشّر بالقيامة المرجوَّة، وفقًا لأهليّة السامع وطاقاته، وفي إطار الوقت المعطى، يجب أن ندحض ما يوجّهه غير المؤمنين من سخريات واهية، ضدّ بعث الأجساد، وأن نتحدّث عمّا ينتظر الصالحين من خير والطالحين من شرّ في الدينونة الأخيرة. وبعد أن نذكّر بكراهيةٍ وخوف بما سوف ينزل بالأثمة من عقابات، نحيي، بحماسةٍ، ملكوت الأبرار والمؤمنين وتلك المدينة العلويّة الرائعة وما فيها من غبطة وسرور، ثمّ نسلّح الضعف البشريّ بالقوّة ضدّ التجارب والشكوك، سواء أضمن الكنيسة كانت أم خارجها: في الخارج ضدّ الوثنيّين واليهود والهراطقة، وفي الداخل ضدّ تِبْن بيدر الربّ وقشوره؛ وهذا لا يعني أنّه يجب علينا أن ندخل في نقاش ضدّ كلّ فئة من الناس الأشرار وندحض آراءَهم الشرّيرة ببراهين قانونيّة، لكن علينا، وفقًا لما يسمح لنا به الوقت القصير، أن نبرهن بأنّ الكلام قد سبق على تلك الأخطاء، ثمّ نتحدّث عن فائدة التجارب في تثقيف المؤمنين، وعن العلاج الذي نأخذه من طول أناة الله الذي يسمح بمثل تلك التجارب حتّى النهاية.

تغنيك عن مشورة الناس.

١٢ - أسلوب خاصّ في تعليم المثقّفين

إليك حادثًا يجب التنبّه له: إن جاءك طالب ذو ثقافة عالية حرّة وطلب أن يصير مسيحيًّا وهو عازم حقًّا على ذلك، فمن غير المحتمل ألّا يكون ملمًّا ببعض النصوص من كتبنا وأسفارنا، وقد يتذرّع بهذه المعارف ليشاركنا في أسرارنا. إعتاد أمثال هؤلاء أن يخضعوا لامتحان دقيق قبل أن يصيروا مسيحيّين، وإن أطلعوا مَن استطاعوا إليهم سبيلًا، عن حركاتهم النفسيّة، لكي يتفحّصوها تفحّصًا عميقًا. ولهذا، يجب التحدّث إليهم بإيجاز من دون التشديد، وبإلحاح مزعج، على ما يعرفون؛ بل تلميحًا، وبكلّ فطنة وحذر، كأن نقول لهم مثلًا: نحن مقتنعون بأنّكم تعرفون هذا وذاك... وعلى هذا النحو، نكتفي بأن نستعيد معهم بشكل إجماليّ، الأفكار التي يجب أن نلقّنها الجهّال والأمّيّين، ومن ثمّ حتّى وإن أدرك هذا المثقّف مسألة فلا يستمع إلى شرحها كما لو قام بذلك معلّم، وإن كان يجهل حقيقة أخرى، فليتعلّمها منّا أثناء تلخيصنا الحقائق التي نفترض أنّه يعرفها.

ومن المستحسن أن نسأله عن الأسباب التي تدفعه إلى اعتناق المسيحيّة. فإن كان الدافع إليها ما قرأه في كتبٍ، وضعها مؤلّفون مشهورون أو مفسّرون ضالعون، فمن الضروريّ أن تثني عليها، بادئ ذي بدء، وفقًا للاستحقاقات المتنوّعة التي اعترفت لها بها السلطة، ولما أضفى عليها الشارحون والمفسّرون من دقّة خلّاقة.

في الكتب القانونيّة سلّط الأضواء بنوع خاصّ على الضعة الخلاصيّة في سموّها الرائع. وفي الكتب الأخرى أظهر أهمّيّة

تغنيك عن مشورة الناس.

١٢ - أسلوب خاصّ في تعليم المثقّفين

إليك حادثًا يجب التنبّه له: إن جاءك طالب ذو ثقافة عالية حرّة وطلب أن يصير مسيحيًّا وهو عازم حقًّا على ذلك، فمن غير المحتمل ألّا يكون ملمًّا ببعض النصوص من كتبنا وأسفارنا، وقد يتذرّع بهذه المعارف ليشاركنا في أسرارنا. إعتاد أمثال هؤلاء أن يخضعوا لامتحان دقيق قبل أن يصيروا مسيحيّين، وإن أطلعوا مَن استطاعوا إليهم سبيلًا، عن حركاتهم النفسيّة، لكي يتفحّصوها تفحّصًا عميقًا. ولهذا، يجب التحدّث إليهم بإيجاز من دون التشديد، وبإلحاح مزعج، على ما يعرفون؛ بل تلميحًا، وبكلّ فطنة وحذر، كأن نقول لهم مثلًا: نحن مقتنعون بأنّكم تعرفون هذا وذاك... وعلى هذا النحو، نكتفي بأن نستعيد معهم بشكل إجماليّ، الأفكار التي يجب أن نلقّنها الجهّال والأمّيّين، ومن ثمّ حتّى وإن أدرك هذا المثقّف مسألة فلا يستمع إلى شرحها كما لو قام بذلك معلّم، وإن كان يجهل حقيقة أخرى، فليتعلّمها منّا أثناء تلخيصنا الحقائق التي نفترض أنّه يعرفها.

ومن المستحسن أن نسأله عن الأسباب التي تدفعه إلى اعتناق المسيحيّة. فإن كان الدافع إليها ما قرأه في كتبٍ، وضعها مؤلّفون مشهورون أو مفسّرون ضالعون، فمن الضروريّ أن تثني عليها، بادئ ذي بدء، وفقًا للاستحقاقات المتنوّعة التي اعترفت لها بها السلطة، ولما أضفى عليها الشارحون والمفسّرون من دقّة خلّاقة.

في الكتب القانونيّة سلّط الأضواء بنوع خاصّ على الضعة الخلاصيّة في سموّها الرائع. وفي الكتب الأخرى أظهر أهمّيّة

على حدّ قول الناس، بل كإنسان ذوّاق، عارف بكتب المعلّمين. ولا يجوز أن نقف منه، كمَن له سلطان، حين نريد أن نحذّره من غرور الضلال إلّا إذا ظهر لنا أنّ تواضعه يساعده على القبول به. أمّا سائر الأمور المتعلّقة بالإيمان والأخلاق الواجب سردها وشرحها، وفقًا لقواعد التعليم الصحيح، فيجب عرضها وفقًا للطريقة التي تكلّمنا عليها سابقًا وحصرها ضمن إطار المحبّة السامية. (**١ قور ١٢: ٣١**).

١٣ - أسلوب آخر في تثقيف علماء النحو والخطابة

هنالك طلّاب يأتونك من مدارس النحو والخطابة فلا تجرؤ على أن تصنّفهم مع الأمّيّين، ولا مع المثقّفين ثقافة عالية، وقد مرّنوا عقولهم على دراسة المشاكل الكبيرة. متى جاؤوك، وقد بزّوا سواهم في فنّ الخطابة، وطلبوا أن يصيروا مسيحيّين، علينا أن نوجّه إليهم تحذيرًا أشدّ ممّا استعملناه مع الأمّيّين لكي يتمنطقوا بالتواضع المسيحيّ، وألّا يحتقروا الذين يعرفونهم يتجنّبون مزالق السلوك أكثر من مزالق الكلام، وألّا يغامروا في المقارنة بين صفاء قلب وصفاء لغة، تمرّسوا بها، وتعوّدوا أن يضعوها فوق كلّ شيء.

وعلينا أن نعلّمهم، في بادئ الأمر، أن يفهموا الكتب الإلهيّة لئلّا يحتقروا الكلام بسبب بساطته. فليعتقدوا أنّ كلام الناس وأعمالهم في الكتب المقدّسة المخفيّة وراء حجب لحميّة، يجب أن تؤخذ بمعناها الحرفيّ لكي تُفْهَم، لا أن تتحرَّر من قيودها وتُعرّى من مظاهرها.

أمّا المعنى السرّيّ الذي يسمّي تلك الروايات رموزًا، وأمّا فاعليّة الألغاز الخفيّة الموضوعة لكي تذكي في النفس حبَّ الحقيقة

على حدّ قول الناس، بل كإنسان ذوّاق، عارف بكتب المعلّمين. ولا يجوز أن نقف منه، كمَن له سلطان، حين نريد أن نحذّره من غرور الضلال إلّا إذا ظهر لنا أنّ تواضعه يساعده على القبول به. أمّا سائر الأمور المتعلّقة بالإيمان والأخلاق الواجب سردها وشرحها، وفقًا لقواعد التعليم الصحيح، فيجب عرضها وفقًا للطريقة التي تكلّمنا عليها سابقًا وحصرها ضمن إطار المحبّة السامية. (**١ قور ١٢: ٣١**).

١٣ - أسلوب آخر في تثقيف علماء النحو والخطابة

هنالك طلّاب يأتونك من مدارس النحو والخطابة فلا تجرؤ على أن تصنّفهم مع الأمّيّين، ولا مع المثقّفين ثقافة عالية، وقد مرّنوا عقولهم على دراسة المشاكل الكبيرة. متى جاؤوك، وقد بزّوا سواهم في فنّ الخطابة، وطلبوا أن يصيروا مسيحيّين، علينا أن نوجّه إليهم تحذيرًا أشدّ ممّا استعملناه مع الأمّيّين لكي يتمنطقوا بالتواضع المسيحيّ، وألّا يحتقروا الذين يعرفونهم يتجنّبون مزالق السلوك أكثر من مزالق الكلام، وألّا يغامروا في المقارنة بين صفاء قلب وصفاء لغة، تمرّسوا بها، وتعوّدوا أن يضعوها فوق كلّ شيء.

وعلينا أن نعلّمهم، في بادئ الأمر، أن يفهموا الكتب الإلهيّة لئلّا يحتقروا الكلام بسبب بساطته. فليعتقدوا أنّ كلام الناس وأعمالهم في الكتب المقدّسة المخفيّة وراء حجب لحميّة، يجب أن تؤخذ بمعناها الحرفيّ لكي تُفْهَم، لا أن تتحرَّر من قيودها وتُعرّى من مظاهرها.

أمّا المعنى السرّيّ الذي يسمّي تلك الروايات رموزًا، وأمّا فاعليّة الألغاز الخفيّة الموضوعة لكي تذكي في النفس حبَّ الحقيقة

في الحصول على طيب المزاج

١٤ - مقدّمة

قد تنتظر منّي الآن خطابًا مثاليًّا، أبيِّن لك فيه، بشكل واقعيّ، كيف أضع نصائحي موضع التنفيذ. سأقوم بذلك، بعون الله، وفقًا لما أستطيع. لكن عليَّ أن أحدّثك قبل ذلك، كما وعدتُك، عن حسن المزاج الواجب الحصول عليه، بعد أن وفيتُ بوعدي كفايةً في ما يختصّ بقواعد الخطاب الخاصّ بتثقيف الطالب المرشّح لاعتناق الدين المسيحيّ. حقًّا، ليس لي أن أكتب على هذه الصفحات مقالًا في التعليم المسيحيّ، وإذا كتبته كان من قبيل الفضول. وكيف أقوم بما ليس مطلوبًا قبل أن أفيك ما لك عليّ من ديون؟

في الواقع، ما سمعتُك قطّ تشكو إلّا من أمرٍ واحد، وهو أنّ خطابك يبدو لك تافهًا وسيّئًا حين تحاول أن تعلّم واحدًا أصول الإيمان المسيحيّ، وهذا، على ما أعلم، ليس ناتجًا من موادّ التدريس ذاتها التي حضرتها وسلّحت نفسك بها ولا من ركاكة في خطابك، بل من كراهية في نفسك.

في الحصول على طيب المزاج

١٤ - مقدّمة

قد تنتظر منّي الآن خطابًا مثاليًّا، أبيِّن لك فيه، بشكل واقعيّ، كيف أضع نصائحي موضع التنفيذ. سأقوم بذلك، بعون الله، وفقًا لما أستطيع. لكن عليَّ أن أحدّثك قبل ذلك، كما وعدتُك، عن حسن المزاج الواجب الحصول عليه، بعد أن وفيتُ بوعدي كفايةً في ما يختصّ بقواعد الخطاب الخاصّ بتثقيف الطالب المرشّح لاعتناق الدين المسيحيّ. حقًّا، ليس لي أن أكتب على هذه الصفحات مقالًا في التعليم المسيحيّ، وإذا كتبته كان من قبيل الفضول. وكيف أقوم بما ليس مطلوبًا قبل أن أفيك ما لك عليّ من ديون؟

في الواقع، ما سمعتُك قطّ تشكو إلّا من أمرٍ واحد، وهو أنّ خطابك يبدو لك تافهًا وسيّئًا حين تحاول أن تعلّم واحدًا أصول الإيمان المسيحيّ، وهذا، على ما أعلم، ليس ناتجًا من موادّ التدريس ذاتها التي حضرتها وسلّحت نفسك بها ولا من ركاكة في خطابك، بل من كراهية في نفسك.

أصول الدين المسيحيّ مرشّحًا معيّنًا؛ إذذاك نواجه، بعقل شديد الاضطراب والقلق، عملًا يتطلّب صفاءً كلّيًا، فنتذمّر لعجزنا عن الإبقاء في أعمالنا على النظام الذي وضعناه لأنفسنا، ونضطرّ إلى القيام بجميع ما ألقي على عاتقنا من مهمّات، فنكتئب وينبع خطابنا من صميم حزننا، فلا يروق السامع لأنّ جفاف انحطاطنا يمنع كلامنا من أن يجري سهلًا وفيّاضًا.

وأخيرًا بعض الشكّ فينا يولّد الاشمئزاز، فيشمل الحزن قلبنا حين يقولون لنا: «هلمّ تحدّث إلى هذا الرجل، إنّه يرغب في أن يصير مسيحيًّا»، وهم يجهلون أيّ ألم خفيٍّ يتأكّلنا من الداخل. وإذا لم يُسمح لنا بأن نكشف لهم عن حالتنا النفسيّة، نباشر مكرهين القيام بما طلبوا إلينا، فيأتي خطابنا جافًّا خاليًا من الرونق والجمال لأنّه صدر عن شريان القلب الثائر والمضطرب.

علينا أن نشكر الله ونبحث عن علاجات لهذه الأسباب التي تعكّر صفو فكرنا، لكي نتحرّر من انقباضنا النفسيّ ونفسح مجالًا أمام حماستنا الفكريّة ونجد الغبطة في التفرّغ بسلام إلى مزاولة الأعمال الصالحة «لأنّ الله يحبّ المعطي الفرحان» (**٢ قور ٩ : ٧**).

١٥ - علاج النوع الأوّل من الاشمئزاز

إن كان حزننا ناتجًا من عدم فهم السامع فكرتنا، فمن واجبنا أن ننزل نوعًا من ذرى فكرنا، ونتباطأ في لفظ المقاطع التي تكون دون مستوى تفكيرنا بدرجات، ونعنى في أن نتلفّظ بفمنا اللحميّ بأساليب طويلة ومتعرّجة، ما نستطيع، وما وعاه، بسرعة، عقلنا. وبما أنّ أفكارنا الكامنة فينا تختلف كثيرًا عمّا يصدر عنّا من ألفاظ، نصاب بالاشمئزاز ونختار الصمت، إذذاك علينا أن نتأمّل القاعدة

أصول الدين المسيحيّ مرشّحًا معيّنًا؛ إذذاك نواجه، بعقل شديد الاضطراب والقلق، عملًا يتطلّب صفاءً كلّيًا، فنتذمّر لعجزنا عن الإبقاء في أعمالنا على النظام الذي وضعناه لأنفسنا، ونضطرّ إلى القيام بجميع ما ألقي على عاتقنا من مهمّات، فنكتئب وينبع خطابنا من صميم حزننا، فلا يروق السامع لأنّ جفاف انحطاطنا يمنع كلامنا من أن يجري سهلًا وفيّاضًا.

وأخيرًا بعض الشكّ فينا يولّد الاشمئزاز، فيشمل الحزن قلبنا حين يقولون لنا: «هلمّ تحدّث إلى هذا الرجل، إنّه يرغب في أن يصير مسيحيًّا»، وهم يجهلون أيّ ألم خفيٍّ يتأكّلنا من الداخل. وإذا لم يُسمح لنا بأن نكشف لهم عن حالتنا النفسيّة، نباشر مكرهين القيام بما طلبوا إلينا، فيأتي خطابنا جافًّا خاليًا من الرونق والجمال لأنّه صدر عن شريان القلب الثائر والمضطرب.

علينا أن نشكر الله ونبحث عن علاجات لهذه الأسباب التي تعكّر صفو فكرنا، لكي نتحرّر من انقباضنا النفسيّ ونفسح مجالًا أمام حماستنا الفكريّة ونجد الغبطة في التفرّغ بسلام إلى مزاولة الأعمال الصالحة «لأنّ الله يحبّ المعطي الفرحان» (**٢ قور ٩ : ٧**).

١٥ - علاج النوع الأوّل من الاشمئزاز

إن كان حزننا ناتجًا من عدم فهم السامع فكرتنا، فمن واجبنا أن ننزل نوعًا من ذرى فكرنا، ونتباطأ في لفظ المقاطع التي تكون دون مستوى تفكيرنا بدرجات، ونعنى في أن نتلفّظ بفمنا اللحميّ بأساليب طويلة ومتعرّجة، ما نستطيع، وما وعاه، بسرعة، عقلنا. وبما أنّ أفكارنا الكامنة فينا تختلف كثيرًا عمّا يصدر عنّا من ألفاظ، نصاب بالاشمئزاز ونختار الصمت، إذذاك علينا أن نتأمّل القاعدة

١٦ - علاج النوع الثاني

إنّ فضّلنا مطالعة خطبٍ تفوق خطبنا إتقانًا في أسلوبها، ورغبنا في سماعها، وكرهنا أن نتكلّم من وحي الساعة، جاهلين ما سوف تكون النتيجة، علينا آنذاك أن نلزم الحقيقة في تفكيرنا. وإن أزعج تعبيرٌ لنا أحد السامعين، اغتنمناها فرصةً سانحةً لكي نُفهمه، أن لا قيمة للألفاظ المستعملة حين يدرك المعنى، ولو كانت الكلمات بحاجة إلى مزيد من الصفاء والصحّة شرط أن تكون الفكرة مفهومة. ويصحّ العكس إن ابتعدنا عن الحقيقة في تفكيرنا، بسبب الضعف البشريّ، ويصعب جدًّا حدوث هذا النوع من الاشمئزاز في تعليم المبتدئين، بحيث يجب اتّباع أسلوب معروف جيّدًا. ولكن إن انزعج سامع فلنعتبر ذلك تجربة من الله الذي يريد أن يعرف إن كنّا حقًّا قادرين على تحمّل الإصلاح، بروح طيّبة، بدلًا من الإسراع في الدفاع عن ضلالنا بضلال أعظم. أمّا إن لم يُبدِ لنا أحد أيّة ملاحظة، ولم ننتبه نحن وسامعونا للخطأ الذي ارتكبناه، فلا نحزن شرط ألّا نقع فيه ثانية. وفي أغلب الأحيان نستعرض كلماتنا فنجد فيها ما يستحقّ اللوم، ولا ندري كيف قبل بها السامعون ساعة قلناها. وكلّما ازددنا محبّة ازددنا غمًّا، لأنّ الخطأ الذي ارتكبناه قد قُبِل بطيبة خاطر. ولهذا عندما تسنح الفرصة، وكما انتقدنا أنفسنا سرًّا، علينا أن نصلح الذين سقطوا عن جهل في خطأ كلاميّ صادر عنّا وليس عن الله. وبالعكس فإن كان بعضهم ممَّن أعماهم الحسد الأحمق «مغتالين، نمّامين، أعداء الله» (**رومية ١ : ٣٠**) يفرحون بما نحن فيه من ضلال، فلنتسلّح تجاههم بالصبر والرحمة لأنّ الربّ يسيّرهم بطول أناه إلى التوبة. وهل أدعى إلى الكراهية وتكديس الغضب ليوم الغضب «وإظهار حكم الله العادل» (**رومية ٢ : ٤-٥**)

١٦ - علاج النوع الثاني

إنّ فضّلنا مطالعة خطبٍ تفوق خطبنا إتقانًا في أسلوبها، ورغبنا في سماعها، وكرهنا أن نتكلّم من وحي الساعة، جاهلين ما سوف تكون النتيجة، علينا آنذاك أن نلزم الحقيقة في تفكيرنا. وإن أزعج تعبيرٌ لنا أحد السامعين، اغتنمناها فرصةً سانحةً لكي نُفهمه، أن لا قيمة للألفاظ المستعملة حين يدرك المعنى، ولو كانت الكلمات بحاجة إلى مزيد من الصفاء والصحّة شرط أن تكون الفكرة مفهومة. ويصحّ العكس إن ابتعدنا عن الحقيقة في تفكيرنا، بسبب الضعف البشريّ، ويصعب جدًّا حدوث هذا النوع من الاشمئزاز في تعليم المبتدئين، بحيث يجب اتّباع أسلوب معروف جيّدًا. ولكن إن انزعج سامع فلنعتبر ذلك تجربة من الله الذي يريد أن يعرف إن كنّا حقًّا قادرين على تحمّل الإصلاح، بروح طيّبة، بدلًا من الإسراع في الدفاع عن ضلالنا بضلال أعظم. أمّا إن لم يُبدِ لنا أحد أيّة ملاحظة، ولم ننتبه نحن وسامعونا للخطأ الذي ارتكبناه، فلا نحزن شرط ألّا نقع فيه ثانية. وفي أغلب الأحيان نستعرض كلماتنا فنجد فيها ما يستحقّ اللوم، ولا ندري كيف قبل بها السامعون ساعة قلناها. وكلّما ازددنا محبّة ازددنا غمًّا، لأنّ الخطأ الذي ارتكبناه قد قُبِل بطيبة خاطر. ولهذا عندما تسنح الفرصة، وكما انتقدنا أنفسنا سرًّا، علينا أن نصلح الذين سقطوا عن جهل في خطأ كلاميّ صادر عنّا وليس عن الله. وبالعكس فإن كان بعضهم ممَّن أعماهم الحسد الأحمق «مغتالين، نمّامين، أعداء الله» (**رومية ١ : ٣٠**) يفرحون بما نحن فيه من ضلال، فلنتسلّح تجاههم بالصبر والرحمة لأنّ الربّ يسيّرهم بطول أناه إلى التوبة. وهل أدعى إلى الكراهية وتكديس الغضب ليوم الغضب «وإظهار حكم الله العادل» (**رومية ٢ : ٤-٥**)

ووفقًا لقدرتنا. بفضل ذلك، «فالله يسخِّر كلّ شيء لخير الذين يحبّونه» (رومية ٨: ٢٨).

١٧ - علاج النوع الثالث من الاشمئزاز

ومن جهة أخرى، إنّنا نكره أن نجترّ معلومات قديمة موضوعة للصغار. علينا أن نضعها على مستوى سامعينا، بما لدينا من حبّ أخويّ وأبويّ، وما دمنا لا نكوّن إلّا شخصًا واحدًا مع قلبهم فسوف يظهر القديم جديدًا في نظرنا أيضًا. إنّ قدرة التجانس تتعاظم بين الذين يستمعون إلينا فيتأثّرون بنا، ونحن الذين نتحدّث إليهم حتّى نقيم فيهم ويقيموا فينا. ومن ثمّ يقولون فينا ما يسمعون منّا ونتعلّم منهم، نوعًا ما، ما نعلّمهم إيّاه. أليس هذا ما يحدث لنا غالبًا حين ندلّ أناسًا على مناظر جميلة ورائعة، ما رأوها قطّ في المدن والأرياف، حيث كنّا نمرّ غير مكترثين لها لكثرة ما نراها؟ ألا يتجدّد فرحنا كلّما تجدّد فرحهم؟ وبقدر ما تتوثّق أواصر الصداقة بيننا يتعاظم هذا الفرح؛ وبقدر ما نترابط بالمحبّة يتجدّد القديم في نظرنا أيضًا.

إن أحرزنا بعض التقدّم في حياة التأمّل والصلاة فلسنا نبتغي من أصدقائنا أن يفرحوا ويبتهجوا بما يعلمه الناس، بل نطلب إليهم أن يسْموا إلى الفنّان الأكبر ليعرفوه، وإلى الله ليعبدوه، وإلى خالق الكون ليسبِّحوه، الذي هو المحبّة بالذات، التي لا نجد أخصب منها. وإذ نرى الناس يؤمّون مدرسة الله الذي هو الغاية من كلّ ما يجب حفظه، نغتبط كثيرًا. وبينما نجدّدهم نتجدّد نحن أيضًا، حتّى إذا كانت عظتُنا المألوفة باردة واحتكّت بأولئك السامعين ازدادت حرارة، فضلًا عن تلك الغبطة التي تستولي علينا حين نرى بالفكر والتأمّل الإنسان ينتقل من موت الضلال إلى حياة الإيمان. إن كنّا

ووفقًا لقدرتنا. بفضل ذلك، «فالله يسخِّر كلّ شيء لخير الذين يحبّونه» (رومية ٨: ٢٨).

١٧ - علاج النوع الثالث من الاشمئزاز

ومن جهة أخرى، إنّنا نكره أن نجترّ معلومات قديمة موضوعة للصغار. علينا أن نضعها على مستوى سامعينا، بما لدينا من حبّ أخويّ وأبويّ، وما دمنا لا نكوّن إلّا شخصًا واحدًا مع قلبهم فسوف يظهر القديم جديدًا في نظرنا أيضًا. إنّ قدرة التجانس تتعاظم بين الذين يستمعون إلينا فيتأثّرون بنا، ونحن الذين نتحدّث إليهم حتّى نقيم فيهم ويقيموا فينا. ومن ثمّ يقولون فينا ما يسمعون منّا ونتعلّم منهم، نوعًا ما، ما نعلّمهم إيّاه. أليس هذا ما يحدث لنا غالبًا حين ندلّ أناسًا على مناظر جميلة ورائعة، ما رأوها قطّ في المدن والأرياف، حيث كنّا نمرّ غير مكترثين لها لكثرة ما نراها؟ ألا يتجدّد فرحنا كلّما تجدّد فرحهم؟ وبقدر ما تتوثّق أواصر الصداقة بيننا يتعاظم هذا الفرح؛ وبقدر ما نترابط بالمحبّة يتجدّد القديم في نظرنا أيضًا.

إن أحرزنا بعض التقدّم في حياة التأمّل والصلاة فلسنا نبتغي من أصدقائنا أن يفرحوا ويبتهجوا بما يعلمه الناس، بل نطلب إليهم أن يسْموا إلى الفنّان الأكبر ليعرفوه، وإلى الله ليعبدوه، وإلى خالق الكون ليسبِّحوه، الذي هو المحبّة بالذات، التي لا نجد أخصب منها. وإذ نرى الناس يؤمّون مدرسة الله الذي هو الغاية من كلّ ما يجب حفظه، نغتبط كثيرًا. وبينما نجدّدهم نتجدّد نحن أيضًا، حتّى إذا كانت عظتُنا المألوفة باردة واحتكّت بأولئك السامعين ازدادت حرارة، فضلًا عن تلك الغبطة التي تستولي علينا حين نرى بالفكر والتأمّل الإنسان ينتقل من موت الضلال إلى حياة الإيمان. إن كنّا

التفكير ولم ينسجم مع هذا النوع من العذوبة، فيجب أن نتحمَّله بشفقة ونقدِّم إليه موجزًا للمسائل الأخرى وللحقائق الأشدّ ضرورة، كالوحدة الكاثوليكيّة والتجارب والحياة المسيحيّة، رغبة في أن نعطيه فكرة مخيفة عن الدينونة المقبلة، علمًا بأنّ هناك عدّة أمور يجب أن تقال عنه لله، أكثر ممّا يقال له عن الله.

وقد يتعب مستمعٌ من الإصغاء أو من الوقوف بعد أن كان يصغي فرحًا، فيفتح فاه، لا لكي يسبّح بل لكي يتثاءب، مظهرًا بذلك، رغمًا عنه، رغبةً في الذهاب. للحال، علينا أن ننشِّط عقله بما نقدّمه إليه من عروض مطيّبة، وبغبطة تلائم الموضوع المطروح للبحث؛ ثمّ بما نقصّ عليه من أخبار، عجيبة، مذهلة، تدفع به إلى البكاء والنحيب. والأفضل أن تكون الأخبار متّصلة به شخصيًّا لكي يظلّ يقظًا، تحت تأثير المنفعة الخاصّة، شرط ألّا تجرح تحفّظه بما فيها من خشونة، بل تكتسبه إلى التعاطف معها بما لها من دالّة. ويمكننا أن نساعده كأن ندعوه مثلًا إلى الجلوس، مع أنّه يُفضَّل للإنسان، بدون شكّ، في أن يصغي جالسًا حيث يمكن تحقيق ذلك بدون إزعاج. إنّ بعض الكنائس، وراء البحار، قد اتّخذت موقفًا أكثر فطنة وحكمة، إذ يتحدّث فيها الكاهن إلى الشعب جلوسًا والشعب يستمع جلوسًا، موفّرين على مَن كان ضعيف البنية، تَعِبًا من الوقوف، تشتيت الفكر أو الذهاب الاضطراريّ. لكنّ الفرق عظيم بين مسيحيٍّ قد اتّحد بالكنيسة في شركة الأسرار يغادر اجتماعًا كبيرًا، تجديدًا لقواه، وآخر يستعدّ لقبول الأسرار الأولى فينسحب من الاجتماع (وهو يضطرّ إلى ذلك اضطرارًا لئلّا يسقط نتيجة لكبوة باطنيّة) من دون أن يُفصح، حياءً، عن سبب ذهابه، علمًا بأنّ الضعف الذي استولى عليه هو الذي منعه من البقاء واقفًا.

التفكير ولم ينسجم مع هذا النوع من العذوبة، فيجب أن نتحمَّله بشفقة ونقدِّم إليه موجزًا للمسائل الأخرى وللحقائق الأشدّ ضرورة، كالوحدة الكاثوليكيّة والتجارب والحياة المسيحيّة، رغبة في أن نعطيه فكرة مخيفة عن الدينونة المقبلة، علمًا بأنّ هناك عدّة أمور يجب أن تقال عنه لله، أكثر ممّا يقال له عن الله.

وقد يتعب مستمعٌ من الإصغاء أو من الوقوف بعد أن كان يصغي فرحًا، فيفتح فاه، لا لكي يسبّح بل لكي يتثاءب، مظهرًا بذلك، رغمًا عنه، رغبةً في الذهاب. للحال، علينا أن ننشِّط عقله بما نقدّمه إليه من عروض مطيّبة، وبغبطة تلائم الموضوع المطروح للبحث؛ ثمّ بما نقصّ عليه من أخبار، عجيبة، مذهلة، تدفع به إلى البكاء والنحيب. والأفضل أن تكون الأخبار متّصلة به شخصيًّا لكي يظلّ يقظًا، تحت تأثير المنفعة الخاصّة، شرط ألّا تجرح تحفّظه بما فيها من خشونة، بل تكتسبه إلى التعاطف معها بما لها من دالّة. ويمكننا أن نساعده كأن ندعوه مثلًا إلى الجلوس، مع أنّه يُفضَّل للإنسان، بدون شكّ، في أن يصغي جالسًا حيث يمكن تحقيق ذلك بدون إزعاج. إنّ بعض الكنائس، وراء البحار، قد اتّخذت موقفًا أكثر فطنة وحكمة، إذ يتحدّث فيها الكاهن إلى الشعب جلوسًا والشعب يستمع جلوسًا، موفّرين على مَن كان ضعيف البنية، تَعِبًا من الوقوف، تشتيت الفكر أو الذهاب الاضطراريّ. لكنّ الفرق عظيم بين مسيحيٍّ قد اتّحد بالكنيسة في شركة الأسرار يغادر اجتماعًا كبيرًا، تجديدًا لقواه، وآخر يستعدّ لقبول الأسرار الأولى فينسحب من الاجتماع (وهو يضطرّ إلى ذلك اضطرارًا لئلّا يسقط نتيجة لكبوة باطنيّة) من دون أن يُفصح، حياءً، عن سبب ذهابه، علمًا بأنّ الضعف الذي استولى عليه هو الذي منعه من البقاء واقفًا.

استطرادًا، لئلّا نزيد من خطورة داء الاشمئزاز بواسطة الدواء الذي اتّخذناه علاجًا، ولنبسط الموضوع بسرعة، واعدين بقرب النهاية، وافين بالوعد.

١٩ - علاج النوع الخامس

إن تخلّيتَ، في سبيل التعليم المسيحيّ، مرغمًا، عن عمل آخر تعتبره أهمّ، جاء تعليمك خاليًا من التشويق بسبب كآبتك. فلنلزم جانب التحفّظ: في علاقاتنا بالناس يجب أن نتحلّى بالرحمة، ونمارس أصفى أنواع المحبّة، إذذاك نفكّر في أنّنا لا ندري تمامًا ما هو العمل الذي يحسن القيام به أو ذاك الذي يفضّل التوقّف عنه إلى حين أو إلى الأبد. وإذ كنّا نجهل، في الواقع، ما هي عند الله استحقاقات الناس الذين نعمل من أجلهم، يخامرنا شكّ ضعيف وغامض، نتفحّصه جدّيًا لنعرف الأجدى والأنفع لهم في ظرف معيّن. أجل، إذذاك علينا أن نضبط جيّدًا نظام أعمالنا بحسب إمكانيّاتنا، حتّى إذا نفّذناها وفقًا لما صمّم لها، فرحنا وابتهجنا، لا لأنّ ما أتيناه يروقنا، بل لأنّه يروق الله. أمّا إن طرأ على ذاك التصميم ما يشوّشه، فخضعنا راضين لإرادة الله وكأنّها إرادتنا. ومن الأصحّ أن ننقاد لإرادته، لا أن يخضع هو لإرادتنا. إنّ النظام الذي نحتفظ به أحرارًا في أعمالنا جدير حقًّا بالقبول، ولا سيّما إن أخضعنا فيه أعمالنا لما هو أسمى منها. ولِمَ، نحن معشر الناس، نكتئب لأنّ السيّد هو أسمى منّا، ونتوق إلى أن نخرق نظامًا له، حبًّا بنظامنا؟

في الواقع، إنّ الإنسان المنظّم دومًا أعمالَه، المستعدّ لأن يتخلّى عن عمل تحرّمه القدرة الإلهيّة، لأفضل ممَّن يتوق إلى تنفيذ

استطرادًا، لئلّا نزيد من خطورة داء الاشمئزاز بواسطة الدواء الذي اتّخذناه علاجًا، ولنبسط الموضوع بسرعة، واعدين بقرب النهاية، وافين بالوعد.

١٩ - علاج النوع الخامس

إن تخلّيتَ، في سبيل التعليم المسيحيّ، مرغمًا، عن عمل آخر تعتبره أهمّ، جاء تعليمك خاليًا من التشويق بسبب كآبتك. فلنلزم جانب التحفّظ: في علاقاتنا بالناس يجب أن نتحلّى بالرحمة، ونمارس أصفى أنواع المحبّة، إذذاك نفكّر في أنّنا لا ندري تمامًا ما هو العمل الذي يحسن القيام به أو ذاك الذي يفضّل التوقّف عنه إلى حين أو إلى الأبد. وإذ كنّا نجهل، في الواقع، ما هي عند الله استحقاقات الناس الذين نعمل من أجلهم، يخامرنا شكّ ضعيف وغامض، نتفحّصه جدّيًا لنعرف الأجدى والأنفع لهم في ظرف معيّن. أجل، إذذاك علينا أن نضبط جيّدًا نظام أعمالنا بحسب إمكانيّاتنا، حتّى إذا نفّذناها وفقًا لما صمّم لها، فرحنا وابتهجنا، لا لأنّ ما أتيناه يروقنا، بل لأنّه يروق الله. أمّا إن طرأ على ذاك التصميم ما يشوّشه، فخضعنا راضين لإرادة الله وكأنّها إرادتنا. ومن الأصحّ أن ننقاد لإرادته، لا أن يخضع هو لإرادتنا. إنّ النظام الذي نحتفظ به أحرارًا في أعمالنا جدير حقًّا بالقبول، ولا سيّما إن أخضعنا فيه أعمالنا لما هو أسمى منها. ولِمَ، نحن معشر الناس، نكتئب لأنّ السيّد هو أسمى منّا، ونتوق إلى أن نخرق نظامًا له، حبًّا بنظامنا؟

في الواقع، إنّ الإنسان المنظّم دومًا أعمالَه، المستعدّ لأن يتخلّى عن عمل تحرّمه القدرة الإلهيّة، لأفضل ممَّن يتوق إلى تنفيذ

اضطرابنا النفسيّ مناسبةً لا تمرّ من دون أن تؤتي ثمارها.

إن سقطنا في ضلال أو ارتكبنا خطيئةً شخصيّةً، فلنذكر أنّ الله «يرضى بالقلب المنسحق» (**مزمور ٥٠: ٩**). ولنذكر أيضًا «أنّ الصدقة تكفّر الخطايا كما أنّ الماء يطفئ النار» (**يسوع بن سيراخ ٣: ٣٣**) وأنّه قد قيل: «إنّي أريدُ رحمةً لا ذبيحة» (**هوشع ٦: ٦**).

إن تعرّضنا لخطر الحريق أسرعنا حالًا إلى الماء وشكرنا الجار الذي حمله إلينا. وتلك هي حالنا متى انبعث لهيب الخطيئة من قشّنا. نقلق حقًّا، ولكن علينا أن نفرح في مناسبة أعطيناها لنقوم بعمل رحمة، وكأنّه ينبوع لإطفاء الحريق الذي اشتعل، إلّا إذا جنّ جنوننا واندفعنا نملأ بطن جائع بكسرة خبز، لاعتقادنا بأنّ هذا العمل هو أشدّ إلحاحًا علينا من تثقيف عقل بكلمة الله، طعامه الوحيد. فضلًا عن ذلك، لو افترضنا أنّ عملنا هذا محصور الفائدة واستغنينا عنه من دون ضرر، فقد يكون وبالًا علينا احتقارنا الدواء الواقي من الخطر الذي لا يهدّد خلاص القريب وحسب، بل خلاصنا أيضًا.

ولكن، بما أنّ صوت الربّ يدوّي مهدّدًا قائلًا: «يا عبد السوء الكسلان كان يلزمك أن تضع مالي عند الصيارفة» (**متّى ٢٥: ٢٦-٢٧**) فكم يكون جنوننا في النهاية فظيعًا لو أردنا أن نخطأ مجدَّدًا بحجّة أنّ الخطيئة تعذّبنا، وأبينا أن نعطي مال الربّ الإنسان الذي يطلبه ويريده؟

بعد أن تتبدّد ظلمات الاشمئزاز بتلك الأفكار والتأمّلات، يصبح العقل جاهزًا للتعليم المسيحيّ، فيستوعب بشوق ما يتدفّق بسرعة وفرح من مركز المحبّة الفيّاض، لأنّي لستُ أنا القائل لك،

اضطرابنا النفسيّ مناسبةً لا تمرّ من دون أن تؤتي ثمارها.

إن سقطنا في ضلال أو ارتكبنا خطيئةً شخصيّةً، فلنذكر أنّ الله «يرضى بالقلب المنسحق» (**مزمور ٥٠: ٩**). ولنذكر أيضًا «أنّ الصدقة تكفّر الخطايا كما أنّ الماء يطفئ النار» (**يسوع بن سيراخ ٣: ٣٣**) وأنّه قد قيل: «إنّي أريدُ رحمةً لا ذبيحة» (**هوشع ٦: ٦**).

إن تعرّضنا لخطر الحريق أسرعنا حالًا إلى الماء وشكرنا الجار الذي حمله إلينا. وتلك هي حالنا متى انبعث لهيب الخطيئة من قشّنا. نقلق حقًّا، ولكن علينا أن نفرح في مناسبة أعطيناها لنقوم بعمل رحمة، وكأنّه ينبوع لإطفاء الحريق الذي اشتعل، إلّا إذا جنّ جنوننا واندفعنا نملأ بطن جائع بكسرة خبز، لاعتقادنا بأنّ هذا العمل هو أشدّ إلحاحًا علينا من تثقيف عقل بكلمة الله، طعامه الوحيد. فضلًا عن ذلك، لو افترضنا أنّ عملنا هذا محصور الفائدة واستغنينا عنه من دون ضرر، فقد يكون وبالًا علينا احتقارنا الدواء الواقي من الخطر الذي لا يهدّد خلاص القريب وحسب، بل خلاصنا أيضًا.

ولكن، بما أنّ صوت الربّ يدوّي مهدّدًا قائلًا: «يا عبد السوء الكسلان كان يلزمك أن تضع مالي عند الصيارفة» (**متّى ٢٥: ٢٦-٢٧**) فكم يكون جنوننا في النهاية فظيعًا لو أردنا أن نخطأ مجدَّدًا بحجّة أنّ الخطيئة تعذّبنا، وأبينا أن نعطي مال الربّ الإنسان الذي يطلبه ويريده؟

بعد أن تتبدّد ظلمات الاشمئزاز بتلك الأفكار والتأمّلات، يصبح العقل جاهزًا للتعليم المسيحيّ، فيستوعب بشوق ما يتدفّق بسرعة وفرح من مركز المحبّة الفيّاض، لأنّي لستُ أنا القائل لك،

الجزء الثاني

الأسلوب العلميّ في التعليم الدينيّ

الجزء الثاني

الأسلوب العلميّ في التعليم الدينيّ

نموذج عن الخطاب الطويل

قد تسألني الآن ما لم يكن لك حقّ فيه عليّ، قبل أن أعدك به، إذا كنتُ أقبل بأن أتوسّع في موضوع مثاليّ، أقدّمه إليك، وكأنّي، أنا، أعلّم إنسانًا آخر، التعليم المسيحيّ.

لكن، وقبل أن أفي بوعدي، إليك الملاحظة التالية: تختلف نيّة مَن يملي موضوعًا على سواه، وهو يفكّر فيمن سوف يقرأه في المستقبل، عن نيّة مَن يتحدّث إلى مستمع يصغي الساعة إليه. وفي هذه الحال يختلف التعليم الذين يعطى في الخفية، من دون أيّ شاهد ومراقب، عن التعليم الذي يُعطى علنًا أمام جمهور متباين المشارب والآراء. وهنا أيضًا يختلف الحديث الذي نعلّم به شخصًا واحدًا أمام آخرين يحترمون الحقائق التي يعرفونها ويركّزون عليها، عن الحديث الذي ندلي به أمام مجموعة من الناس يترقّبون ما سوف نقول لهم. وفي هذه الحال أيضًا يختلف الحديث حين يجلس المستمعون كما في عائلة، ويشتركون في تبادل الأفكار عمّا يقال لطائفة من الناس يلزمون الصمت، ويسمّرون عيونهم على الخطيب الذي يتكلّم على المنبر. وإنّه لفرق كبير بين أن يكون المستمعون كثرة أو قلّة، وأن يكونوا مثقّفين أو أمّيّين أو خليطًا من الفئتين، وأن يكونوا سكّان مدن أو سكّان أرياف أو من الفئتين معًا، وأن ينتموا

نموذج عن الخطاب الطويل

قد تسألني الآن ما لم يكن لك حقّ فيه عليّ، قبل أن أعدك به، إذا كنتُ أقبل بأن أتوسّع في موضوع مثاليّ، أقدّمه إليك، وكأنّي، أنا، أعلّم إنسانًا آخر، التعليم المسيحيّ.

لكن، وقبل أن أفي بوعدي، إليك الملاحظة التالية: تختلف نيّة مَن يملي موضوعًا على سواه، وهو يفكّر فيمن سوف يقرأه في المستقبل، عن نيّة مَن يتحدّث إلى مستمع يصغي الساعة إليه. وفي هذه الحال يختلف التعليم الذين يعطى في الخفية، من دون أيّ شاهد ومراقب، عن التعليم الذي يُعطى علنًا أمام جمهور متباين المشارب والآراء. وهنا أيضًا يختلف الحديث الذي نعلّم به شخصًا واحدًا أمام آخرين يحترمون الحقائق التي يعرفونها ويركّزون عليها، عن الحديث الذي ندلي به أمام مجموعة من الناس يترقّبون ما سوف نقول لهم. وفي هذه الحال أيضًا يختلف الحديث حين يجلس المستمعون كما في عائلة، ويشتركون في تبادل الأفكار عمّا يقال لطائفة من الناس يلزمون الصمت، ويسمّرون عيونهم على الخطيب الذي يتكلّم على المنبر. وإنّه لفرق كبير بين أن يكون المستمعون كثرة أو قلّة، وأن يكونوا مثقّفين أو أمّيّين أو خليطًا من الفئتين، وأن يكونوا سكّان مدن أو سكّان أرياف أو من الفئتين معًا، وأن ينتموا

توجيهات متنوّعة

أ - لنفرض أنّ ما جاءنا ليصير مسيحيًّا ينتمي بكلّ تأكيد إلى فئة الجهّال، وليس من سكّان الريف بل من سكّان المدن، هؤلاء الذين تضطرّ إلى معاشرة الكثيرين من أمثالهم في قرطاجة. إذذاك نسأله إن كان يريد أن يصير مسيحيًّا، ابتغاءً لخير في الحياة الدنيا أم أملًا بالراحة في الآخرة، فيجيب: «رغبة في الراحة العتيدة». إليك الآن، على وجه التقريب، الكلمات التي يجب أن نثقّفه بموجبها:

شكرًا لله يا أخي وهنيئًا لك. إنّي مسرور بك لأنّك تفكّر في خضمّ عواصف هذا العالم العاتية والخطرة، بأن تضمن لنفسك الأمان الحقيقيّ الثابت، لأنّ البشر يبذلون في هذه الحياة جهودًا كبيرة بحثًا عن الراحة فلا يجدونها، بسبب ما فيهم من ميول سافلة. وفي الواقع، إنّهم ليطلبون الراحة في الخيور الزائلة فتهرب منهم وتطير، مخلّفةً في نفوسهم، خوفًا مؤلمًا وعذابًا، ولا تمنحهم الراحة التي ينشدون: إذا طلب الإنسان الراحة في الثروات وجد الكبرياء. أليس هذا ما نراه كلّ يوم؟ كم من أناس أضاعوا فجأة ثرواتهم وضاعوا بسببها، إمّا لأنّهم قد تكالبوا عليها، وإمّا لأنّ آخرين أشدّ طمعًا منهم قد انتزعوها من أيديهم. ولو أنّ الثروة ظلّت في حوزة إنسان، حياته كلّها، فلسوف يتخلّى هو عنها ساعة موته. وفي الواقع، هل تعتبر حياة الإنسان طويلة إذا بلغ من الكبر عِتِيًّا؟ وحين يتوق الناس إلى الشيخوخة فهل يتمنّون لأنفسهم شيئًا آخر سوى السقم الطويل؟

وهذه هي حالنا مع أمجاد هذا العالم. أليست كلّها الكبرياء والبطلان وخطر الزوال؟ إليك ما يقول **الكتاب المقدّس** في هذا

توجيهات متنوّعة

أ - لنفرض أنّ ما جاءنا ليصير مسيحيًّا ينتمي بكلّ تأكيد إلى فئة الجهّال، وليس من سكّان الريف بل من سكّان المدن، هؤلاء الذين تضطرّ إلى معاشرة الكثيرين من أمثالهم في قرطاجة. إذذاك نسأله إن كان يريد أن يصير مسيحيًّا، ابتغاءً لخير في الحياة الدنيا أم أملًا بالراحة في الآخرة، فيجيب: «رغبة في الراحة العتيدة». إليك الآن، على وجه التقريب، الكلمات التي يجب أن نثقّفه بموجبها:

شكرًا لله يا أخي وهنيئًا لك. إنّي مسرور بك لأنّك تفكّر في خضمّ عواصف هذا العالم العاتية والخطرة، بأن تضمن لنفسك الأمان الحقيقيّ الثابت، لأنّ البشر يبذلون في هذه الحياة جهودًا كبيرة بحثًا عن الراحة فلا يجدونها، بسبب ما فيهم من ميول سافلة. وفي الواقع، إنّهم ليطلبون الراحة في الخيور الزائلة فتهرب منهم وتطير، مخلّفةً في نفوسهم، خوفًا مؤلمًا وعذابًا، ولا تمنحهم الراحة التي ينشدون: إذا طلب الإنسان الراحة في الثروات وجد الكبرياء. أليس هذا ما نراه كلّ يوم؟ كم من أناس أضاعوا فجأة ثرواتهم وضاعوا بسببها، إمّا لأنّهم قد تكالبوا عليها، وإمّا لأنّ آخرين أشدّ طمعًا منهم قد انتزعوها من أيديهم. ولو أنّ الثروة ظلّت في حوزة إنسان، حياته كلّها، فلسوف يتخلّى هو عنها ساعة موته. وفي الواقع، هل تعتبر حياة الإنسان طويلة إذا بلغ من الكبر عِتِيًّا؟ وحين يتوق الناس إلى الشيخوخة فهل يتمنّون لأنفسهم شيئًا آخر سوى السقم الطويل؟

وهذه هي حالنا مع أمجاد هذا العالم. أليست كلّها الكبرياء والبطلان وخطر الزوال؟ إليك ما يقول **الكتاب المقدّس** في هذا

تباغضًا وكراهية أحبّوهم وصفّقوا لهم. وكلّما صفّقوا لهم أثاروهم. أمّا النظّارة فيتباغضون ويتنافرون بشدّة تحمّسًا لهذا أو لذاك من المتبارزين الذين يثور ثائرهم، ويفرحون عندما يرون عيون الناس منصبّة عليهم. هل يمكن لعقل اتّخذ من الخلافات والعداوات غذاء له أن يحتفظ بالصحّة التي يوفّرها له السلام؟ صحّتنا هي بنت طعامنا. وباختصار، مع أنّ الملذّات اللامعقولة ليست ملذّات، أيًّا كانت طبيعتها ومهما عظمت الغبطة التي توفّرها الثروات وكبرياء الأمجاد، ولجّة الخمّارات الملتهمة، ومعارك المسارح، وفساد الدعارة، وخلاعة الحمّامات، فإنّ درجة بسيطة من الحمّى تقضي عليها كلّها وتنتزع منّا، حتّى في حياتنا ههنا تلك السعادة المزعومة. ولن يبقى منها إلّا ضمير فارغ وجريح ينتظر قضاء الله الذي رفض أن يكون له حارسًا فيجد، قاسيًا، الربّ الذي قد تشامخ عن البحث عنه وعن محبّته بمثابة أب عطوف.

أمّا أنت أيّها الباحث عن الراحة الحقيقيّة التي وُعد بها المسيحيّون بعد هذه الحياة، فسوف تذوق طيبتها وحلاوتها ههنا وسط متاعب الحياة الدنيا التي لا أشدّ منها مرارة إن أحببتَ وصايا ذاك الذي وعدك بها. وسرعان ما تدرك أنّ ثمار البرّ أحلى من ثمار الإثم، وأنّ غبطة الإنسان الحقيقيّة تكمن في ضمير سليم في خضمّ تلك المتاعب، ولا يستطيع ضمير شرّير أن يوفّرها له في ملذّاته. وأنتَ لم تأتِ إلى كنيسة الله طلبًا لخير زمنيّ.

ج - وهنالك مَن يرغبون في المسيحيّة كسبًا لثقة أناس ينتظرون منهم منافع زمنيّة، أو حفاظًا على عطف آخرين أو خشية منهم. فمن الضروريّ أن نشجب الفئتين: تتحمّلهم الكنيسة إلى حين كما يتحمّل البيدر التبن حتّى زمن التذرية. أمّا إذا لم يصلحوا أنفسهم ويقرّروا

تباغضًا وكراهية أحبّوهم وصفّقوا لهم. وكلّما صفّقوا لهم أثاروهم. أمّا النظّارة فيتباغضون ويتنافرون بشدّة تحمّسًا لهذا أو لذاك من المتبارزين الذين يثور ثائرهم، ويفرحون عندما يرون عيون الناس منصبّة عليهم. هل يمكن لعقل اتّخذ من الخلافات والعداوات غذاء له أن يحتفظ بالصحّة التي يوفّرها له السلام؟ صحّتنا هي بنت طعامنا. وباختصار، مع أنّ الملذّات اللامعقولة ليست ملذّات، أيًّا كانت طبيعتها ومهما عظمت الغبطة التي توفّرها الثروات وكبرياء الأمجاد، ولجّة الخمّارات الملتهمة، ومعارك المسارح، وفساد الدعارة، وخلاعة الحمّامات، فإنّ درجة بسيطة من الحمّى تقضي عليها كلّها وتنتزع منّا، حتّى في حياتنا ههنا تلك السعادة المزعومة. ولن يبقى منها إلّا ضمير فارغ وجريح ينتظر قضاء الله الذي رفض أن يكون له حارسًا فيجد، قاسيًا، الربّ الذي قد تشامخ عن البحث عنه وعن محبّته بمثابة أب عطوف.

أمّا أنت أيّها الباحث عن الراحة الحقيقيّة التي وُعد بها المسيحيّون بعد هذه الحياة، فسوف تذوق طيبتها وحلاوتها ههنا وسط متاعب الحياة الدنيا التي لا أشدّ منها مرارة إن أحببتَ وصايا ذاك الذي وعدك بها. وسرعان ما تدرك أنّ ثمار البرّ أحلى من ثمار الإثم، وأنّ غبطة الإنسان الحقيقيّة تكمن في ضمير سليم في خضمّ تلك المتاعب، ولا يستطيع ضمير شرّير أن يوفّرها له في ملذّاته. وأنتَ لم تأتِ إلى كنيسة الله طلبًا لخير زمنيّ.

ج - وهنالك مَن يرغبون في المسيحيّة كسبًا لثقة أناس ينتظرون منهم منافع زمنيّة، أو حفاظًا على عطف آخرين أو خشية منهم. فمن الضروريّ أن نشجب الفئتين: تتحمّلهم الكنيسة إلى حين كما يتحمّل البيدر التبن حتّى زمن التذرية. أمّا إذا لم يصلحوا أنفسهم ويقرّروا

معي» حينذاك، يرتجف رعبًا، ويمتنع عن أدنى خطيئة، لا لئلّا يقع في ما كان يخشاه، بل لئلّا يغيظ ذاك الذي يحبّه إلى هذا الحدّ. ففيه وحده الراحة التي «ما رأتها قطّ عين، ولا سمعت بها أذن، ولا خطر على قلب بشر ما أعدّه الله للذين يحبّونه» (**١ قور ٢: ٩**).

إنّ الكتاب المقدّس يشير إلى تلك الراحة، لأنّه، منذ بدء العالم، وأثناء العمل الذي به خلق الله السماء والأرض وكلّ ما فيها، عمل ستّة أيّام واستراح في اليوم السابع (**تكوين ١، ٢: ١ ٣**). وقد كان باستطاعته، ولا شكّ، أن يعمل كلّ شيء في برهة من الزمن، لكنّه لم يعمل ليستريح، إذ «قال فكان وأمر فخلق» (**مزمور ١٤٨: ٥**). لقد عمل ليشير إلى أنّه بعد عصور العالم الستّة قد يستريح مع القدّيسين في العصر السابع، كما استراح في اليوم السابع. القدّيسون يستريحون فيه بعد أن خدموه في أعمالهم الصالحة التي عملها هو ذاته فيهم، هو الذي يدعو ويعلّم ويغفر الخطايا السالفة، ويبرّر الإنسان الخاطئ. وكما قيل إنّه يعمل فيهم الخير الذي يعملونه له بنعمة منه، كذلك، بحقّ، إنّه يستريح فيهم عندما يستريحون فيه.

في الواقع، إنّه شخصيًّا، لا يبحث عن راحة، لأنّه لا يشعر بالتعب، وقد صنع كلّ شيء بكلمته. وكلمته، هو المسيح ذاته، الذي فيه يستريح الملائكة والأرواح النقيّة السماويّة قاطبة، بالسكوت والقداسة. أمّا الإنسان الذي سقط في الخطيئة فقد خسر الراحة التي له في الكلمة الله ثمّ استعادها في الكلمة الإنسان. ولهذا، وفي الوقت المناسب، حين كان الكلمة يعلم ما يجب عمله فقد صار إنسانًا وولد من امرأة، وممّا لا شكّ فيه أنّه لم يتلطّخ بالخطيئة ذاك الذي جاء ليطهّر الجسد. لقد أدرك قدّيسو العهد

معي» حينذاك، يرتجف رعبًا، ويمتنع عن أدنى خطيئة، لا لئلّا يقع في ما كان يخشاه، بل لئلّا يغيظ ذاك الذي يحبّه إلى هذا الحدّ. ففيه وحده الراحة التي «ما رأتها قطّ عين، ولا سمعت بها أذن، ولا خطر على قلب بشر ما أعدّه الله للذين يحبّونه» (**١ قور ٢: ٩**).

إنّ الكتاب المقدّس يشير إلى تلك الراحة، لأنّه، منذ بدء العالم، وأثناء العمل الذي به خلق الله السماء والأرض وكلّ ما فيها، عمل ستّة أيّام واستراح في اليوم السابع (**تكوين ١، ٢: ١ ٣**). وقد كان باستطاعته، ولا شكّ، أن يعمل كلّ شيء في برهة من الزمن، لكنّه لم يعمل ليستريح، إذ «قال فكان وأمر فخلق» (**مزمور ١٤٨: ٥**). لقد عمل ليشير إلى أنّه بعد عصور العالم الستّة قد يستريح مع القدّيسين في العصر السابع، كما استراح في اليوم السابع. القدّيسون يستريحون فيه بعد أن خدموه في أعمالهم الصالحة التي عملها هو ذاته فيهم، هو الذي يدعو ويعلّم ويغفر الخطايا السالفة، ويبرّر الإنسان الخاطئ. وكما قيل إنّه يعمل فيهم الخير الذي يعملونه له بنعمة منه، كذلك، بحقّ، إنّه يستريح فيهم عندما يستريحون فيه.

في الواقع، إنّه شخصيًّا، لا يبحث عن راحة، لأنّه لا يشعر بالتعب، وقد صنع كلّ شيء بكلمته. وكلمته، هو المسيح ذاته، الذي فيه يستريح الملائكة والأرواح النقيّة السماويّة قاطبة، بالسكوت والقداسة. أمّا الإنسان الذي سقط في الخطيئة فقد خسر الراحة التي له في الكلمة الله ثمّ استعادها في الكلمة الإنسان. ولهذا، وفي الوقت المناسب، حين كان الكلمة يعلم ما يجب عمله فقد صار إنسانًا وولد من امرأة، وممّا لا شكّ فيه أنّه لم يتلطّخ بالخطيئة ذاك الذي جاء ليطهّر الجسد. لقد أدرك قدّيسو العهد

وجعلهما الله في مكان سعادة دائمة سمّاها **الكتاب** فردوسًا، ثمّ أعطاهما وصيّة، لو لم يتجاوزها لظلّا إلى الأبد في هذه السعادة الخالدة. أمّا وقد تجاوزاها فسيموتان موتًا، عقابًا لهما. وممّا لا شكّ فيه، أنّ الله كان عالمًا بأنّهما يتجاوزان الوصيّة. وبما أنّه مبدأ كلّ خير وعلّته، فقد آثر أن يخلقهما حين خلق الحيوانات فيكسو الكون خيرات أرضيّة. وقد آثر أن يسلّمهما الأمر الذي تجاوزاه لئلّا يكون لهما عذر في خطيئتهما. مهما عمل الإنسان وجد الله جديرًا بكلّ تسبيح: إن حسن سلوكه سبّحه من أجل مكافأته العادلة، وإن ساء سبّحه من أجل عقاباته العادلة، وإن اعترف بخطاياه، تقويمًا لحياته، سبّحه من أجل رحمته الغافرة. ولِمَ لا يخلق الله إذًا الإنسان، وإن سبق فعلم بخطيئته ما دام سوف يكافئه إن استقام خلقه، ويعيده إلى الصواب إن عثر، ويساعده إن نهض، هو الممجّد في كلّ مكان وزمان بصلاحه وعدله ورأفته؟ ولقد خلقه لأنّه كان يعلم مسبقًا بأنّ قدّيسين من سلالته الصائرة إلى الموت سيولدون مصمّمين على تمجيد خالقهم من دون أنفسهم. وإذ يعبدونه ويتحرّرون من كلّ فساد يستحقّون أن يحيوا مع الملائكة في سعادة خالدة.

وخلق الله الناس أحرارًا، يعبدونه أحرارًا، بعيدًا عن كلّ حتميّة واستعباد. وخلق الملائكة أيضًا أحرارًا، حتّى إنّ الملاك الذي رفض عن كبرياء، مع طغمته، الطاعة لله، صار شيطانًا. ولم يلحق الأذى بالله، بل أضرّ نفسه، لأنّ الله يعرف أن يعيد إلى النظام، النفوس التي تتخلّى عنه، وأن يسنّ للكائنات السفلى من خليقته، شرائع ملائمة ومطابقة كلّيًا لتدبيره العجيب. فلا إبليس ألحَقَ أذى

وجعلهما الله في مكان سعادة دائمة سمّاها **الكتاب** فردوسًا، ثمّ أعطاهما وصيّة، لو لم يتجاوزها لظلّا إلى الأبد في هذه السعادة الخالدة. أمّا وقد تجاوزاها فسيموتان موتًا، عقابًا لهما. وممّا لا شكّ فيه، أنّ الله كان عالمًا بأنّهما يتجاوزان الوصيّة. وبما أنّه مبدأ كلّ خير وعلّته، فقد آثر أن يخلقهما حين خلق الحيوانات فيكسو الكون خيرات أرضيّة. وقد آثر أن يسلّمهما الأمر الذي تجاوزاه لئلّا يكون لهما عذر في خطيئتهما. مهما عمل الإنسان وجد الله جديرًا بكلّ تسبيح: إن حسن سلوكه سبّحه من أجل مكافأته العادلة، وإن ساء سبّحه من أجل عقاباته العادلة، وإن اعترف بخطاياه، تقويمًا لحياته، سبّحه من أجل رحمته الغافرة. ولِمَ لا يخلق الله إذًا الإنسان، وإن سبق فعلم بخطيئته ما دام سوف يكافئه إن استقام خلقه، ويعيده إلى الصواب إن عثر، ويساعده إن نهض، هو الممجّد في كلّ مكان وزمان بصلاحه وعدله ورأفته؟ ولقد خلقه لأنّه كان يعلم مسبقًا بأنّ قدّيسين من سلالته الصائرة إلى الموت سيولدون مصمّمين على تمجيد خالقهم من دون أنفسهم. وإذ يعبدونه ويتحرّرون من كلّ فساد يستحقّون أن يحيوا مع الملائكة في سعادة خالدة.

وخلق الله الناس أحرارًا، يعبدونه أحرارًا، بعيدًا عن كلّ حتميّة واستعباد. وخلق الملائكة أيضًا أحرارًا، حتّى إنّ الملاك الذي رفض عن كبرياء، مع طغمته، الطاعة لله، صار شيطانًا. ولم يلحق الأذى بالله، بل أضرّ نفسه، لأنّ الله يعرف أن يعيد إلى النظام، النفوس التي تتخلّى عنه، وأن يسنّ للكائنات السفلى من خليقته، شرائع ملائمة ومطابقة كلّيًا لتدبيره العجيب. فلا إبليس ألحَقَ أذى

الباحثة عن مجدها في استعباد الناس، هؤلاء جميعًا مرتبطون معًا في مجتمع واحد. ولكن، مهما بلغ بهم التصارع على تلك الخيور، فكلّهم مشدودون بالثقل نفسه من الجشع إلى اللجّة عينها، حيث يظلّون متّحدين بحكم التجانس في سلوكهم ومسؤوليّتهم. أمّا الذين يبحثون بتواضع، عن مجد الله من دون مجدهم، ويتبعونه بالتقوى، فإنّهم ينتسبون إلى مجتمع واحد، مع أنّ الله الطويل الأناة، برحمة منه، لامتناهية، يعطي الأثمة مجالًا للتوبة وإصلاح الذات.

٢٥ - الطوفان

أمّا إهلاك الناس قاطبةً بالطوفان، باستثناء رجل بارّ واحد مع عائلته الذين احتفظ بهم في الفُلك، فقد كان الله عالمًا من دون شكّ أنّهم لن يصلحوا نفوسهم، مع أنّه، طوال بناء الفلك الذي استغرق مئة سنة، كان يعظهم بمختلف الوسائل، محذّرًا من الغضب الذي سوف ينزل بهم. ولو أنّهم عادوا إليه لنجوا من غضبه كما نجت نينوى التي تابت بعد أن أنذرها يونان بالهلاك القريب (**يونان ٣**). وعلى هذا النحو يتصرّف الله مع مَن يعرفهم، مصمّمين على البقاء في الإثم، فيمنحهم زمانًا للتوبة، امتحانًا لصبرنا، وتكييفًا له بحسب أناته، ويعلّمنا بمَثَله كيف نصبر على الأشرار، ما دمنا لا نعرف كيف يكونون في المستقبل. أمّا هو الذي لا يخفى عليه شيء من المستقبل فإنّه يبقيهم، بإذنٍ منه، في قيد الحياة.

فضلًا عن ذلك، أنّ ما يرمز إليه الطوفان الذي نجا منه الأبرار بفضل خشبة الفلك ينبئ بالكنيسة العتيدة، وقد حفظها ملكها المسيح الإله بسرّ صليبه فوق أمواج هذا العالم العاتية. لقد كان الله بدون شكّ عالمًا بأنّه سوف يُولد، ممَّن نجوا من السفينة، أناسٌ أشرار

الباحثة عن مجدها في استعباد الناس، هؤلاء جميعًا مرتبطون معًا في مجتمع واحد. ولكن، مهما بلغ بهم التصارع على تلك الخيور، فكلّهم مشدودون بالثقل نفسه من الجشع إلى اللجّة عينها، حيث يظلّون متّحدين بحكم التجانس في سلوكهم ومسؤوليّتهم. أمّا الذين يبحثون بتواضع، عن مجد الله من دون مجدهم، ويتبعونه بالتقوى، فإنّهم ينتسبون إلى مجتمع واحد، مع أنّ الله الطويل الأناة، برحمة منه، لامتناهية، يعطي الأثمة مجالًا للتوبة وإصلاح الذات.

٢٥ - الطوفان

أمّا إهلاك الناس قاطبةً بالطوفان، باستثناء رجل بارّ واحد مع عائلته الذين احتفظ بهم في الفُلك، فقد كان الله عالمًا من دون شكّ أنّهم لن يصلحوا نفوسهم، مع أنّه، طوال بناء الفلك الذي استغرق مئة سنة، كان يعظهم بمختلف الوسائل، محذّرًا من الغضب الذي سوف ينزل بهم. ولو أنّهم عادوا إليه لنجوا من غضبه كما نجت نينوى التي تابت بعد أن أنذرها يونان بالهلاك القريب (**يونان ٣**). وعلى هذا النحو يتصرّف الله مع مَن يعرفهم، مصمّمين على البقاء في الإثم، فيمنحهم زمانًا للتوبة، امتحانًا لصبرنا، وتكييفًا له بحسب أناته، ويعلّمنا بمَثَله كيف نصبر على الأشرار، ما دمنا لا نعرف كيف يكونون في المستقبل. أمّا هو الذي لا يخفى عليه شيء من المستقبل فإنّه يبقيهم، بإذنٍ منه، في قيد الحياة.

فضلًا عن ذلك، أنّ ما يرمز إليه الطوفان الذي نجا منه الأبرار بفضل خشبة الفلك ينبئ بالكنيسة العتيدة، وقد حفظها ملكها المسيح الإله بسرّ صليبه فوق أمواج هذا العالم العاتية. لقد كان الله بدون شكّ عالمًا بأنّه سوف يُولد، ممَّن نجوا من السفينة، أناسٌ أشرار

الذين سبقوا في الزمن ميلاد الربّ قد تنبّأوا بكلامهم وحياتهم وزواجهم وأولادهم وأعمالهم عن الزمن الذي تجمع فيه الكنيسة حاليًّا الأمم بواسطة الإيمان بآلام المسيح.

بواسطة الأنبياء والآباء القدّيسين أعطي الشعب اللحميّ إسرائيل، الذي سُمّي بعدئذ الشعب اليهوديّ، نِعَمًا منظورة، كان ينتظرها من الربّ، كما أُعطي عقابات جسديّة، تخويفًا له، وفقًا للظروف، جاءت متجانسة مع قساوة قلبه... وقد كان هذا كلّه رمزًا للأسرار الروحيّة الخاصّة بالمسيح وكنيسته التي كان الأبرار الأوّلون يؤلِّفون أعضاءها، بالرغم من أنّهم قد ولدوا قبل ميلاد المسيح ربّنا بالجسد. إنّ ابن الله الوحيد كلمة الآب السماويّ لأبيه بالأزليّة، خالق كلّ شيء، وقد صار إنسانًا من أجلنا، ليكون للكنيسة بأسرها، كما هو الرأس بالنسبة إلى الجسد كلّه. وكما أنّ الإنسان يولد كاملًا بالرغم من أنّ اليد هي التي تظهر أوّلًا أثناء الولادة، وهي مرتبطة بالجسد وتؤلِّف معه كيانًا كاملًا، كذلك هي الحال في ما خصَّ بعض الآباء الذين ولدوا، كاليد التي تظهر الأولى، رمزًا للمسيح. وهي حال الأبرار الذي عاشوا على هذه الأرض قبل ميلاد ربّنا يسوع المسيح، وألّفوا، مع أنّهم ولدوا قبله، كلًّا كاملًا لا يتجزّأ، خاضعًا للرأس مع الجسم كلّه الذي هو رأسه.

٢٧ - النفي إلى مصر

نُفي الشعب اليهوديّ إلى مصر فعاش في خدمة ملكٍ على جانب كبير من البطش والقسوة. وبعد أن أُذِلَّ بالأشغال الشاقّة راح يبحث عن الله، لكي يخلّصه من هذه العبوديّة. فاتّخذ الله من ذلك الشعب خادمًا له تقيًّا يُدعى موسى، وأرسله فروَّع بما أتى من

الذين سبقوا في الزمن ميلاد الربّ قد تنبّأوا بكلامهم وحياتهم وزواجهم وأولادهم وأعمالهم عن الزمن الذي تجمع فيه الكنيسة حاليًّا الأمم بواسطة الإيمان بآلام المسيح.

بواسطة الأنبياء والآباء القدّيسين أعطي الشعب اللحميّ إسرائيل، الذي سُمّي بعدئذ الشعب اليهوديّ، نِعَمًا منظورة، كان ينتظرها من الربّ، كما أُعطي عقابات جسديّة، تخويفًا له، وفقًا للظروف، جاءت متجانسة مع قساوة قلبه... وقد كان هذا كلّه رمزًا للأسرار الروحيّة الخاصّة بالمسيح وكنيسته التي كان الأبرار الأوّلون يؤلِّفون أعضاءها، بالرغم من أنّهم قد ولدوا قبل ميلاد المسيح ربّنا بالجسد. إنّ ابن الله الوحيد كلمة الآب السماويّ لأبيه بالأزليّة، خالق كلّ شيء، وقد صار إنسانًا من أجلنا، ليكون للكنيسة بأسرها، كما هو الرأس بالنسبة إلى الجسد كلّه. وكما أنّ الإنسان يولد كاملًا بالرغم من أنّ اليد هي التي تظهر أوّلًا أثناء الولادة، وهي مرتبطة بالجسد وتؤلِّف معه كيانًا كاملًا، كذلك هي الحال في ما خصَّ بعض الآباء الذين ولدوا، كاليد التي تظهر الأولى، رمزًا للمسيح. وهي حال الأبرار الذي عاشوا على هذه الأرض قبل ميلاد ربّنا يسوع المسيح، وألّفوا، مع أنّهم ولدوا قبله، كلًّا كاملًا لا يتجزّأ، خاضعًا للرأس مع الجسم كلّه الذي هو رأسه.

٢٧ - النفي إلى مصر

نُفي الشعب اليهوديّ إلى مصر فعاش في خدمة ملكٍ على جانب كبير من البطش والقسوة. وبعد أن أُذِلَّ بالأشغال الشاقّة راح يبحث عن الله، لكي يخلّصه من هذه العبوديّة. فاتّخذ الله من ذلك الشعب خادمًا له تقيًّا يُدعى موسى، وأرسله فروَّع بما أتى من

ممّا لا شكّ فيه أنّ الله لا يحدُّه جسم ولا يستطيع أحد أن يتصوّر له أعضاء وأصابع كما هي الحال عندنا. ولكن، منذ أن يوزّع الروح القدس على الأبرار، مواهب الله، وفي حين نرى لها فعاليّات متنوّعة، تظلّ على وفاق تامّ مع المحبّة. بين الأصابع بعض التباين الذي لا يخرجها عن نطاق الوحدة التي تجمع بينها، ولهذا دعي الروح القدس إصبع الله. لكن حين نسمع تلك العبارة لا يجوز لنا أن نتصوّر شكلًا لجسم بشريّ.

لقد تسلَّم اليهود الشريعة التي خطّها الله بإصبعه على ألواح حجريّة مشيرًا إلى قساوة قلوب الذين صمَّموا ألّا يحفظوا وصاياها. إنْ طلَبَ هؤلاء من الله الخيور المادّيّة قبل سواها، توقّفوا على الخوف الجسديّ ولم يبلغوا المحبّة الروحيّة التي تقدر وحدها أن ترعى الشريعة. ولهذا، نراهم يرزحون تحت عدد ضخم من الرموز المنظورة التي استعبدتهم بواسطة التزامات فرضوها على أنفسهم، ولا سيّما في الأطعمة وذبائح الحيوانات وسواها من طقوس لا تعدّ ولا تحصى. وما هذه الطقوس سوى علامات لحقائق روحيّة تتعلّق بسيّدنا يسوع المسيح وكنيسته، فسَّرها عدد قليل من الأبرار وكأنّها تحمل ثمار الخلاص وقد كانوا يمارسونها بالتوافق مع عصرهم. لكنّ مجموع الناس الشهوانيّين اكتفوا بممارستها، دون أن يدركوا لها معنى.

٢٩ - أرض الميعاد

وعلى هذا النحو فقد اقتيد الشعب بعدّة إشارات متنوّعة لأحداث مستقبليّة يطول بنا الوقت في تعدادها، وها هي تتمّ في الكنيسة. أجل لقد اقتيد إلى أرض الميعاد، ليملك عليها زمنيًّا

ممّا لا شكّ فيه أنّ الله لا يحدُّه جسم ولا يستطيع أحد أن يتصوّر له أعضاء وأصابع كما هي الحال عندنا. ولكن، منذ أن يوزّع الروح القدس على الأبرار، مواهب الله، وفي حين نرى لها فعاليّات متنوّعة، تظلّ على وفاق تامّ مع المحبّة. بين الأصابع بعض التباين الذي لا يخرجها عن نطاق الوحدة التي تجمع بينها، ولهذا دعي الروح القدس إصبع الله. لكن حين نسمع تلك العبارة لا يجوز لنا أن نتصوّر شكلًا لجسم بشريّ.

لقد تسلَّم اليهود الشريعة التي خطّها الله بإصبعه على ألواح حجريّة مشيرًا إلى قساوة قلوب الذين صمَّموا ألّا يحفظوا وصاياها. إنْ طلَبَ هؤلاء من الله الخيور المادّيّة قبل سواها، توقّفوا على الخوف الجسديّ ولم يبلغوا المحبّة الروحيّة التي تقدر وحدها أن ترعى الشريعة. ولهذا، نراهم يرزحون تحت عدد ضخم من الرموز المنظورة التي استعبدتهم بواسطة التزامات فرضوها على أنفسهم، ولا سيّما في الأطعمة وذبائح الحيوانات وسواها من طقوس لا تعدّ ولا تحصى. وما هذه الطقوس سوى علامات لحقائق روحيّة تتعلّق بسيّدنا يسوع المسيح وكنيسته، فسَّرها عدد قليل من الأبرار وكأنّها تحمل ثمار الخلاص وقد كانوا يمارسونها بالتوافق مع عصرهم. لكنّ مجموع الناس الشهوانيّين اكتفوا بممارستها، دون أن يدركوا لها معنى.

٢٩ - أرض الميعاد

وعلى هذا النحو فقد اقتيد الشعب بعدّة إشارات متنوّعة لأحداث مستقبليّة يطول بنا الوقت في تعدادها، وها هي تتمّ في الكنيسة. أجل لقد اقتيد إلى أرض الميعاد، ليملك عليها زمنيًّا

إرميا النبيّ آنذاك أمرًا بالذهاب إلى العبوديّة. وإذ اتّخذهم ملوك بابل عبيدًا لهم، فقد تأثّروا ببعض الأحداث العجيبة التي تمّت على أيديهم، وتوصّلوا إلى معرفة الإله الواحد الحقيقيّ خالق الكون، وإلى تكريمه وفرض عبادته. وتلقّى أولئك العبيد أمرًا بالصلاة من أجل أسيادهم والاتّكال عليهم بانتظار يوم السلام، لكي يتمكّنوا من إنجاب البنين وتعمير البيوت وغرس البساتين والكروم، ثمّ نالوا منهم وعدًا بالعتق بعد سبعين سنة (**إرميا ٢٥، ٢٩**).

إنّ هذه الحوادث ترمز إلى أنّ الكنيسة بجميع قدّيسيها مواطني أورشليم السماويّة، سوف تكون تحت عبوديّة ملوك هذا العالم. وقد علّم الرسول بولس قائلًا: «ليخضع كلّ امرئ للسلطات التي بيدها الأمر. أدّوا لكلّ حقّه: الضريبة لمَن له الضريبة، والخراج لمَن له الخراج»، (**رومية ١٣: ١، ٧**). وعلى هذا النحو يجب أن تكون سائر واجباتنا تجاه رؤساء المؤسّسات البشريّة، شرط أن تبقى سليمة عبادة إلهنا. إنّ الربّ ذاته الذي أراد أن يعطينا مثلًا في هذا التعليم السليم، لم يجد عيبًا في دفع جزية الرأس عن الإنسان الذي اتّخذ طبيعته، كما وأنّه فرض على العبيد المسيحيّين أن يطيعوا مواليهم في هذه الدنيا بكلّ صدق وصفاء (**أفسس ٦: ٥**) وأن يدينوهم إن ظلّوا حتّى النهاية أشرارًا، أو أن يملكوا معهم بالتساوي إن ارتدّوا إلى عبادة الإله الحقيقيّ، علمًا بأنّ الكلّ ملزمون بالخضوع للسلطات البشريّة في هذا العالم، حتّى يحين الزمان المحدّد سابقًا والممثّل في السنوات السبعين، حينذاك تتحرّر الكنيسة من بلبلة هذا العالم، كما تحرّرت أورشليم من أسر بابل.

ولمناسبة هذا الأسر يجدر بنا أن نشير إلى أنّ ملوكًا قد تخلّوا عن أصنامهم التي كانوا باسمها يضطهدون المسيحيّين، فعرفوا الإله

إرميا النبيّ آنذاك أمرًا بالذهاب إلى العبوديّة. وإذ اتّخذهم ملوك بابل عبيدًا لهم، فقد تأثّروا ببعض الأحداث العجيبة التي تمّت على أيديهم، وتوصّلوا إلى معرفة الإله الواحد الحقيقيّ خالق الكون، وإلى تكريمه وفرض عبادته. وتلقّى أولئك العبيد أمرًا بالصلاة من أجل أسيادهم والاتّكال عليهم بانتظار يوم السلام، لكي يتمكّنوا من إنجاب البنين وتعمير البيوت وغرس البساتين والكروم، ثمّ نالوا منهم وعدًا بالعتق بعد سبعين سنة (**إرميا ٢٥، ٢٩**).

إنّ هذه الحوادث ترمز إلى أنّ الكنيسة بجميع قدّيسيها مواطني أورشليم السماويّة، سوف تكون تحت عبوديّة ملوك هذا العالم. وقد علّم الرسول بولس قائلًا: «ليخضع كلّ امرئ للسلطات التي بيدها الأمر. أدّوا لكلّ حقّه: الضريبة لمَن له الضريبة، والخراج لمَن له الخراج»، (**رومية ١٣: ١، ٧**). وعلى هذا النحو يجب أن تكون سائر واجباتنا تجاه رؤساء المؤسّسات البشريّة، شرط أن تبقى سليمة عبادة إلهنا. إنّ الربّ ذاته الذي أراد أن يعطينا مثلًا في هذا التعليم السليم، لم يجد عيبًا في دفع جزية الرأس عن الإنسان الذي اتّخذ طبيعته، كما وأنّه فرض على العبيد المسيحيّين أن يطيعوا مواليهم في هذه الدنيا بكلّ صدق وصفاء (**أفسس ٦: ٥**) وأن يدينوهم إن ظلّوا حتّى النهاية أشرارًا، أو أن يملكوا معهم بالتساوي إن ارتدّوا إلى عبادة الإله الحقيقيّ، علمًا بأنّ الكلّ ملزمون بالخضوع للسلطات البشريّة في هذا العالم، حتّى يحين الزمان المحدّد سابقًا والممثّل في السنوات السبعين، حينذاك تتحرّر الكنيسة من بلبلة هذا العالم، كما تحرّرت أورشليم من أسر بابل.

ولمناسبة هذا الأسر يجدر بنا أن نشير إلى أنّ ملوكًا قد تخلّوا عن أصنامهم التي كانوا باسمها يضطهدون المسيحيّين، فعرفوا الإله

مجيء المخلّص، ولم يعرفوا أنّه سوف يحمل إليهم خلاصًا روحيًّا، بل انتظروا منه الخلاص الجسديّ.

عصور العالم الخمسة الأوائل

وها هي العصور الخمسة من عمر العالم تكتمل. فالعصر الأوّل يمتدّ منذ ظهور الجنس البشريّ، أي من آدم الإنسان الأوّل المخلوق حتّى نوح الذي بنى الفلك في زمن الطوفان (**تكوين ٦**). والعصر الثاني يمتدّ من نوح حتّى إبراهيم الملقّب، بحقّ، أبا الشعوب المؤمنة على مثاله وبخاصّة أبا الشعب اليهوديّ، نظرًا إلى السلالة المتحدّرة منه. قبل أن يجاهر الوثنيّون بإيمانهم كان ذاك الشعب وحيدًا بين سائر شعوب الأرض يعبُد الإله الحقيقيّ الواحد. ومنه سوف يأتي بالجسد المسيح المخلّص. إنّ العهد القديم يلقي أنوارًا ساطعة على هذَيْن العصرَيْن. أمّا الثلاثة الأخرى فلا تقلّ عنهما وضوحًا في الإنجيل، حين يتكلّم على سلالة ربّنا يسوع المسيح (**متّى ١ : ١٧**). الثالث يمتدّ من إبراهيم حتّى الملك داود، والرابع من داود حتّى سبي بابل الذي حمل الشعب إلى الله، والخامس من ذاك السبي حتّى مجيء ربّنا يسوع المسيح.

العصر السادس

بالمجيء يبدأ العصر السادس: إنّ النعمة الروحيّة التي اقتصرت معرفتها في الماضي على عدد قليل من الأنبياء والآباء سوف تتّضح منذ الآن لكلّ الأمم، بحيث لن يعبد أحد الله إلّا بالمجّان. فلا ينتظر منه، لقاء عبادته إيّاه، أجرًا منظورًا ولا السعادة في الحياة الحاضرة، بل يرجو الحياة الأبديّة وحدها، حيث يتمتّع بالله ذاته. منذ الآن يتجدّد الفكر البشريّ في هذا العصر وفقًا لصورة

مجيء المخلّص، ولم يعرفوا أنّه سوف يحمل إليهم خلاصًا روحيًّا، بل انتظروا منه الخلاص الجسديّ.

عصور العالم الخمسة الأوائل

وها هي العصور الخمسة من عمر العالم تكتمل. فالعصر الأوّل يمتدّ منذ ظهور الجنس البشريّ، أي من آدم الإنسان الأوّل المخلوق حتّى نوح الذي بنى الفلك في زمن الطوفان (**تكوين ٦**). والعصر الثاني يمتدّ من نوح حتّى إبراهيم الملقّب، بحقّ، أبا الشعوب المؤمنة على مثاله وبخاصّة أبا الشعب اليهوديّ، نظرًا إلى السلالة المتحدّرة منه. قبل أن يجاهر الوثنيّون بإيمانهم كان ذاك الشعب وحيدًا بين سائر شعوب الأرض يعبُد الإله الحقيقيّ الواحد. ومنه سوف يأتي بالجسد المسيح المخلّص. إنّ العهد القديم يلقي أنوارًا ساطعة على هذَيْن العصرَيْن. أمّا الثلاثة الأخرى فلا تقلّ عنهما وضوحًا في الإنجيل، حين يتكلّم على سلالة ربّنا يسوع المسيح (**متّى ١ : ١٧**). الثالث يمتدّ من إبراهيم حتّى الملك داود، والرابع من داود حتّى سبي بابل الذي حمل الشعب إلى الله، والخامس من ذاك السبي حتّى مجيء ربّنا يسوع المسيح.

العصر السادس

بالمجيء يبدأ العصر السادس: إنّ النعمة الروحيّة التي اقتصرت معرفتها في الماضي على عدد قليل من الأنبياء والآباء سوف تتّضح منذ الآن لكلّ الأمم، بحيث لن يعبد أحد الله إلّا بالمجّان. فلا ينتظر منه، لقاء عبادته إيّاه، أجرًا منظورًا ولا السعادة في الحياة الحاضرة، بل يرجو الحياة الأبديّة وحدها، حيث يتمتّع بالله ذاته. منذ الآن يتجدّد الفكر البشريّ في هذا العصر وفقًا لصورة

الأرض. وصار فقيرًا، مالك كلّ شيء وخالق كلّ شيء، لكي يمنع المؤمنين به من أن يفاخروا، بوقاحة، بثروات الأرض. ورفض أن يجعله الناس ملكًا لكي يعلّم الذين أبعدتهم عنه كبرياؤهم، طريق التواضع، مع أنّ الكون بأسره يذيع ملكه إلى الأبد. وجاع الذي يغذّي المخلوقات قاطبة، وعطش الذي أبدع كلّ شراب، وهو خبز الجياع ومعين العطاش الروحيّ. لقد تعب في مسيراته على هذه الأرض، مَن جعل ذاته طريقًا لنا إلى السماء. والتزم الصمت أمام محتقريه مَن أنطق البكم وجعل الصمّ يسمعون. وقُيّد بالسلاسل مَن حرّر الناس من قيود أمراضهم. وضُرب بالعصيّ مَن يدفع عن أجساد البشر ضربات الآلام المختلفة. ومات مَن أقام الموتى، ولكنّه قام، لكيلا يموت إلى الأبد، ولئلّا يتعلّم منه إنسان أن يحتقر الموت، وكأنّه لن يحيا أبدًا.

٣٣ - الصعود - العنصرة والشريعة الجديدة

ثمّ من بعد أن ثبّت تلاميذه ومكث بينهم أربعين يومًا صعد إلى السماء أمام عيونهم. وفي اليوم الخمسين لقيامته أرسل إليهم الروح القدس (بحسب وعده لهم) ليحفظوا بالمحبّة التي يفيضها الروح القدس في قلوبهم، الشريعة، بسهولة وبطيبة خاطر. لقد أعطيت الشريعةُ اليهودَ في عشر وصايا وسمّيت الوصايا العشر على أنّها تختصر في اثنتين: أن نحبّ الله من كلّ نفسنا ومن كلّ قلبنا ومن كلّ فكرنا؛ وأن نحبّ القريب كنفسنا، لأنّ كلّ الشريعة والأنبياء ترتكز كما قال الربّ نفسه في الإنجيل على هاتين الوصيّتين (متّى ٢٢: ٣٧-٤٠). وكما علّم بمَثَله، ومنذ اليوم الذي احتفل فيه الإسرائيليّون، صوريًّا، بالفصح الأوّل، فذبحوا الحمل وأكلوه

الأرض. وصار فقيرًا، مالك كلّ شيء وخالق كلّ شيء، لكي يمنع المؤمنين به من أن يفاخروا، بوقاحة، بثروات الأرض. ورفض أن يجعله الناس ملكًا لكي يعلّم الذين أبعدتهم عنه كبرياؤهم، طريق التواضع، مع أنّ الكون بأسره يذيع ملكه إلى الأبد. وجاع الذي يغذّي المخلوقات قاطبة، وعطش الذي أبدع كلّ شراب، وهو خبز الجياع ومعين العطاش الروحيّ. لقد تعب في مسيراته على هذه الأرض، مَن جعل ذاته طريقًا لنا إلى السماء. والتزم الصمت أمام محتقريه مَن أنطق البكم وجعل الصمّ يسمعون. وقُيّد بالسلاسل مَن حرّر الناس من قيود أمراضهم. وضُرب بالعصيّ مَن يدفع عن أجساد البشر ضربات الآلام المختلفة. ومات مَن أقام الموتى، ولكنّه قام، لكيلا يموت إلى الأبد، ولئلّا يتعلّم منه إنسان أن يحتقر الموت، وكأنّه لن يحيا أبدًا.

٣٣ - الصعود - العنصرة والشريعة الجديدة

ثمّ من بعد أن ثبّت تلاميذه ومكث بينهم أربعين يومًا صعد إلى السماء أمام عيونهم. وفي اليوم الخمسين لقيامته أرسل إليهم الروح القدس (بحسب وعده لهم) ليحفظوا بالمحبّة التي يفيضها الروح القدس في قلوبهم، الشريعة، بسهولة وبطيبة خاطر. لقد أعطيت الشريعةُ اليهودَ في عشر وصايا وسمّيت الوصايا العشر على أنّها تختصر في اثنتين: أن نحبّ الله من كلّ نفسنا ومن كلّ قلبنا ومن كلّ فكرنا؛ وأن نحبّ القريب كنفسنا، لأنّ كلّ الشريعة والأنبياء ترتكز كما قال الربّ نفسه في الإنجيل على هاتين الوصيّتين (متّى ٢٢: ٣٧-٤٠). وكما علّم بمَثَله، ومنذ اليوم الذي احتفل فيه الإسرائيليّون، صوريًّا، بالفصح الأوّل، فذبحوا الحمل وأكلوه

خطاياهم حتّى خطيئة قتله. وقدّم إليهم في قيامته مثلًا عن الخلود الذي يجب عليهم أن يرجوه ويتوقوا إليه. وحينما راحوا يميتون منذ الآن ما في إنسانهم من رغبات عالميّة ويتحرَّقون شوقًا إلى الحياة الروحيّة، أخذوا يبيعون ممتلكاتهم كما علّم الربّ في الإنجيل ويضعون أثمانها على أقدام الرسل لكي يوزّعوها على كلّ منهم على قدر احتياجه (**أعمال ٢: ٤٤، ٤: ٣٤**). وكانوا يعيشون متّحدين بالمحبّة المسيحيّة ولا يقولون عن شيء: «هذا لي»، بل كان كلّ شيء مشتركًا، فيما بينهم، وكانوا قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة. واحتملوا الاضطهاد في أجسادهم من جماعة اليهود مواطنيهم، بحسب الجسد، ثمّ توزّعوا ليبشّروا بالمسيح حيث ما راحوا، على مجال أرحب، مقتدين كذلك بصبر سيّدهم لأنّ الذي احتملهم بوداعة، كان يأمرهم، بعد أن أصبحوا ودعاء، بأن يتألّموا من أجله.

٣٥ - إهتداء الوثنيّين

من بين الذين اضطهدوا القدّيسين بولس الرسول الذي كان متّقدًا غيظًا ضدّ المسيحيّين. لكنّه عاد وآمن فأصبح رسولًا وقَبِل مهمّة التبشير بين الأمم بالإنجيل، واحتمل حبًّا بالمسيح آلامًا تفوق ما اقترف بحقّ اسمه من شرور. وعندما كان يؤسّس الكنائس، في كلّ الأمم، ويلقي بذار الإنجيل، كان يلحّ على المؤمنين القادمين من الوثنيّة، المبتدئين بعبادة الإله الواحد الحقيقيّ الذين يجدون صعوبة في أن يبيعوا أملاكهم ويوزّعوا خيراتهم ويتبرّعوا للفقراء المؤمنين، في كنائس اليهوديّة، الذين آمنوا بالمسيح. وعلى هذا النحو فقد أقام الرسول، بتعليمه، جنودًا ومساهمين إقليميّين. ووفقًا لقول النبيّ، فقد وضع المسيح بينهم، بمثابة حجر زاوية، يلتقي عليه

خطاياهم حتّى خطيئة قتله. وقدّم إليهم في قيامته مثلًا عن الخلود الذي يجب عليهم أن يرجوه ويتوقوا إليه. وحينما راحوا يميتون منذ الآن ما في إنسانهم من رغبات عالميّة ويتحرَّقون شوقًا إلى الحياة الروحيّة، أخذوا يبيعون ممتلكاتهم كما علّم الربّ في الإنجيل ويضعون أثمانها على أقدام الرسل لكي يوزّعوها على كلّ منهم على قدر احتياجه (**أعمال ٢: ٤٤، ٤: ٣٤**). وكانوا يعيشون متّحدين بالمحبّة المسيحيّة ولا يقولون عن شيء: «هذا لي»، بل كان كلّ شيء مشتركًا، فيما بينهم، وكانوا قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة. واحتملوا الاضطهاد في أجسادهم من جماعة اليهود مواطنيهم، بحسب الجسد، ثمّ توزّعوا ليبشّروا بالمسيح حيث ما راحوا، على مجال أرحب، مقتدين كذلك بصبر سيّدهم لأنّ الذي احتملهم بوداعة، كان يأمرهم، بعد أن أصبحوا ودعاء، بأن يتألّموا من أجله.

٣٥ - إهتداء الوثنيّين

من بين الذين اضطهدوا القدّيسين بولس الرسول الذي كان متّقدًا غيظًا ضدّ المسيحيّين. لكنّه عاد وآمن فأصبح رسولًا وقَبِل مهمّة التبشير بين الأمم بالإنجيل، واحتمل حبًّا بالمسيح آلامًا تفوق ما اقترف بحقّ اسمه من شرور. وعندما كان يؤسّس الكنائس، في كلّ الأمم، ويلقي بذار الإنجيل، كان يلحّ على المؤمنين القادمين من الوثنيّة، المبتدئين بعبادة الإله الواحد الحقيقيّ الذين يجدون صعوبة في أن يبيعوا أملاكهم ويوزّعوا خيراتهم ويتبرّعوا للفقراء المؤمنين، في كنائس اليهوديّة، الذين آمنوا بالمسيح. وعلى هذا النحو فقد أقام الرسول، بتعليمه، جنودًا ومساهمين إقليميّين. ووفقًا لقول النبيّ، فقد وضع المسيح بينهم، بمثابة حجر زاوية، يلتقي عليه

فها إنّنا نرسِّخ إيماننا بالمسيح، بثبات وقوّة، معتقدين أنّ ما بقي من النبوءات سوف يتحقّق كذلك. وفي الواقع، إنّنا نطالع ما ينتظرنا من تجارب، وإنّ مواطني المدينتَيْن سوف يقومون، يوم الدينونة الأخيرة، بأجسادٍ لهم يستعيدونها، ليؤدّوا الحساب عن حياتهم، أمام منبر المسيح الديّان، فيأتي، بقدرته الإلهيّة، ذاك الذي جاء في بشريّته الوضيعة، ليميّز الأتقياء، كلّ الأتقياء عن الأَثمة الذين أبوا أن يؤمنوا به، والمؤمنين الذين كان إيمانهم به باطلًا وعقيمًا. فيشرك الأتقياء معه في ملكه الأبديّ، ويجعل الخطأة شركاء لإبليس في العقاب الأبديّ. وكما أنّه لا وجه للشبه بين الفرح بالخيور الزمنيّة والغبطة بالحياة الأبديّة، كذلك ليس من مجال للمقارنة بين الألم الناتج من عقابات زمنيّة وذاك الذي تسبّبه العقابات الأبديّة.

٣٨ - قيامة الأجسام

ولهذا، عليك أيّها الأخ أن تتمسّك باسم مَن تؤمن به، وبنعمته، ولا تأخذ بكلام الساخرين من إيماننا الذين يعيرون الشيطان أفواههم لكي ينطق بكلام يُغري ويضلّ. وبخاصّة لكي يجعل، من إيماننا بالقيامة، أضحوكة. كن أنت حكمًا في هذا الموضوع: لقد وجدتَ فإذًا أنتَ كائنٌ. لم تكن في الماضي، ومع ذلك فأنت الآن موجود. فأين كانت هذه الكتلة الجسميّة؟ أين كان هذا الشكل والتنسيق في أعضائك قبل أن تولد، وقبل أن تحبل بك أمّك في حشاها؟ أجل أين كان هذا كلّه؟ أين كانت هذه القامة؟ ألم ترَ النور عندما خرجت من خلوات الخليقة الخفيّة بفعل الربّ الإله الذي صوّرها بشكل غير منظور، ثمّ نَمَت نموًّا منتظمًا على مدى العصور لتبلغ كبرها وحجمها الحاليّ؟ وهل يصعب بالتالي على الله

فها إنّنا نرسِّخ إيماننا بالمسيح، بثبات وقوّة، معتقدين أنّ ما بقي من النبوءات سوف يتحقّق كذلك. وفي الواقع، إنّنا نطالع ما ينتظرنا من تجارب، وإنّ مواطني المدينتَيْن سوف يقومون، يوم الدينونة الأخيرة، بأجسادٍ لهم يستعيدونها، ليؤدّوا الحساب عن حياتهم، أمام منبر المسيح الديّان، فيأتي، بقدرته الإلهيّة، ذاك الذي جاء في بشريّته الوضيعة، ليميّز الأتقياء، كلّ الأتقياء عن الأَثمة الذين أبوا أن يؤمنوا به، والمؤمنين الذين كان إيمانهم به باطلًا وعقيمًا. فيشرك الأتقياء معه في ملكه الأبديّ، ويجعل الخطأة شركاء لإبليس في العقاب الأبديّ. وكما أنّه لا وجه للشبه بين الفرح بالخيور الزمنيّة والغبطة بالحياة الأبديّة، كذلك ليس من مجال للمقارنة بين الألم الناتج من عقابات زمنيّة وذاك الذي تسبّبه العقابات الأبديّة.

٣٨ - قيامة الأجسام

ولهذا، عليك أيّها الأخ أن تتمسّك باسم مَن تؤمن به، وبنعمته، ولا تأخذ بكلام الساخرين من إيماننا الذين يعيرون الشيطان أفواههم لكي ينطق بكلام يُغري ويضلّ. وبخاصّة لكي يجعل، من إيماننا بالقيامة، أضحوكة. كن أنت حكمًا في هذا الموضوع: لقد وجدتَ فإذًا أنتَ كائنٌ. لم تكن في الماضي، ومع ذلك فأنت الآن موجود. فأين كانت هذه الكتلة الجسميّة؟ أين كان هذا الشكل والتنسيق في أعضائك قبل أن تولد، وقبل أن تحبل بك أمّك في حشاها؟ أجل أين كان هذا كلّه؟ أين كانت هذه القامة؟ ألم ترَ النور عندما خرجت من خلوات الخليقة الخفيّة بفعل الربّ الإله الذي صوّرها بشكل غير منظور، ثمّ نَمَت نموًّا منتظمًا على مدى العصور لتبلغ كبرها وحجمها الحاليّ؟ وهل يصعب بالتالي على الله

نرجوها وننتظرها، متساوين وملائكة الله ومتمتّعين معهم برؤية الثالوث الذي نسير إليه منذ الآن بإيمان (٢ قور ٥ : ٧). إنّنا نؤمن، حقًّا بما لا نرى، لكي نؤهَّل، بفضل إيماننا لأن نرى ما نؤمن به. وبالتالي فلسنا نعلن بإيماننا، في مقاطع رنّانة، مساواة الآب والابن والروح القدس ووحدة الثالوث، أي كيف أنّ الثلاثة هم إله واحد، لكنّنا ندرك حالًا هذا السرّ في الصمت الأبديّ، في أصفى التأمّلات وأشدّها حرارة.

إرشاد أخير للطالب

أ - إحفظ هذه الحقائق محفورة في قلبك، وصلّ إلى الله الذي تؤمن به أن يحفظك في مأمن من تجارب إبليس. إحذر العدوّ الذي يأتيك فجأة فيدخل عليك، سرًّا، باحثًا بخبث عن تعزية له في هلاكه، في جرّ البؤساء إلى مقاسمته العذاب، إذ إنّه لا يعتمد، في تجربة المؤمنين، الناس الذين يكرهون الاسم المسيحيّ ويكتئبون لرؤيته ملء العالم، ويرغبون في أن يكونوا عبيد الأصنام والخرافات الشيطانيّة، بل يحاول أن يجرّبهم بواسطة مَن تكلّمتُ عليهم سابقًا، أولئك الذين اقتطعوا من وحدة الكنيسة كالغصن من الجذع وسمّوا هراطقة ومنشقّين، وأحيانًا يجرّبهم بواسطة اليهود. ومن الضروريّ التنبّه بنوع خاصّ إلى محاولة التجربة بواسطة مَن لا يزالون في الكنيسة التي لا تزال تتحمّلهم كالقشّ حتّى أيّام التذرية. ويصبر الله على أمثال هؤلاء، بغية أن يثبت إيمان مختاريه وفطنتهم، معتمدًا مخالفات المسيحيّين الأشرار، ما دام أنّ الكثيرين منهم يحرزون بعض التقدّم ويرجعون إلى الله باندفاع كلّيّ إشفاقًا على نفوسهم. وفي الواقع، بفضل صبر الله عليهم، لا نراهم يدّخرون الغضب ليوم

نرجوها وننتظرها، متساوين وملائكة الله ومتمتّعين معهم برؤية الثالوث الذي نسير إليه منذ الآن بإيمان (٢ قور ٥ : ٧). إنّنا نؤمن، حقًّا بما لا نرى، لكي نؤهَّل، بفضل إيماننا لأن نرى ما نؤمن به. وبالتالي فلسنا نعلن بإيماننا، في مقاطع رنّانة، مساواة الآب والابن والروح القدس ووحدة الثالوث، أي كيف أنّ الثلاثة هم إله واحد، لكنّنا ندرك حالًا هذا السرّ في الصمت الأبديّ، في أصفى التأمّلات وأشدّها حرارة.

إرشاد أخير للطالب

أ - إحفظ هذه الحقائق محفورة في قلبك، وصلّ إلى الله الذي تؤمن به أن يحفظك في مأمن من تجارب إبليس. إحذر العدوّ الذي يأتيك فجأة فيدخل عليك، سرًّا، باحثًا بخبث عن تعزية له في هلاكه، في جرّ البؤساء إلى مقاسمته العذاب، إذ إنّه لا يعتمد، في تجربة المؤمنين، الناس الذين يكرهون الاسم المسيحيّ ويكتئبون لرؤيته ملء العالم، ويرغبون في أن يكونوا عبيد الأصنام والخرافات الشيطانيّة، بل يحاول أن يجرّبهم بواسطة مَن تكلّمتُ عليهم سابقًا، أولئك الذين اقتطعوا من وحدة الكنيسة كالغصن من الجذع وسمّوا هراطقة ومنشقّين، وأحيانًا يجرّبهم بواسطة اليهود. ومن الضروريّ التنبّه بنوع خاصّ إلى محاولة التجربة بواسطة مَن لا يزالون في الكنيسة التي لا تزال تتحمّلهم كالقشّ حتّى أيّام التذرية. ويصبر الله على أمثال هؤلاء، بغية أن يثبت إيمان مختاريه وفطنتهم، معتمدًا مخالفات المسيحيّين الأشرار، ما دام أنّ الكثيرين منهم يحرزون بعض التقدّم ويرجعون إلى الله باندفاع كلّيّ إشفاقًا على نفوسهم. وفي الواقع، بفضل صبر الله عليهم، لا نراهم يدّخرون الغضب ليوم

ج - إتّحد بالصالحين وبمَنْ تراهم يحبّون ملكك، وستجد عددًا كبيرًا منهم. عندما تبدأ تكون صالحًا أنت أيضًا، لأنّك إن أحببتَ، في المسارح العموميّة، أن تعاشر، عن حبّ، الذين شاطروك محبّة سيّاف أو حوذيّ أو مهرّج، فأيّة غبطة لا تجد في الاتّحاد بمَن يشاطرونك محبّة الإله الذي لا يخجل صديقٌ من صداقته، لأنّه لا يُقهر البتّة، كما أنّه يجعل ممَّن يحبّونه أناسًا لا يُقهرون. لا تضع رجاءك في الصالحين الذين يسيرون معك أو أمامك إلى الله، ما دام لا يحقّ لك أن تضعه في نفسك مهما أحرزت من تقدّم. ضعه بالأحرى في مَن يبرّرك ويجعلكم جميعًا صالحين. أنتَ تأمن الله، حقًّا، الذي لا يتغيّر، لكن مَن تحلّى بالفطنة لا يثق بإنسان. وبالتالي فإن أحببنا مَن لا يزالون حتّى الآن أشرارًا فبأيّ حماسةٍ واندفاع نحبّ إذًا الأبرار. أن يحبّ الإنسان إنسانًا آخر شيء، وأن يضع ثقته به شيء آخر. إن كنت قد تحمّلت، حقًّا، الإهانات والتجارب، حبًّا بالمسيح، من دون أن تخسر إيمانك، أو تحيد عن الصراط المستقيم فسوف تكون مكافأتك كبيرة. أمّا الذين يستسلمون إلى إبليس في هاتين النقطتَيْن فإنّهم يخسرون كلّ شيء، حتّى الصغيرة منها. عليك أن تكون وضيعًا أمام الله، لئلّا يجرّبك بما يفوق قدرتك.

تدريب المبتدئين

ثمّ يُسأل المرشحُ عمّا إذا كان يؤمن بتلك الحقائق ويرغب في تكييف حياته بموجبها. فإن أجاب: نعم، وجب علينا، بحسب الرتبة، أن نرسم عليه إشارة الصليب، ونعامله في الكنيسة، بحسب العادة المألوفة، ثمّ نشرح له معنى الملح، في سرّ العماد، علمًا بأنّ

ج - إتّحد بالصالحين وبمَنْ تراهم يحبّون ملكك، وستجد عددًا كبيرًا منهم. عندما تبدأ تكون صالحًا أنت أيضًا، لأنّك إن أحببتَ، في المسارح العموميّة، أن تعاشر، عن حبّ، الذين شاطروك محبّة سيّاف أو حوذيّ أو مهرّج، فأيّة غبطة لا تجد في الاتّحاد بمَن يشاطرونك محبّة الإله الذي لا يخجل صديقٌ من صداقته، لأنّه لا يُقهر البتّة، كما أنّه يجعل ممَّن يحبّونه أناسًا لا يُقهرون. لا تضع رجاءك في الصالحين الذين يسيرون معك أو أمامك إلى الله، ما دام لا يحقّ لك أن تضعه في نفسك مهما أحرزت من تقدّم. ضعه بالأحرى في مَن يبرّرك ويجعلكم جميعًا صالحين. أنتَ تأمن الله، حقًّا، الذي لا يتغيّر، لكن مَن تحلّى بالفطنة لا يثق بإنسان. وبالتالي فإن أحببنا مَن لا يزالون حتّى الآن أشرارًا فبأيّ حماسةٍ واندفاع نحبّ إذًا الأبرار. أن يحبّ الإنسان إنسانًا آخر شيء، وأن يضع ثقته به شيء آخر. إن كنت قد تحمّلت، حقًّا، الإهانات والتجارب، حبًّا بالمسيح، من دون أن تخسر إيمانك، أو تحيد عن الصراط المستقيم فسوف تكون مكافأتك كبيرة. أمّا الذين يستسلمون إلى إبليس في هاتين النقطتَيْن فإنّهم يخسرون كلّ شيء، حتّى الصغيرة منها. عليك أن تكون وضيعًا أمام الله، لئلّا يجرّبك بما يفوق قدرتك.

تدريب المبتدئين

ثمّ يُسأل المرشحُ عمّا إذا كان يؤمن بتلك الحقائق ويرغب في تكييف حياته بموجبها. فإن أجاب: نعم، وجب علينا، بحسب الرتبة، أن نرسم عليه إشارة الصليب، ونعامله في الكنيسة، بحسب العادة المألوفة، ثمّ نشرح له معنى الملح، في سرّ العماد، علمًا بأنّ

نموذج لخطاب مُختَصَر

٤٠ - ظروف الخطاب

إن وجدتَ طويلًا حديثي الذي به أثقّف إنسانًا، وكأنّه موجود أمامي، بأمور ديانتنا التي يجهلها، فاتّخذ آنذاك خطابًا سواه أقصر منه. لكن، لا يحقّ لك بحسب رأيي أن تأتي بما هو أطول منه. وإنّه لمهمّ جدًّا أن تنتبه للأفكار التي يوحي بها إليك الموضوع، حين تعالجه، ولتلك التي تجد مَن يستمع إليك، قابلًا، أو بالأحرى راغبًا فيها. وإذا ما اضطرّتك الضرورة إلى الإسراع، فعليك أن تختار الأسهل الذي يساعدك على عرض المسألة كاملة.

هَبْ أنّ إنسانًا جاءك طالبًا أن يصير مسيحيًّا، فطرحتَ عليه السؤال وأعطاك الجواب عينه الذي أعطاكه مَن سبقه، وإذا لم يكن كجواب مَن سبق تقول له كيف يجب أن يكون. وإليك الآن الطريقة التي يجب أن تتبعها معه:

٤١ - موجز الديانة المسيحيّة

وأَيمُ الحقّ، يا أخي، إنّها لرائعة تلك السعادة التي وعد بها القدّيسون للحياة المقبلة. وفي الواقع، ها إنّ جميع الكائنات المنظورة تزول، ويزول مجد هذا العالم وتزول ملذّاته وطرائفه،

القسم الثاني

نموذج لخطاب مُختَصَر

٤٠ - ظروف الخطاب

إن وجدتَ طويلًا حديثي الذي به أثقّف إنسانًا، وكأنّه موجود أمامي، بأمور ديانتنا التي يجهلها، فاتّخذ آنذاك خطابًا سواه أقصر منه. لكن، لا يحقّ لك بحسب رأيي أن تأتي بما هو أطول منه. وإنّه لمهمّ جدًّا أن تنتبه للأفكار التي يوحي بها إليك الموضوع، حين تعالجه، ولتلك التي تجد مَن يستمع إليك، قابلًا، أو بالأحرى راغبًا فيها. وإذا ما اضطرّتك الضرورة إلى الإسراع، فعليك أن تختار الأسهل الذي يساعدك على عرض المسألة كاملة.

هَبْ أنّ إنسانًا جاءك طالبًا أن يصير مسيحيًّا، فطرحتَ عليه السؤال وأعطاك الجواب عينه الذي أعطاكه مَن سبقه، وإذا لم يكن كجواب مَن سبق تقول له كيف يجب أن يكون. وإليك الآن الطريقة التي يجب أن تتبعها معه:

٤١ - موجز الديانة المسيحيّة

وأَيمُ الحقّ، يا أخي، إنّها لرائعة تلك السعادة التي وعد بها القدّيسون للحياة المقبلة. وفي الواقع، ها إنّ جميع الكائنات المنظورة تزول، ويزول مجد هذا العالم وتزول ملذّاته وطرائفه،

لإبراهيم، وتحقّقت النبوءة: وُلد المسيح من مريم العذراء التي هي من نسل إبراهيم، وتكلّم الأنبياء بما سوف يلاقي من عذاب على الصليب على أيدي الشعب اليهوديّ، الذي وُلد منه بحسب الجسد، وهكذا تحقّقت النبوءات. وجاء أنّه سوف يقوم فقام. وبحسب نبوءات الأنبياء صعد إلى السماء، وأرسل الروح القدس إلى تلاميذه وجاء على لسان الأنبياء، بل على لسان يسوع، بالذات، أنّ كنيسته سوف تنتشر في العالم كلّه بواسطة الاستشهاد والآلام التي يقاسيها القدّيسون، علمًا بأنّ هذه النبوءة جاءت في زمن كان اسم يسوع مجهولًا بين الأمم وموضوع سخرية لدى مَن يعرفونه. ومع ذلك، وبفضل قوّة عجائبه، سواء تلك التي أتاها، بنفسه، أم بواسطة خدّامه، فقد آمن الناس بالعجائب التي بشّرت بتلك الأحداث لأنّنا منذ الآن نراها وقد تحقّقت. في الواقع، إنّ ملوك الأرض الذين كانوا من قبل يضطهدون المسيحيّين خضعوا فيما بعد لاسم المسيح. وجاء في النبوءات أنّ بدعًا وانشقاقات سوف تنبت في الكنيسة، وفي كلّ مكان، مستترة باسمه، باحثة عن مجدها وليس عن مجد المسيح. وهذا قد تمَّ أيضًا».

٤٣ - الحياة الأخرى

وهل نستنتج ممّا تقدّم أنّ النبوءات الباقية لن تتحقّق؟ كلّا. يتّضح أنّه كما تمّت النبوءات الأولى فسوف تتمّ الأخرى أيضًا أيًّا كانت المِحَن التي تنتظر الأبرار. إنّ يوم الدينونة آت لا محالة، وفيه يميَّز الأبرار من الأشرار ولا يضع المسيح، جانبًا، الناس الذين هم خارج الكنيسة فقط، ليلقي بهم إلى النار التي استحقّوها، بل القشّ الذي في الكنيسة ذاتها، وقد احتملته طويلًا وبصبر حتّى يوم

لإبراهيم، وتحقّقت النبوءة: وُلد المسيح من مريم العذراء التي هي من نسل إبراهيم، وتكلّم الأنبياء بما سوف يلاقي من عذاب على الصليب على أيدي الشعب اليهوديّ، الذي وُلد منه بحسب الجسد، وهكذا تحقّقت النبوءات. وجاء أنّه سوف يقوم فقام. وبحسب نبوءات الأنبياء صعد إلى السماء، وأرسل الروح القدس إلى تلاميذه وجاء على لسان الأنبياء، بل على لسان يسوع، بالذات، أنّ كنيسته سوف تنتشر في العالم كلّه بواسطة الاستشهاد والآلام التي يقاسيها القدّيسون، علمًا بأنّ هذه النبوءة جاءت في زمن كان اسم يسوع مجهولًا بين الأمم وموضوع سخرية لدى مَن يعرفونه. ومع ذلك، وبفضل قوّة عجائبه، سواء تلك التي أتاها، بنفسه، أم بواسطة خدّامه، فقد آمن الناس بالعجائب التي بشّرت بتلك الأحداث لأنّنا منذ الآن نراها وقد تحقّقت. في الواقع، إنّ ملوك الأرض الذين كانوا من قبل يضطهدون المسيحيّين خضعوا فيما بعد لاسم المسيح. وجاء في النبوءات أنّ بدعًا وانشقاقات سوف تنبت في الكنيسة، وفي كلّ مكان، مستترة باسمه، باحثة عن مجدها وليس عن مجد المسيح. وهذا قد تمَّ أيضًا».

٤٣ - الحياة الأخرى

وهل نستنتج ممّا تقدّم أنّ النبوءات الباقية لن تتحقّق؟ كلّا. يتّضح أنّه كما تمّت النبوءات الأولى فسوف تتمّ الأخرى أيضًا أيًّا كانت المِحَن التي تنتظر الأبرار. إنّ يوم الدينونة آت لا محالة، وفيه يميَّز الأبرار من الأشرار ولا يضع المسيح، جانبًا، الناس الذين هم خارج الكنيسة فقط، ليلقي بهم إلى النار التي استحقّوها، بل القشّ الذي في الكنيسة ذاتها، وقد احتملته طويلًا وبصبر حتّى يوم

والمحبّة، وكلّ فضيلة أخرى مماثلة، ولا نحبّها كما هي في البشر، بل كما هي في ينبوع الحكمة ذاتها التي لا تفسد ولا تتغيّر.

أجل، اتّحدْ بمَن تراهم يحبّون تلك الفضائل يصالحك الله بالمسيح الذي صار إنسانًا، ليكون وسيطًا بين الله والناس. أمّا الناس الأشرار، وإن دخلوا ضمن كنيسة ما، فلا تظنّهم يدخلون ملكوت السماوات، بل يطرحون منه في الساعة المعيّنة، إن لم يصيروا أفضل ممّا هم عليه. إقتدِ إذًا بالصالحين واحتمل الأشرار وأحبَّ الجميع، لأنّك لا تدري كيف يصبح غدًا مَن هو عاطل اليوم. إيّاك أن تحبّ ضلالهم، بل أحبّهم لكي يعتنقوا البرّ لأنّه أوصانا بأن نحبّ الله ونحبّ قريبنا أيضًا: ومن هاتين الوصيّتين تتألّف الشريعة كلّها (**متّى ٢٢: ٣٧-٤٠**). وحده يحفظ الشريعة الذي قبل هبة الروح القدس المساوي كلّيًا للآب والابن. وهذه الأقانيم الثلاثة هي الله، فيه نضع كلّ رجائنا ولا نضعه في إنسان أيًّا كان. إنّ الذي يبرّرنا ليس كالذين تبرّرنا معهم. إنّ إبليس لا يستعمل الشهوات لكي يجرّبنا وحسب، بل يستعمل الخوف من الشتائم والعذابات والموت ذاته. ومهما تألّم إنسان من أجل المسيح، فسوف يكافأ مكافأة عظمى إذا تحمّل آلامه، وظلّ قويًّا رجاؤه بالحياة الأبديّة. أمّا إذا استسلم للشيطان فسوف يُشجب معه. «إنّ أعمال الرحمة المقرونة بالتقوى والتواضع تنال من الربّ النعمة لخدّامه لئلّا يُجرّبوا فوق ما يستطيعون» (**١ قور ١٠: ١٣**).

والمحبّة، وكلّ فضيلة أخرى مماثلة، ولا نحبّها كما هي في البشر، بل كما هي في ينبوع الحكمة ذاتها التي لا تفسد ولا تتغيّر.

أجل، اتّحدْ بمَن تراهم يحبّون تلك الفضائل يصالحك الله بالمسيح الذي صار إنسانًا، ليكون وسيطًا بين الله والناس. أمّا الناس الأشرار، وإن دخلوا ضمن كنيسة ما، فلا تظنّهم يدخلون ملكوت السماوات، بل يطرحون منه في الساعة المعيّنة، إن لم يصيروا أفضل ممّا هم عليه. إقتدِ إذًا بالصالحين واحتمل الأشرار وأحبَّ الجميع، لأنّك لا تدري كيف يصبح غدًا مَن هو عاطل اليوم. إيّاك أن تحبّ ضلالهم، بل أحبّهم لكي يعتنقوا البرّ لأنّه أوصانا بأن نحبّ الله ونحبّ قريبنا أيضًا: ومن هاتين الوصيّتين تتألّف الشريعة كلّها (**متّى ٢٢: ٣٧-٤٠**). وحده يحفظ الشريعة الذي قبل هبة الروح القدس المساوي كلّيًّا للآب والابن. وهذه الأقانيم الثلاثة هي الله، فيه نضع كلّ رجائنا ولا نضعه في إنسان أيًّا كان. إنّ الذي يبرّرنا ليس كالذين تبرّرنا معهم. إنّ إبليس لا يستعمل الشهوات لكي يجرّبنا وحسب، بل يستعمل الخوف من الشتائم والعذابات والموت ذاته. ومهما تألّم إنسان من أجل المسيح، فسوف يكافأ مكافأة عظمى إذا تحمّل آلامه، وظلّ قويًّا رجاؤه بالحياة الأبديّة. أمّا إذا استسلم للشيطان فسوف يُشجب معه. «إنّ أعمال الرحمة المقرونة بالتقوى والتواضع تنال من الربّ النعمة لخدّامه لئلّا يُجرّبوا فوق ما يستطيعون» (**١ قور ١٠: ١٣**).

في الحياة السعيدة

في الحياة السعيدة

توطئة

في اليوم الثالث عشر من شهر نوڤمبر العام ٣٨٦ احتفل أوغسطينس بذكرى ولادته، بشكل قلّما عرفه أبناء هذا الدهر وألِفُوه، إذ دعا نخبة من أصدقائه، طلّاب الحقيقة التي طالما بحث عنها وناضل في سبيلها حتّى اهتدى إليها أخيرًا. فأبى إلّا أن يشرك فيها زملاء له، تشدُّه إليهم مودّة موثوق بها، دعاهم إلى منتجع الحمّامات في مدينة كَسِيشِياكُم، وضمَّ إلى تلك المجموعة التي سوف يتعرّف القارئ إلى أعضائها بأسمائهم، من خلال النصّ، أمّه مونيكا وابنه أديودات Adéodat. وإلى جانب الطعام المادّيّ الذي كان لا بدَّ منه للجسد، ثمَّة طعام آخر أهمّ وأبقى، للعقل والروح.

صحيح أنّ الدعوة إلى ذلك المنتجع كانت مناسبةً لإحياء ذكرى ولادة أوغسطينس الذي أتمّ السنة الثانية والثلاثين من عمره، فما خرج فيها من عادة معروفة في كلّ بلدان العالم، شرقًا وغربًا، لكنّه لم يكتفِ بما درج عليه الناس، بل ضمَّنها ما سوف نراه من قراءة للنصّ، ونجح في الحصول على ما أراد وهو أنّه شاءَ أن يوحِّد رأي زملائه على مستوى معيَّن في نظرتهم إلى الحقيقة التي إذا تعرَّف الإنسان إليها، ذاق طعم السعادة التي يتوخّاها، والتي لا يجد بديلًا عنها في معترك هذه الحياة.

ويعترف صاحب الدعوة بأنّ ضيوفه المدعوّين قدَّموا إلى مائدته العقليّة أكثر ممّا قدَّم، حتّى وجد نفسه مدعوًّا يفيد من تقدمات

توطئة

في اليوم الثالث عشر من شهر نوڤمبر العام ٣٨٦ احتفل أوغسطينس بذكرى ولادته، بشكل قلّما عرفه أبناء هذا الدهر وألِفُوه، إذ دعا نخبة من أصدقائه، طلّاب الحقيقة التي طالما بحث عنها وناضل في سبيلها حتّى اهتدى إليها أخيرًا. فأبى إلّا أن يشرك فيها زملاء له، تشدُّه إليهم مودّة موثوق بها، دعاهم إلى منتجع الحمّامات في مدينة كَسِيشِياكُم، وضمَّ إلى تلك المجموعة التي سوف يتعرّف القارئ إلى أعضائها بأسمائهم، من خلال النصّ، أمّه مونيكا وابنه أديودات Adéodat. وإلى جانب الطعام المادّيّ الذي كان لا بدَّ منه للجسد، ثمَّة طعام آخر أهمّ وأبقى، للعقل والروح.

صحيح أنّ الدعوة إلى ذلك المنتجع كانت مناسبةً لإحياء ذكرى ولادة أوغسطينس الذي أتمّ السنة الثانية والثلاثين من عمره، فما خرج فيها من عادة معروفة في كلّ بلدان العالم، شرقًا وغربًا، لكنّه لم يكتفِ بما درج عليه الناس، بل ضمَّنها ما سوف نراه من قراءة للنصّ، ونجح في الحصول على ما أراد وهو أنّه شاءَ أن يوحِّد رأي زملائه على مستوى معيَّن في نظرتهم إلى الحقيقة التي إذا تعرَّف الإنسان إليها، ذاق طعم السعادة التي يتوخّاها، والتي لا يجد بديلًا عنها في معترك هذه الحياة.

ويعترف صاحب الدعوة بأنّ ضيوفه المدعوّين قدَّموا إلى مائدته العقليّة أكثر ممّا قدَّم، حتّى وجد نفسه مدعوًّا يفيد من تقدمات

في الحياة السعيدة
إهداء المناقشة إلى مِنِلِيُوس تيودورُس

١ - أمّا وقد ألقينا مرساتنا على جوانب الأرض الصلبة للحياة السعيدة، بفضل العقل والإرادة، فلستُ أغالي إن قلتُ لك، أيّها العالم تيودوروس، يا ذا النفس الأبيَّة، إنّنا نرى قلّة نادرة من الناس تصل إلى ما وصلنا إليه.

إنّنا لأشبهُ بمَن انطلقوا في بحر هائج، تتقاذفنا أمواجه، يمنةً ويسرة. ولسنا ندري إن كان قد تمّ ذلك بفضلٍ من الله أم هي الطبيعة والحاجة. أهي إرادتنا أم أسباب كثيرة تضافرت جميعها فوصلنا إلى ما نحن فيه؟ إنّها لنقطة غامضة ما تردّدتُ في أن ألقيَ عليها بعضَ النور.

أيًّا يكن السبب، قليلون هم الذين يعرفون المكان الذي يجب الوصول إليه، وكيف هي العودة منه، إن هبّت عاصفة مضادّة، وألقت بنا، رغمًا عنّا، مع كلّ ما نبدي من جهود، على ما نحن فيه من جهل وضلال، فوق الأرض التي نتوق إليها بكلّ قوانا.

٢ - بين الناس المؤهَّلين لأن تقبلهم الفلسفة ثلاث فئات من الملّاحين: نبدأ بالذين، منذ أن يبلغوا سنّ الرشد، لا يحتاجون إلّا إلى انطلاقةٍ بسيطة، وإلى القليل من التجذيف ليتخلّوا عن مكان قريب جدًّا، وصولًا إلى ذلك الميناء الأمين، ومنه يُرسِلون إلى أكبر

في الحياة السعيدة
إهداء المناقشة إلى مِنِلِيُوس تيودورُس

١ - أمّا وقد ألقينا مرساتنا على جوانب الأرض الصلبة للحياة السعيدة، بفضل العقل والإرادة، فلستُ أغالي إن قلتُ لك، أيّها العالم تيودوروس، يا ذا النفس الأبيَّة، إنّنا نرى قلّة نادرة من الناس تصل إلى ما وصلنا إليه.

إنّنا لأشبهُ بمَن انطلقوا في بحر هائج، تتقاذفنا أمواجه، يمنةً ويسرة. ولسنا ندري إن كان قد تمّ ذلك بفضلٍ من الله أم هي الطبيعة والحاجة. أهي إرادتنا أم أسباب كثيرة تضافرت جميعها فوصلنا إلى ما نحن فيه؟ إنّها لنقطة غامضة ما تردّدتُ في أن ألقيَ عليها بعضَ النور.

أيًّا يكن السبب، قليلون هم الذين يعرفون المكان الذي يجب الوصول إليه، وكيف هي العودة منه، إن هبّت عاصفة مضادّة، وألقت بنا، رغمًا عنّا، مع كلّ ما نبدي من جهود، على ما نحن فيه من جهل وضلال، فوق الأرض التي نتوق إليها بكلّ قوانا.

٢ - بين الناس المؤهَّلين لأن تقبلهم الفلسفة ثلاث فئات من الملّاحين: نبدأ بالذين، منذ أن يبلغوا سنّ الرشد، لا يحتاجون إلّا إلى انطلاقةٍ بسيطة، وإلى القليل من التجذيف ليتخلّوا عن مكان قريب جدًّا، وصولًا إلى ذلك الميناء الأمين، ومنه يُرسِلون إلى أكبر

في حياة السلام التي يسعون إليها بالإجماع.

عقبة مشتركة

٣ - أيًّا تكن الوسيلة التي يتّخذها الملّاحون، وصولًا إلى شواطئ الحياة السعيدة، عليهم أن يخشوا خطرًا رهيبًا، وأن يتحصَّنوا بالفطنة تجنّبًا له: وهو كناية عن صخرٍ هائل، قائم على مدخل الميناء، يجعل الدخول فيه صعبًا. إنّه لعلى لمعانٍ شديد يغمره نور وهميّ وكأنّه يدعو الواصلين إليه والذين لم يصلوا إلى البقاء، ويعدهم بأرضٍ سعيدة، يتوقون إليها. والأفضلُ من ذلك كلّه، هو أنّه يحفّز الناس إلى مغادرة الميناء، كما يستبقيهم في حالة من السكر، من الأعالي وفيها، ينظرون باحتقارٍ إلى الآخرين من دون أن يمنعهم من أن يعلنوا أحيانًا للقادمين، عن شواطئ خفيّة تحت المياه، أو عن صعوبة الصعود إليهم، أو يشيرون إليهم بالتراجع عن السبيل الذي يمكنهم أن يتّخذوه، من دون أيّ خطر، وصولًا إلى اليابسة القريبة جدًّا منهم. وهكذا، وفيما يأبون، عن حسد، تركَهم يصلون إلى مجدهم الباطل، نراهم يدلّونهم إلى المكان الآمن.

ما هو الصخر الذي يسعى العقل إلى أن يحذّر منه الذين يتقدّمون إلى الفلسفة، إن لم يكن ذلك الجهد المتباهي سعيًا إلى مجد باطل؟ آنذاك لا شيء يثبت ويبقى في البناء، فيبتلع أورام الصَلَف التي تتقدّم فوق أرضه السريعة العطب، فتتفلّع تحت الأقدام وتنتزع من المساكن الوهّاجة أولئك الذين كادوا أن يلمّحوها لتلقي بهم في الظلمات.

في حياة السلام التي يسعون إليها بالإجماع.

عقبة مشتركة

٣ - أيًّا تكن الوسيلة التي يتّخذها الملّاحون، وصولًا إلى شواطئ الحياة السعيدة، عليهم أن يخشوا خطرًا رهيبًا، وأن يتحصَّنوا بالفطنة تجنّبًا له: وهو كناية عن صخرٍ هائل، قائم على مدخل الميناء، يجعل الدخول فيه صعبًا. إنّه لعلى لمعانٍ شديد يغمره نور وهميّ وكأنّه يدعو الواصلين إليه والذين لم يصلوا إلى البقاء، ويعدهم بأرضٍ سعيدة، يتوقون إليها. والأفضلُ من ذلك كلّه، هو أنّه يحفّز الناس إلى مغادرة الميناء، كما يستبقيهم في حالة من السكر، من الأعالي وفيها، ينظرون باحتقارٍ إلى الآخرين من دون أن يمنعهم من أن يعلنوا أحيانًا للقادمين، عن شواطئ خفيّة تحت المياه، أو عن صعوبة الصعود إليهم، أو يشيرون إليهم بالتراجع عن السبيل الذي يمكنهم أن يتّخذوه، من دون أيّ خطر، وصولًا إلى اليابسة القريبة جدًّا منهم. وهكذا، وفيما يأبون، عن حسد، تركَهم يصلون إلى مجدهم الباطل، نراهم يدلّونهم إلى المكان الآمن.

ما هو الصخر الذي يسعى العقل إلى أن يحذّر منه الذين يتقدّمون إلى الفلسفة، إن لم يكن ذلك الجهد المتباهي سعيًا إلى مجد باطل؟ آنذاك لا شيء يثبت ويبقى في البناء، فيبتلع أورام الصَلَف التي تتقدّم فوق أرضه السريعة العطب، فتتفلّع تحت الأقدام وتنتزع من المساكن الوهّاجة أولئك الذين كادوا أن يلمّحوها لتلقي بهم في الظلمات.

للكتب الإلهيّة، فُتِنْتُ بها فقرَّرتُ أن أقطع كلّ حبال مركبي.

غير أنّ المحبّة التي كانت تشدُّني إلى بعض الأشخاص منعتني. وإذ كنتُ مستندًا إلى نظريّات باطلة، فما هو العون الذي انتظرتُه من عاصفة بدت كالكارثة عليَّ؟ حينذاك شعرتُ بوجع في صدري وثقلت عليَّ مهنة كنت أمارسُها جعلتني أدقّ صفّارة العودة، فأرخيتُ أشرعتي وتوجّهت بمركبي المصدَّع والمترجرج صوب الأمان المنشود.

نداء موجّه إلى منليوس - حالة النقاش

٥ - إنّك لترى جيّدًا نوعيّة الفلسفة التي فيها انطلقت، وكأنّي في ميناء. بيد أنّ مساحة المرسى الكبرى لا تخلو من خطر الضياع، وإن يكن قليلًا. وإنّي لأجهل، على أيّة أرض، وحدها أرض سعادة، عليَّ أن أتوجّه وأنزل فيها.

أيّ شيء هو صلب ومتين في نظري، أنا مَن يتردّد ولا أستطيع أن أقرّر وأحزم أمري وأختار الضروريّ للنفس؟ لهذا أرجوك، بما لك من فضل وإنسانيّة وحسن علاقة، أن تمدَّ إليَّ يدك، أي أن تحبّني وتعرف أنّي أُبادلك هذا الحبّ بشدّة. إن تجاوبتَ مع ندائي، فإنّ الحياة السعيدة هذه التي، على ما أعتقد، هي حياتك، أنت أيضًا، لا تتطلّب منّي سوى القليل من الجهد لكي أصل إليها.

أردتُ أن أطلعك على سلوكي مع المقرَّبين إليَّ سيرًا بهم إلى ذاك الميناء، فأعرّفك من خلال ذلك، وبدقّة، بما أنا عليه، لأنّني لا أجد علامة سواها: كما فكّرت أيضًا في أن أتوجّه إليك كتابةً وأقدّم ما يبدو لي، في مناقشاتي، مرتبطًا بالديانة وجديرًا بامتيازك.

للكتب الإلهيّة، فُتِنْتُ بها فقرَّرتُ أن أقطع كلّ حبال مركبي.

غير أنّ المحبّة التي كانت تشدُّني إلى بعض الأشخاص منعتني. وإذ كنتُ مستندًا إلى نظريّات باطلة، فما هو العون الذي انتظرتُه من عاصفة بدت كالكارثة عليَّ؟ حينذاك شعرتُ بوجع في صدري وثقلت عليَّ مهنة كنت أمارسُها جعلتني أدقّ صفّارة العودة، فأرخيتُ أشرعتي وتوجّهت بمركبي المصدَّع والمترجرج صوب الأمان المنشود.

نداء موجّه إلى منليوس - حالة النقاش

٥ - إنّك لترى جيّدًا نوعيّة الفلسفة التي فيها انطلقت، وكأنّي في ميناء. بيد أنّ مساحة المرسى الكبرى لا تخلو من خطر الضياع، وإن يكن قليلًا. وإنّي لأجهل، على أيّة أرض، وحدها أرض سعادة، عليَّ أن أتوجّه وأنزل فيها.

أيّ شيء هو صلب ومتين في نظري، أنا مَن يتردّد ولا أستطيع أن أقرّر وأحزم أمري وأختار الضروريّ للنفس؟ لهذا أرجوك، بما لك من فضل وإنسانيّة وحسن علاقة، أن تمدَّ إليَّ يدك، أي أن تحبّني وتعرف أنّي أُبادلك هذا الحبّ بشدّة. إن تجاوبتَ مع ندائي، فإنّ الحياة السعيدة هذه التي، على ما أعتقد، هي حياتك، أنت أيضًا، لا تتطلّب منّي سوى القليل من الجهد لكي أصل إليها.

أردتُ أن أطلعك على سلوكي مع المقرَّبين إليَّ سيرًا بهم إلى ذاك الميناء، فأعرّفك من خلال ذلك، وبدقّة، بما أنا عليه، لأنّني لا أجد علامة سواها: كما فكّرت أيضًا في أن أتوجّه إليك كتابةً وأقدّم ما يبدو لي، في مناقشاتي، مرتبطًا بالديانة وجديرًا بامتيازك.

لدى الجميع، ما عدا نافيجيوس الذي يجهل ذلك، على حدّ قوله. وأنا: هل هذا يعني أنّك تجهل كلّ شيء، أو أنّ ذلك هو نقطة فقط ممّا تجهله؟ - لا أظنّ أنّني أجهل كلّ شيء. - حينذاك، هل يمكنك أن تقول لنا شيئًا ممّا تعرفه؟ - أجل - إذًا، إن لم يكن في الأمر إزعاج، قل لنا شيئًا ممّا تعرف - أجل - إن لم يكن هذا يزعجك فقله -. وبما أنّه لم يكن ليقرّر شيئًا سألته: «أنت تعرف أنّك تعيش؟ - أجل، أعرف ذلك. - أنت تعرف أنّك تملك الحياة إن صحَّ بأن لا أحد يستطيع أن يعيش بدون الحياة؟ - هذا أيضًا أعرفه. - هل تعرف أن لك جسدًا؟ - أجل. وأكملتُ قائلًا: أنتَ إذًا تعرف أنّك قائم في نفس وجسد. - أنا عالم، بانتظار البرهان عن العكس، ولكنّي لستُ أدري إن لم يكن شيء آخر. - لا تشكّ في أنّ لك شيئين هما النفس والجسد؛ ولكنّك لستَ تعرف إن كان شيء آخر يجعل الإنسانَ كاملًا. - من كلّ بدّ - سوف نبحث، في المرّة القادمة، إن قرّرنا، ما يمكن أن يكون ذلك. في الوقت الحاضر، ما دمنا نقول أن لا إنسان بدون نفس وجسد فإنّي أطرح على الجميع السؤال التالي: إلى أيّ من الاثنين نريد غذاءً؟ - للجسد، أجاب ليشنسيوس. لكنّ الآخرين كانوا متردّدين وراحوا يناقشون البراهين، ليعرفوا كيف يكون الغذاء ضروريًّا للجسد، في حين أنّهم يتمنّونه للحياة، وهذه تهمّ النفس. إذ ذاك قلتُ: . . «يبدو لكم أنّ الغذاء ضروريّ لهذا الجزء الذي نراه ينمو ويقوى بفضل الغذاء». لقد قبلوا بما قلتُ، ما عدا تريجنسيوس الذي اعترض قائلًا: ولِمَ إذًا لم أبلغ الحجم الذي يعادل الكمّيّة التي ابتلعتها؟ - أَجبتُ: «إنّ لكلّ من الاجسام قيامًا خاصًّا تعطيه الطبيعة ولا يسعها أن تتجاوزه. يمكنها أن تكون أقلّ من القياس العاديّ إذا نقصت الأطعمة، وهذا يظهر

لدى الجميع، ما عدا نافيجيوس الذي يجهل ذلك، على حدّ قوله. وأنا: هل هذا يعني أنّك تجهل كلّ شيء، أو أنّ ذلك هو نقطة فقط ممّا تجهله؟ - لا أظنّ أنّني أجهل كلّ شيء. - حينذاك، هل يمكنك أن تقول لنا شيئًا ممّا تعرفه؟ - أجل - إذًا، إن لم يكن في الأمر إزعاج، قل لنا شيئًا ممّا تعرف - أجل - إن لم يكن هذا يزعجك فقله -. وبما أنّه لم يكن ليقرّر شيئًا سألته: «أنت تعرف أنّك تعيش؟ - أجل، أعرف ذلك. - أنت تعرف أنّك تملك الحياة إن صحَّ بأن لا أحد يستطيع أن يعيش بدون الحياة؟ - هذا أيضًا أعرفه. - هل تعرف أن لك جسدًا؟ - أجل. وأكملتُ قائلًا: أنتَ إذًا تعرف أنّك قائم في نفس وجسد. - أنا عالم، بانتظار البرهان عن العكس، ولكنّي لستُ أدري إن لم يكن شيء آخر. - لا تشكّ في أنّ لك شيئين هما النفس والجسد؛ ولكنّك لستَ تعرف إن كان شيء آخر يجعل الإنسانَ كاملًا. - من كلّ بدّ - سوف نبحث، في المرّة القادمة، إن قرّرنا، ما يمكن أن يكون ذلك. في الوقت الحاضر، ما دمنا نقول أن لا إنسان بدون نفس وجسد فإنّي أطرح على الجميع السؤال التالي: إلى أيّ من الاثنين نريد غذاءً؟ - للجسد، أجاب ليشنسيوس. لكنّ الآخرين كانوا متردّدين وراحوا يناقشون البراهين، ليعرفوا كيف يكون الغذاء ضروريًّا للجسد، في حين أنّهم يتمنّونه للحياة، وهذه تهمّ النفس. إذ ذاك قلتُ: . . «يبدو لكم أنّ الغذاء ضروريّ لهذا الجزء الذي نراه ينمو ويقوى بفضل الغذاء». لقد قبلوا بما قلتُ، ما عدا تريجنسيوس الذي اعترض قائلًا: ولِمَ إذًا لم أبلغ الحجم الذي يعادل الكمّيّة التي ابتلعتها؟ - أجبتُ: «إنّ لكلّ من الاجسام قيامًا خاصًّا تعطيه الطبيعة ولا يسعها أن تتجاوزه. يمكنها أن تكون أقلّ من القياس العاديّ إذا نقصت الأطعمة، وهذا يظهر

يتشبَّعوا من الفنون الحرّة تبقى في صيام، وإنّها لتتضوَّر جوعًا، نوعًا ما. ثمّ استطرد تريجنسيوس قائلًا: إنّ تلك العقول تطفح عيبًا وكسلًا. - صدّقني إنّ تلك الحالة هي ظلمة ومجاعة فكريّة. وكما أنّ الجسم الذي لم يعد يتغذّى بالأطعمة تجتاحه الأمراض والقروح، وهي آفات يتسبَّب بها سوء التغذية، كذلك هي حال عقول أولئك الناس التي، من خلال ما بها من أمراض، تبرهن عن صيامها. وفعلًا لقد أراد الأقدمون أن يسمُّوا الكسل أمَّ جميع الرذائل، لكونه باطلًا ونقيصةً ولا يُعَدُّ شيئًا. والزهد في المأكل فضيلة وهو نقيض تلك الرذيلة. وكما أنّ لفظة «الزهد (بالطعام)» يقابلها باللاتينيّة كلمة Frugalitas القريبة من كلمة frux، أي الثمر، وما يؤتي ثمرًا في النفوس، كذلك لفظة كسل، وباللاتينيّة Nequitia، تعني نوعًا من العقم، أي اللاشيء. لا يُعدّ شيئًا كلّ ما يذوب ويسيل، وفي النهاية يموت دومًا. إنّنا ندعو الناس الذين هم من ذاك النوع «مُفلِسين»، وإنّما الناجح هو الذي يبقى ويستمرّ، كما هي الفضيلة، وأعظم وأجمل ما فيها هو الاعتدال والزهد. ولكن إذا كان قولي كثير الغموض غير قابل للفهم، صدّقوني، إنّه إن كانت نفوس الكسالى، هي أيضًا ملأى، نجد أنواعًا من الأطعمة، للجسد، كما للنفس، منها المفيد والصحّيّ، ومنها السامّ والضارّ.

النقاش الحاليّ يتّخذ معنى الوليمة الروحيّة

٩ - أمّا وقد وصلنا إلى هذه النقطة من النقاش، وما دمنا قد اتّفقنا على أنّ هذين الاثنين: النفس والجسد هما في الإنسان، أقرّر أنّ من واجبي، في تذكاري السنويّ، أن أقدّم غذاءً أوفر من العاديّ، ليس لأجسادنا وحسب، بل لنفوسنا أيضًا. ما هو هذا

يتشبَّعوا من الفنون الحرّة تبقى في صيام، وإنّها لتتضوَّر جوعًا، نوعًا ما. ثمّ استطرد تريجنسيوس قائلًا: إنّ تلك العقول تطفح عيبًا وكسلًا. - صدّقني إنّ تلك الحالة هي ظلمة ومجاعة فكريّة. وكما أنّ الجسم الذي لم يعد يتغذّى بالأطعمة تجتاحه الأمراض والقروح، وهي آفات يتسبَّب بها سوء التغذية، كذلك هي حال عقول أولئك الناس التي، من خلال ما بها من أمراض، تبرهن عن صيامها. وفعلًا لقد أراد الأقدمون أن يسمُّوا الكسل أمَّ جميع الرذائل، لكونه باطلًا ونقيصةً ولا يُعَدُّ شيئًا. والزهد في المأكل فضيلة وهو نقيض تلك الرذيلة. وكما أنّ لفظة «الزهد (بالطعام)» يقابلها باللاتينيّة كلمة Frugalitas القريبة من كلمة frux، أي الثمر، وما يؤتي ثمرًا في النفوس، كذلك لفظة كسل، وباللاتينيّة Nequitia، تعني نوعًا من العقم، أي اللاشيء. لا يُعدّ شيئًا كلّ ما يذوب ويسيل، وفي النهاية يموت دومًا. إنّنا ندعو الناس الذين هم من ذاك النوع «مُفلِسين»، وإنّما الناجح هو الذي يبقى ويستمرّ، كما هي الفضيلة، وأعظم وأجمل ما فيها هو الاعتدال والزهد. ولكن إذا كان قولي كثير الغموض غير قابل للفهم، صدّقوني، إنّه إن كانت نفوس الكسالى، هي أيضًا ملأى، نجد أنواعًا من الأطعمة، للجسد، كما للنفس، منها المفيد والصحّيّ، ومنها السامّ والضارّ.

النقاش الحاليّ يتّخذ معنى الوليمة الروحيّة

٩ - أمّا وقد وصلنا إلى هذه النقطة من النقاش، وما دمنا قد اتّفقنا على أنّ هذين الاثنين: النفس والجسد هما في الإنسان، أقرّر أنّ من واجبي، في تذكاري السنويّ، أن أقدّم غذاءً أوفر من العاديّ، ليس لأجسادنا وحسب، بل لنفوسنا أيضًا. ما هو هذا

ما لا يليق. إنّ الإرادة الفاسدة تحمل إلى الإنسان، في الواقع، شرًّا أعظم ممّا تحمله الصالحة من خير. عندما سمعتْ أمّي تلك الكلمات هتفتْ بأعلى صوتها، فشعرنا وكأنّ رجلًا عظيمًا يقيم معنا؟ وقد كنتُ أفهم قدر المستطاع من أيّ ينبوع إلهيّ كانت تفيض كلماتها: حينذاك قال ليشنسيوس: . . «إنّما يعود إليك أن تقول لنا ما يجب علينا أن نعمل، وماذا يجب أن نعمل لكي نكون سعداء». - أجبته للحال: «أدعني في اليوم الذي تحتفل فيه بعيدك السنويّ، إن حسن لديك، لآخذ من كلّ ما سوف تضعه على مائدتك»: وعملًا بهذا الشرط دعوتك اليوم لتناول الطعام إلى مائدتي، وألّا تطلب ما قد لا نكون قد حضّرناه لك. . . عبَّر عن أسفه لكونه قد خلق سببًا للتذكير بهذه الدعوة اللطيفة إلى النظام.

حينذاك قلتُ: . . لقد اتّفقنا على القول إنّه لا يستطيع أحد أن يكون سعيدًا إن لم يكن له ما يريد، ولا يكفي أن يكون للإنسان ما يريد لكي يكون سعيدًا. وتوافقنا جميعًا.

السعادة هي نوع من امتلاك ما لا يتغيَّر

١١ - وبمَ تجيبون؟ هل توافقون على أنّ مَن لا يكون سعيدًا هو تعيس؟ لم يتردَّدوا في الموافقة. وتابعتُ قائلًا: «إذًا، كلّ كائنٍ لا يملك ما يريد هو تعيس». وكانوا جميعًا من هذا الرأي. . . وماذا يجب أن يكون للإنسان حتّى يكون سعيدًا؟ ذاك كان سؤالي. (إنّ في هذا السؤال ما يزيد على مائدتنا لأنّ شهيّة ليشنسيوس مأخوذة بعين الاعتبار). . أرى أنّ عليه أن يؤمّن لذاته ما يتمكّن منه حين يريد. فكان جوابهم أنّ ذلك واضح. «ذاك ما يجب أن يكون دومًا حاضرًا، بقطع النظر عن الحظّ، خارجًا عن كلّ قدر، لأنّ كلّ مدعوّ

ما لا يليق. إنّ الإرادة الفاسدة تحمل إلى الإنسان، في الواقع، شرًّا أعظم ممّا تحمله الصالحة من خير. عندما سمعتْ أمّي تلك الكلمات هتفتْ بأعلى صوتها، فشعرنا وكأنّ رجلًا عظيمًا يقيم معنا؟ وقد كنتُ أفهم قدر المستطاع من أيّ ينبوع إلهيّ كانت تفيض كلماتها: حينذاك قال ليشنسيوس: . . «إنّما يعود إليك أن تقول لنا ما يجب علينا أن نعمل، وماذا يجب أن نعمل لكي نكون سعداء». - أجبته للحال: «أدعني في اليوم الذي تحتفل فيه بعيدك السنويّ، إن حسن لديك، لآخذ من كلّ ما سوف تضعه على مائدتك»: وعملًا بهذا الشرط دعوتك اليوم لتناول الطعام إلى مائدتي، وألّا تطلب ما قد لا نكون قد حضّرناه لك. . . عبَّر عن أسفه لكونه قد خلق سببًا للتذكير بهذه الدعوة اللطيفة إلى النظام.

حينذاك قلتُ: . . لقد اتّفقنا على القول إنّه لا يستطيع أحد أن يكون سعيدًا إن لم يكن له ما يريد، ولا يكفي أن يكون للإنسان ما يريد لكي يكون سعيدًا. وتوافقنا جميعًا.

السعادة هي نوع من امتلاك ما لا يتغيَّر

١١ - وبمَ تجيبون؟ هل توافقون على أنّ مَن لا يكون سعيدًا هو تعيس؟ لم يتردَّدوا في الموافقة. وتابعتُ قائلًا: «إذًا، كلّ كائنٍ لا يملك ما يريد هو تعيس». وكانوا جميعًا من هذا الرأي. . . وماذا يجب أن يكون للإنسان حتّى يكون سعيدًا؟ ذاك كان سؤالي. (إنّ في هذا السؤال ما يزيد على مائدتنا لأنّ شهيّة ليشنسيوس مأخوذة بعين الاعتبار). . أرى أنّ عليه أن يؤمّن لذاته ما يتمكّن منه حين يريد. فكان جوابهم أنّ ذلك واضح. «ذاك ما يجب أن يكون دومًا حاضرًا، بقطع النظر عن الحظّ، خارجًا عن كلّ قدر، لأنّ كلّ مدعوّ

لم يبقَ لنا سوى أن نتساءل عن الإنسان الذي يملك الله، لأنّه هو الذي يكون سعيدًا. أسألكم الآن عن رأيكم في الموضوع، وكيف يبدو لكم ذلك؟ فما كان من ليشنسيوس إلّا أن قال: «يملك الله هو مَن يعيش عيشة حسنة. . .» ويضيف تريجنسيوس قائلًا: «. . يملك الله كلّ ما يريده الله أن يعمل». قَبِل لاستيديانُس بذاك الجواب، بيد أنّ ابني، وهو أصغرهم جميعًا قال: . . يملك الله هو مَن كان نقيَّ الفكر. . وصادقت أمّي على كلّ تلك الأجوبة، وبخاصّة على هذا الجواب الأخير. وبينما كان نافيجيوس محتفظًا بالصمت سألتهُ رأيه فأجاب بأنّه يوافق على الجواب الأخير. ولم أجد بدًّا من طرح السؤال على روستيكُس لكي يبدي رأيه في الموضوع هو الذي كان يبدو لي محتفظًا بصمته، ليس عن قلق، بل عن خفر، وكان موافقًا في الرأي مع تريجسيوس.

معنى الانقطاع وتقديم الصحراء الفكريّة

١٣ - واستعدتُ الكلام فقلتُ: . . لقد جمعتُ الآن آراء الكلّ في هذه النقطة ذات الأهمّيّة الأولى: لن يكونَ البحثُ ملائمًا، في ما بعدها، لأنّه يستحيل وجود أيّ شيء آخر: حسبنا مستقبلًا، أن نتابع ما بدأناه بكثير من الصدق والصفاء، على أنّ هذا الامتحان طويل جدًّا في هذا اليوم، وفضلًا عن ذلك، فإنّ عقولًا ترتمي بلا اعتدال، وبكل نهم، على رزقها تكون على شيء من الفجور، فتهضم بصعوبة. وعلى هذا النحو، يُخشى منها على صحّة العقل، كما هو الجوع الذي تحدّثنا عنه منذ قليل. وهكذا، فإن شئتم، سوف تجدنا هذه المسألة، غدًا، أكثرَ استعدادًا، إذ نكون في جوع.

إن وافقتُ على شيء ما، فلكي أقرّب من شفاهكم ما يبادر إلى

لم يبقَ لنا سوى أن نتساءل عن الإنسان الذي يملك الله، لأنّه هو الذي يكون سعيدًا. أسألكم الآن عن رأيكم في الموضوع، وكيف يبدو لكم ذلك؟ فما كان من ليشنسيوس إلّا أن قال: «يملك الله هو مَن يعيش عيشة حسنة. . .» ويضيف تريجنسيوس قائلًا: «. . يملك الله كلّ ما يريده الله أن يعمل». قَبِل لاستيديانُس بذاك الجواب، بيد أنّ ابني، وهو أصغرهم جميعًا قال: . . يملك الله هو مَن كان نقيَّ الفكر. . وصادقت أمّي على كلّ تلك الأجوبة، وبخاصّة على هذا الجواب الأخير. وبينما كان نافيجيوس محتفظًا بالصمت سألتهُ رأيه فأجاب بأنّه يوافق على الجواب الأخير. ولم أجد بدًّا من طرح السؤال على روستيكُس لكي يبدي رأيه في الموضوع هو الذي كان يبدو لي محتفظًا بصمته، ليس عن قلق، بل عن خفر، وكان موافقًا في الرأي مع تريجسيوس.

معنى الانقطاع وتقديم الصحراء الفكريّة

١٣ - واستعدتُ الكلام فقلتُ: . . لقد جمعتُ الآن آراء الكلّ في هذه النقطة ذات الأهمّيّة الأولى: لن يكونَ البحثُ ملائمًا، في ما بعدها، لأنّه يستحيل وجود أيّ شيء آخر: حسبنا مستقبلًا، أن نتابع ما بدأناه بكثير من الصدق والصفاء، على أنّ هذا الامتحان طويل جدًّا في هذا اليوم، وفضلًا عن ذلك، فإنّ عقولًا ترتمي بلا اعتدال، وبكل نهم، على رزقها تكون على شيء من الفجور، فتهضم بصعوبة. وعلى هذا النحو، يُخشى منها على صحّة العقل، كما هو الجوع الذي تحدّثنا عنه منذ قليل. وهكذا، فإن شئتم، سوف تجدنا هذه المسألة، غدًا، أكثرَ استعدادًا، إذ نكون في جوع.

إن وافقتُ على شيء ما، فلكي أقرّب من شفاهكم ما يبادر إلى

لأليبيوس: فإمّا أن نتقاسمه أو يقول لي لماذا لا يجوز المسُّ به؟ - إنّ الحلويات، أقول، هي موضوع خوفٍ لنا على فيجيوس بسبب حالة كبده السيّئة! إذذاك أجابني هذا، ضاحكًا: «بالعكس، هذا هو ما يلزمني لأنّي لست أعرف كيف أنّ هذا الطعام المعقّد وعلى شيء من الحموضة وقد وضعتُ فيه، على حدّ ما قال الآخر، عسلًا من «الهِمات» de l'Hymette، وهو حلو ومرّ معًا ولا تتورَّم به الأحشاء. ولهذا، وإن حكَّ قليلًا الحلق، فبطيبة خاطر، أدخله في عمق أحشائي، ولستُ أرى كيف يمكن لهذه النتيجة أن تكون مرفوضة. وليست موضوع رفض ألبتّة من قبل تريجنسيوس. ولهذا فإنّي أفرح وأُسرّ، لكوني على خلاف مع الأكاديميّين. إنّني لأراني أقف، غريزيًّا، ضدّهم، أو على الأصحّ، بإلهام من الله، إذ إنّني قبل أن أعرف كيف أدحض أقوالهم وجدتني خصمًا لهم موطَّد العزم.

إعتراض على برهان أوغسطينُس ثمّ دحض الاعتراض

١٥ - حينذاك دخل ليشنسيوس على الخطّ قائلًا: حتّى الآن لن أتخلّى عنهم. فسأله تريجنسيوس قائلًا: هل تتخلّى عنّا؟ ألستم أنتم مَن تتخلّون عن أليبيوس؟ حينئذ قلتُ أنا: «لستُ أشكّ في أنّه لو كان أليبيوس حاضرًا هنا لسلَّم بهذا البرهان الصغير: لأنّه أكبر من أن يُعتبر سعيدًا مَن ليس له خير فكريّ بهذا الحجم، وهو يتوق إليه بحماسة كبيرة، أو يفكّر في أنّ الأكاديميّين يرفضون البحث عن الحقيقة أو أنّ مَن ليس سعيدًا حكيمٌ هو وعاقل: لأنّه من تلك العناصر الثلاثة الأشبه بالعسل والطحين واللوز، صُنِعَ ما أنت تخشى أن تذوقه - ولكي يقبل بما لا يتقبّله، سوى الأولاد، قد يتخلّى عن ذاك النهر الغزير من الأكاديميّين الذي إذا ما اتّسع وفاض

لأليبيوس: فإمّا أن نتقاسمه أو يقول لي لماذا لا يجوز المسُّ به؟ - إنّ الحلويات، أقول، هي موضوع خوفٍ لنا على فيجيوس بسبب حالة كبده السيّئة! إذذاك أجابني هذا، ضاحكًا: «بالعكس، هذا هو ما يلزمني لأنّي لست أعرف كيف أنّ هذا الطعام المعقّد وعلى شيء من الحموضة وقد وضعتُ فيه، على حدّ ما قال الآخر، عسلًا من «الهِمات» de l'Hymette، وهو حلو ومرّ معًا ولا تتورَّم به الأحشاء. ولهذا، وإن حكَّ قليلًا الحلق، فبطيبة خاطر، أدخله في عمق أحشائي، ولستُ أرى كيف يمكن لهذه النتيجة أن تكون مرفوضة. وليست موضوع رفض ألبتّة من قبل تريجنسيوس. ولهذا فإنّي أفرح وأُسرّ، لكوني على خلاف مع الأكاديميّين. إنّني لأراني أقف، غريزيًّا، ضدّهم، أو على الأصحّ، بإلهام من الله، إذ إنّني قبل أن أعرف كيف أدحض أقوالهم وجدتني خصمًا لهم موطَّد العزم.

إعتراض على برهان أوغسطينُس ثمّ دحض الاعتراض

١٥ - حينذاك دخل ليشنسيوس على الخطّ قائلًا: حتّى الآن لن أتخلّى عنهم. فسأله تريجنسيوس قائلًا: هل تتخلّى عنّا؟ ألستم أنتم مَن تتخلّون عن أليبيوس؟ حينئذ قلتُ أنا: «لستُ أشكّ في أنّه لو كان أليبيوس حاضرًا هنا لسلَّم بهذا البرهان الصغير: لأنّه أكبر من أن يُعتبر سعيدًا مَن ليس له خير فكريّ بهذا الحجم، وهو يتوق إليه بحماسة كبيرة، أو يفكّر في أنّ الأكاديميّين يرفضون البحث عن الحقيقة أو أنّ مَن ليس سعيدًا حكيمٌ هو وعاقل: لأنّه من تلك العناصر الثلاثة الأشبه بالعسل والطحين واللوز، صُنِعَ ما أنت تخشى أن تذوقه - ولكي يقبل بما لا يتقبّله، سوى الأولاد، قد يتخلّى عن ذاك النهر الغزير من الأكاديميّين الذي إذا ما اتّسع وفاض

وبما أنّي كنتُ قد دعوتُهم، وقد تعلّمتُ منك، بصفتي صاحب الدعوة، حتّى في مثل تلك الولائم، أن أقوم بدور إنسان عظيم، وباختصار، بدور إنسان حقيقيّ، لأقول إنّ ما كانت عليه مائدتنا من تفاوت ونشاز قد أزعجني، توجّهتُ بابتسامة إلى أمّي، وبلهجة منها غريبة عن الحاضرين، أفضتْ إليَّ بأن أُخرج، كما لو أنّ ذلك كان في خزانتها، ما كان ينقصهم، قائلة: «قل لنا الآن مَن هم أولئك الأكاديميّون وماذا يريدون». وإذ عملتُ بإيجاز ووضوح لئلّا يغادر أحدهم من دون أن يتعرّف إليهم علّقتُ بما يلي: «هؤلاء الناس هم صرعى» (هكذا يُسمّى عندنا باللغة العامّيّة مَن كانوا مصابين بداء عضال). وما إن قالت كلمتها حتّى انتصبت واقفة لتخرج. وفي جوّ من الضحك العارم توقّفنا عن النقاش وافترقنا.

حوار اليوم الثاني: ماذا يعني أن يمتلكَ الإنسانُ الله؟

١٧ - في الغد، كما في العشيّة، وبعد أن تناولنا طعام الفطور بقليل، وُجدنا جميعنا، بكامل عددنا، في المحلّ عينه، فقلتُ لهم: «تأتون إلى تناول الطعام متأخّرين، ولستُ أضع هذا التأخير في خانة عسر الهضم، لكن أظنّ، بالأحرى، أنّ حسابكم لكمّيّة قليلة من الطعام جعلكم تتأخّرون في مجيئكم، وتتناولون الطعام في وقت سريع. كان يمكن الإنسان أن يفترض أنّ وجبة طعام في يوم العيد السنويّ على هذا القدر من التقشّف لا تترك أيّ تأثير سلبيّ. ذلك ممكن. ولكن هل تعرفون، أو أنا أعرف، إنْ كان ذلك معدًّا لكم؟».

هناك واحد لا يتعب في ما يحضّر للجميع، وليس جميع وجبات الطعام وحسب، بل، بنوع خاصّ، تلك التي نتأخّر عن

وبما أنّي كنتُ قد دعوتُهم، وقد تعلّمتُ منك، بصفتي صاحب الدعوة، حتّى في مثل تلك الولائم، أن أقوم بدور إنسان عظيم، وباختصار، بدور إنسان حقيقيّ، لأقول إنّ ما كانت عليه مائدتنا من تفاوت ونشاز قد أزعجني، توجّهتُ بابتسامة إلى أمّي، وبلهجة منها غريبة عن الحاضرين، أفضتْ إليَّ بأن أُخرج، كما لو أنّ ذلك كان في خزانتها، ما كان ينقصهم، قائلة: «قل لنا الآن مَن هم أولئك الأكاديميّون وماذا يريدون». وإذ عملتُ بإيجاز ووضوح لئلّا يغادر أحدهم من دون أن يتعرّف إليهم علّقتُ بما يلي: «هؤلاء الناس هم صرعى» (هكذا يُسمّى عندنا باللغة العامّيّة مَن كانوا مصابين بداء عضال). وما إن قالت كلمتها حتّى انتصبت واقفة لتخرج. وفي جوّ من الضحك العارم توقّفنا عن النقاش وافترقنا.

حوار اليوم الثاني: ماذا يعني أن يمتلكَ الإنسانُ الله؟

١٧ - في الغد، كما في العشيّة، وبعد أن تناولنا طعام الفطور بقليل، وُجدنا جميعنا، بكامل عددنا، في المحلّ عينه، فقلتُ لهم: «تأتون إلى تناول الطعام متأخّرين، ولستُ أضع هذا التأخير في خانة عسر الهضم، لكن أظنّ، بالأحرى، أنّ حسابكم لكمّيّة قليلة من الطعام جعلكم تتأخّرون في مجيئكم، وتتناولون الطعام في وقت سريع. كان يمكن الإنسان أن يفترض أنّ وجبة طعام في يوم العيد السنويّ على هذا القدر من التقشّف لا تترك أيّ تأثير سلبيّ. ذلك ممكن. ولكن هل تعرفون، أو أنا أعرف، إنْ كان ذلك معدًّا لكم؟».

هناك واحد لا يتعب في ما يحضّر للجميع، وليس جميع وجبات الطعام وحسب، بل، بنوع خاصّ، تلك التي نتأخّر عن

روح دنس؟ أهو مَن ليس له ذلك الشيطان الذي يجعل الناس، نوعًا ما، مجانين، أم ذا الذي يعيش طاهرًا نقيًّا؟

- غير أنّي قلتُ له: مَن ذا الذي تدعوه طاهرًا، أهو الذي تدعوه بأنّه لا يعرف الخطيئة، أم ذاك الذي يتنزّه عن مضاجعة محرَّمة ولا يتدنَّس بسائر الخطايا الأخرى؟ إنّه وحده طاهر. حقًّا، ذاك الذي يتبع الله ويحافظ على ذاته، بعيدًا عن كلّ شرّ. «حينذاك طبتُ نفسًا فدوّنت كلمات ابني الصحيحة. إذًا علينا أن نعتبر صالحًا كلّ مَن يعيش عيشةً صالحةً». وهو بالضرورة صالح، إلّا إذا كنتَ تعتبر الأمر بخلاف ما قدّمنا. إذذاك رضخ هو وجميع الآخرين لما قلتُ، وأصبحوا على رأي واحد.

مع ذلك، فالتجانس مفقود بين أن يعيش الإنسانُ بصلاح وأن يمتلك الله ويكون سعيدًا.

١٩ - «لكن أطرح عليكم سؤالًا صغيرًا وهو التالي: هل يريد الله من الإنسان أن يبحث عن الله؟ أجابوا: نعم. سؤال آخر: هل نستطيع أن نقول عمَّن يسعى إلى الله إنّه يعيش في الشرّ؟ أجابوا: كلّا، ولا بأيّ شكل من الأشكال». - أجيبوا إذًا عن السؤال الثالث وهو: هل يستطيع روح نجس أن يبحث عن الله؟ أجابوا: كلّا، لكن بعد أن تردّدوا قليلًا وانضمّ إليهم صوت نافيجيوس. ثمّ تابعتُ قائلًا: «إن كان مَن يبحث عن الله يريد ويعيش عيشة صالحة وليس لديه فكر عاطل، فهو يبحث عن الله من دون أن يحصل عليه. وعلى هذا النحو فالإنسان، سواء أيعيش عيشةً صالحةً كان أم يعمل ما يريده الله منه، وليس له فكر سيِّئ، فلا يجوز الاعتقاد أنّه يحصل على الله، للحال!».

روح دنس؟ أهو مَن ليس له ذلك الشيطان الذي يجعل الناس، نوعًا ما، مجانين، أم ذا الذي يعيش طاهرًا نقيًّا؟

- غير أنّي قلتُ له: مَن ذا الذي تدعوه طاهرًا، أهو الذي تدعوه بأنّه لا يعرف الخطيئة، أم ذاك الذي يتنزّه عن مضاجعة محرَّمة ولا يتدنَّس بسائر الخطايا الأخرى؟ إنّه وحده طاهر. حقًّا، ذاك الذي يتبع الله ويحافظ على ذاته، بعيدًا عن كلّ شرّ. «حينذاك طبتُ نفسًا فدوّنت كلمات ابني الصحيحة. إذًا علينا أن نعتبر صالحًا كلّ مَن يعيش عيشةً صالحةً». وهو بالضرورة صالح، إلّا إذا كنتَ تعتبر الأمر بخلاف ما قدّمنا. إذذاك رضخ هو وجميع الآخرين لما قلتُ، وأصبحوا على رأي واحد.

مع ذلك، فالتجانس مفقود بين أن يعيش الإنسانُ بصلاح وأن يمتلك الله ويكون سعيدًا.

١٩ - «لكن أطرح عليكم سؤالًا صغيرًا وهو التالي: هل يريد الله من الإنسان أن يبحث عن الله؟ أجابوا: نعم. سؤال آخر: هل نستطيع أن نقول عمَّن يسعى إلى الله إنّه يعيش في الشرّ؟ أجابوا: كلّا، ولا بأيّ شكل من الأشكال». - أجيبوا إذًا عن السؤال الثالث وهو: هل يستطيع روح نجس أن يبحث عن الله؟ أجابوا: كلّا، لكن بعد أن تردّدوا قليلًا وانضمّ إليهم صوت نافيجيوس. ثمّ تابعتُ قائلًا: «إن كان مَن يبحث عن الله يريد ويعيش عيشة صالحة وليس لديه فكر عاطل، فهو يبحث عن الله من دون أن يحصل عليه. وعلى هذا النحو فالإنسان، سواء أيعيش عيشةً صالحةً كان أم يعمل ما يريده الله منه، وليس له فكر سيِّئ، فلا يجوز الاعتقاد أنّه يحصل على الله، للحال!».

الخير، علمًا بأنّ مَن يسعى لا يملك ما يريد، نستنتج بالتالي: «يكون سعيدًا الإنسان الذي لا يملك ما يريد، ولأنّنا قد وجدنا هذا الشيء غير المعقول فقد اعتقدنا جميعنا أنّنا قد بدّدنا ظلمات الأكاديميّين. ولهذا السبب فإنّ ليشنسيوس سوف يتغلّب علينا وسيقول لي كطبيب ماهر بأنّي عوقبت بحقٍّ، لكوني قبلتُ بتلك الطيّبات، بخفّة، وعلى حساب صحّتي».

تمييز ثلاثيّ يحلّ التناقضات

٢١ - وبما أنّ ذلك التمييز دفع بأمّي إلى الضحك، قال تريجنسيوس: لستُ أقبل بأن يكون الله معاديًا لمَن ليس له حافظًا، وأعتقد بوجود نقطة وسط... ومع ذلك، فإنّ ذاك الإنسان الموجود في الوسط، الذي يقف الله منه موقفًا غير عدائيّ وغير موافق، أتظنّ أنّ الله هو له بشكل من الأشكال؟ تردَّد صاحبنا في الجواب، إذذاك أخذتْ أمّي تتحدّث قائلة: شيءٌ هو أن يكون الله لإنسان وشيءٌ آخر ألّا يكون الإنسان بدون الله - وأيّ شيء هو الأفضل؟ أن يكون الله له أو ألّا يكون بدون الله؟ سألته - إليكم ما فهمتُ من الجواب: إنّ مَن يحيا حياة صالحة، له الله، لكن حافظ له. وأمّا الذي يعيش بالسوء، فله الله، لكن مخاصمٌ له. أمّا الذي يسعى إليه من دون أن يجده أو يحصل عليه فليس الله حافظًا له ولا مخاصمًا، لكن ليس بدون الله. أتجعل هذا التصوّر مقبولًا؟ أجابوا نعم... إن شئتم، ألا يبدو لكم أنّ الله يعطف على الإنسان الذي يساعده؟ «أجابوا: نعم. - ألا يساعد الله الإنسان الذي يسعى إليه؟ بالتأكيد. إنّ مَن يبحث عن الله فالله يحفظه، والذي يمتلك الله الحافظ له فهو سعيد، على أن مَن يبحث ليس له ما يريد. ولا يمكن الإنسان أن يكون

الخير، علمًا بأنّ مَن يسعى لا يملك ما يريد، نستنتج بالتالي: «يكون سعيدًا الإنسان الذي لا يملك ما يريد، ولأنّنا قد وجدنا هذا الشيء غير المعقول فقد اعتقدنا جميعنا أنّنا قد بدّدنا ظلمات الأكاديميّين. ولهذا السبب فإنّ ليشنسيوس سوف يتغلّب علينا وسيقول لي كطبيب ماهر بأنّي عوقبت بحقٍّ، لكوني قبلتُ بتلك الطيّبات، بخفّة، وعلى حساب صحّتي».

تمييز ثلاثيّ يحلّ التناقضات

٢١ - وبما أنّ ذلك التمييز دفع بأمّي إلى الضحك، قال تريجنسيوس: لستُ أقبل بأن يكون الله معاديًا لمَن ليس له حافظًا، وأعتقد بوجود نقطة وسط... ومع ذلك، فإنّ ذاك الإنسان الموجود في الوسط، الذي يقف الله منه موقفًا غير عدائيّ وغير موافق، أتظنّ أنّ الله هو له بشكل من الأشكال؟ تردَّد صاحبنا في الجواب، إذذاك أخذتْ أمّي تتحدّث قائلة: شيءٌ هو أن يكون الله لإنسان وشيءٌ آخر ألّا يكون الإنسان بدون الله - وأيّ شيء هو الأفضل؟ أن يكون الله له أو ألّا يكون بدون الله؟ سألته - إليكم ما فهمتُ من الجواب: إنّ مَن يحيا حياة صالحة، له الله، لكن حافظ له. وأمّا الذي يعيش بالسوء، فله الله، لكن مخاصمٌ له. أمّا الذي يسعى إليه من دون أن يجده أو يحصل عليه فليس الله حافظًا له ولا مخاصمًا، لكن ليس بدون الله. أتجعل هذا التصوّر مقبولًا؟ أجابوا نعم... إن شئتم، ألا يبدو لكم أنّ الله يعطف على الإنسان الذي يساعده؟ «أجابوا: نعم. - ألا يساعد الله الإنسان الذي يسعى إليه؟ بالتأكيد. إنّ مَن يبحث عن الله فالله يحفظه، والذي يمتلك الله الحافظ له فهو سعيد، على أن مَن يبحث ليس له ما يريد. ولا يمكن الإنسان أن يكون

كانت تضطرُّنا إلى البقاء في الحمّامات، واستعاد الطقس صفاءه قبل الظهر، فقرّرنا النزول إلى المرج القريب واتّخذنا مقاعد مريحة، ثمّ انطلقنا في الحوار حتّى أنهيناه. . . إستنادًا إلى الأسئلة التي طرحتُها للمناقشة حصلت منكم تقريبًا على الأجوبة المطلوبة، وها إنّي أجعل منها مؤونة لي، مكتفيًا بها اليوم، لنتمكّن من أن نتّخذ استراحة لبضعة أيّام في الوليمة التي نحن بصددها. ولقد قالت أمّي، فعلًا، إنّ البؤس والفاقة صنوان لا يختلفان، وتوافقنا على أنّ المحتاجين تعساء، ولكن أن نعرف إن كان البؤساء هم في حاجة فهذه مسألة لم توضح لدينا أمس البارحة. ولو كان العقل يبيّن لنا ذلك لكنّا وجدنا بشكل كامل مَن هو السعيد. وفي الحقيقة سعيد هو مَن ليس محتاجًا، إذ إنّ كلّ مَن ليس تعيسًا هو حقًّا سعيد. وعليه، فسعيد هو مَن ليس في فاقة، وأنّ ما نسمّيه فاقة هو البؤس عينه بالذات.

ليس من تطابق بين الفاقة والبؤس

٢٤ - ماذا؟ قال تريجنسيوس، ألا نستطيع أن نستنتج ممّا هو واضح أنّ كلّ محتاج تعيس ومَن ليس محتاجًا فهو سعيد؟ أذكر أنّنا توافقنا على أنّه لا وسط بين الشقاء والسعادة. إذذاك قلتُ: هل يبدو لكم أنّ هناك وسطًا بين أن يكون الإنسان ميتًا وأن يكون حيًّا؟ كلّ إنسان هو إمّا حيّ وإمّا ميت، أليس كذلك؟ قال: أقُرّ وأعترف بأنّ ليس من نقطة وسط بين الحالين. ولكن إلى أين تريد أن تصل؟ قلتُ: أنت تقبل القول بسهولة، على ما أظنّ، بأنّ كلّ إنسان دفن منذ سنة هو ميت. لم يعترض. - ما رأيك؟ هل كلّ مَن ليس مدفونًا منذ سنة هو حيّ؟ - أجاب: كلّا، لكنّ النتيجة ليست جيّدة - قلتُ: إذًا، إن كان كلّ محتاج تعيسًا فهذا يعني أنّ مَن لم يكن في فاقة، فهو

كانت تضطرُّنا إلى البقاء في الحمّامات، واستعاد الطقس صفاءه قبل الظهر، فقرّرنا النزول إلى المرج القريب واتّخذنا مقاعد مريحة، ثمّ انطلقنا في الحوار حتّى أنهيناه. . . إستنادًا إلى الأسئلة التي طرحتُها للمناقشة حصلت منكم تقريبًا على الأجوبة المطلوبة، وها إنّي أجعل منها مؤونة لي، مكتفيًا بها اليوم، لنتمكّن من أن نتّخذ استراحة لبضعة أيّام في الوليمة التي نحن بصددها. ولقد قالت أمّي، فعلًا، إنّ البؤس والفاقة صنوان لا يختلفان، وتوافقنا على أنّ المحتاجين تعساء، ولكن أن نعرف إن كان البؤساء هم في حاجة فهذه مسألة لم توضح لدينا أمس البارحة. ولو كان العقل يبيّن لنا ذلك لكنّا وجدنا بشكل كامل مَن هو السعيد. وفي الحقيقة سعيد هو مَن ليس محتاجًا، إذ إنّ كلّ مَن ليس تعيسًا هو حقًّا سعيد. وعليه، فسعيد هو مَن ليس في فاقة، وأنّ ما نسمّيه فاقة هو البؤس عينه بالذات.

ليس من تطابق بين الفاقة والبؤس

٢٤ - ماذا؟ قال تريجنسيوس، ألا نستطيع أن نستنتج ممّا هو واضح أنّ كلّ محتاج تعيس ومَن ليس محتاجًا فهو سعيد؟ أذكر أنّنا توافقنا على أنّه لا وسط بين الشقاء والسعادة. إذذاك قلتُ: هل يبدو لكم أنّ هناك وسطًا بين أن يكون الإنسان ميتًا وأن يكون حيًّا؟ كلّ إنسان هو إمّا حيّ وإمّا ميت، أليس كذلك؟ قال: أُقِرّ وأعترف بأنّ ليس من نقطة وسط بين الحالين. ولكن إلى أين تريد أن تصل؟ قلتُ: أنت تقبل القول بسهولة، على ما أظنّ، بأنّ كلّ إنسان دفن منذ سنة هو ميت. لم يعترض. - ما رأيك؟ هل كلّ مَن ليس مدفونًا منذ سنة هو حيّ؟ - أجاب: كلّا، لكنّ النتيجة ليست جيّدة - قلتُ: إذًا، إن كان كلّ محتاج تعيسًا فهذا يعني أنّ مَن لم يكن في فاقة، فهو

أن تعمل ما تريد، فأرد ما أنتَ قادر عليه». كيف يمكن أن يكون تعيسًا ذاك الذي لا يصله إلّا ما أراد؟ إنّه لا يقدر أن يريد ما يرى الحصول عليه غير ممكن، ولأنّه لا يريد إلّا الأشياء الأكيدة، أي إنّ ما يعمله لا يعمله إلّا انطلاقًا من قاعدة فضيلة وشريعة إلهيّة للحكمة، لا يستطيع أحد أن ينتزعها منه مهما تعدَّدت الأشكال.

٢٦ - مثل أوراتا Orata الآن، انظروا إن كان كلّ تعيس محتاجًا لأنّ هناك ما يجعل هذا الشيء صعب القول: كثيرون يعيشون في بحبوحة من الخيرات تسهّل عليهم أمورهم، حتّى إنّ إشارة بسيطة تكفي لأن تجعل أقلَّ رغبةٍ لديهم مقبولة. وبالتأكيد تلك هي حياة صعبة، ولكن، فلنتصوّر إنسانًا على مثال أوراتا إن قبلنا بما قاله تولّيوس Tullius. فهل يمكننا أن نقول إنّ أوراتا كان يعيش في فاقة، وهو الذي كان غنيًّا جدًّا ومرفَّهًا وعلى أعلى درجة من اللطف، من دون أن يكون بحاجة في سبيل ملذّاته وبهجته، وقد كان ذا صحّة ممتازة؟ كانت له أملاك شاسعة تغلّ غلّات وفيرة، كما كانت له صداقات على جانب كبير من الطيبة. فأفاد من كلّ ما ذكرنا بطريقة لائقة جدًّا في سبيل صحّته الجسديّة. وبإيجاز، لقد نجح نجاحًا باهرًا في كلّ ما قرّره وصمّم النيّة عليه: قد يقول واحد منكم لقد تمنّى أكثر ممّا كان له.

هذا ما نجهله. ولكن لنفترض أنّه ما طلب ألبتّة فوق ما كان له، وهذا كافٍ لما نبرهن عنه. فهل يبدو لكم أنّه في فاقة؟ - حتّى ولو وافقتُ، قال ليشنسيوس، على أنّه ما اشتهى أكثر ممّا لديه (وكيف نقبل ذلك من إنسان لا يعقل؟) فلا يبقى من كلّ ذلك هذا، وهو أنّه رجل على قدر كبير من الذكاء، استنادًا إلى ما كان يقال عنه، وكان عليه أن يخشى خسارة ما يملك بضربة حظّ، إذ لم يكن

أن تعمل ما تريد، فأرد ما أنتَ قادر عليه». كيف يمكن أن يكون تعيسًا ذاك الذي لا يصله إلّا ما أراد؟ إنّه لا يقدر أن يريد ما يرى الحصول عليه غير ممكن، ولأنّه لا يريد إلّا الأشياء الأكيدة، أي إنّ ما يعمله لا يعمله إلّا انطلاقًا من قاعدة فضيلة وشريعة إلهيّة للحكمة، لا يستطيع أحد أن ينتزعها منه مهما تعدَّدت الأشكال.

٢٦ - مثل أوراتا Orata الآن، انظروا إن كان كلّ تعيس محتاجًا لأنّ هناك ما يجعل هذا الشيء صعب القول: كثيرون يعيشون في بحبوحة من الخيرات تسهّل عليهم أمورهم، حتّى إنّ إشارة بسيطة تكفي لأن تجعل أقلَّ رغبةٍ لديهم مقبولة. وبالتأكيد تلك هي حياة صعبة، ولكن، فلنتصوّر إنسانًا على مثال أوراتا إن قبلنا بما قاله تولّيوس Tullius. فهل يمكننا أن نقول إنّ أوراتا كان يعيش في فاقة، وهو الذي كان غنيًّا جدًّا ومرفَّهًا وعلى أعلى درجة من اللطف، من دون أن يكون بحاجة في سبيل ملذّاته وبهجته، وقد كان ذا صحّة ممتازة؟ كانت له أملاك شاسعة تغلّ غلّات وفيرة، كما كانت له صداقات على جانب كبير من الطيبة. فأفاد من كلّ ما ذكرنا بطريقة لائقة جدًّا في سبيل صحّته الجسديّة. وبإيجاز، لقد نجح نجاحًا باهرًا في كلّ ما قرّره وصمّم النيّة عليه: قد يقول واحد منكم لقد تمنّى أكثر ممّا كان له.

هذا ما نجهله. ولكن لنفترض أنّه ما طلب ألبتّة فوق ما كان له، وهذا كافٍ لما نبرهن عنه. فهل يبدو لكم أنّه في فاقة؟ - حتّى ولو وافقتُ، قال ليشنسيوس، على أنّه ما اشتهى أكثر ممّا لديه (وكيف نقبل ذلك من إنسان لا يعقل؟) فلا يبقى من كلّ ذلك هذا، وهو أنّه رجل على قدر كبير من الذكاء، استنادًا إلى ما كان يقال عنه، وكان عليه أن يخشى خسارة ما يملك بضربة حظّ، إذ لم يكن

شيء آخر؟ من أين تأتي إن لم يكن من عنده تعالى، تلك الألفاظ التي نُعجب بها؟» - لكن، لا شيء أقرب إلى الحقيقة، وإلى الله، استطاع إنسان أن يقوله، هتف بفرح ليشنسيوس: إذ ليس من فاقة أعظم من الحاجة إلى الحكمة، ومَن لم يكن بحاجة إلى الحكمة فلا يمكنه أن يكون بحاجة إلى أيّ شيء آخر.

العودة إلى حالة أوراتا: الحماقة هي كالفاقة. التشابه بين الشقاء والفاقة الروحيّة

٢٨ - ها إنّي أقول بتشابه تامّ بين الفاقة الروحيّة والحماقة التي ليست فعلًا سوى نقيض الحكمة. وكما أنّ الموت هو نقيض الحياة، كذلك هي الحياة السعيدة نسبةً إلى الحياة التعيسة، أي مباشرة، لأنّه كما أنّ كلّ مَن ليس سعيدًا هو تعيس، وكما أنّ كلّ مَن ليس ميتًا هو حيّ، كذلك، ومن الواضح، أنّ كلّ مَن ليس أحمق هو عاقل. ومنذ الآن يمكننا أن نفهم كذلك بأنّه ليس فقط لكونه يخشى أن يفقد الهدايا التي ينفحه بها الحظّ كان تعيسًا، بل لأنّه كان أحمق. وبالمعنى ذاته، يمكننا أن نقول إنّه قد يكون أشدّ تعاسة لو أنّه لم يخَفْ إطلاقًا على تلك الأشياء القابلة للسقوط والمترنّحة التي كان يعتبرها خيورًا. وباستطاعته أن يكون متأكّدًا، لا بقوّته وجرأته، بل بقوّة انعدام النشاط في عقله. وعلى هذا النحو فلقد كان تعيسًا لأنّه غارق في حماقة ولا أفظع، وعلى هذا النحو يأتي شفاؤه من الفوضى في حماقة أشدَّ وأقوى. ولكن إن كان كلّ كائن تنقصه الحكمة يشكو فقرًا مدقعًا، وكلّ مَن يتمتّع بالحكمة لا ينقصه شيء، فهذا يعني أنّ الحماقة فقر.

وكما أنّ كلّ أحمق تعيس كذلك كلّ تعيس هو أحمق.

شيء آخر؟ من أين تأتي إن لم يكن من عنده تعالى، تلك الألفاظ التي نُعجب بها؟» - لكن، لا شيء أقرب إلى الحقيقة، وإلى الله، استطاع إنسان أن يقوله، هتف بفرح ليشنسيوس: إذ ليس من فاقة أعظم من الحاجة إلى الحكمة، ومَن لم يكن بحاجة إلى الحكمة فلا يمكنه أن يكون بحاجة إلى أيّ شيء آخر.

العودة إلى حالة أوراتا: الحماقة هي كالفاقة. التشابه بين الشقاء والفاقة الروحيّة

٢٨ - ها إنّي أقول بتشابه تامّ بين الفاقة الروحيّة والحماقة التي ليست فعلًا سوى نقيض الحكمة. وكما أنّ الموت هو نقيض الحياة، كذلك هي الحياة السعيدة نسبةً إلى الحياة التعيسة، أي مباشرة، لأنّه كما أنّ كلّ مَن ليس سعيدًا هو تعيس، وكما أنّ كلّ مَن ليس ميتًا هو حيّ، كذلك، ومن الواضح، أنّ كلّ مَن ليس أحمق هو عاقل. ومنذ الآن يمكننا أن نفهم كذلك بأنّه ليس فقط لكونه يخشى أن يفقد الهدايا التي ينفحه بها الحظّ كان تعيسًا، بل لأنّه كان أحمق. وبالمعنى ذاته، يمكننا أن نقول إنّه قد يكون أشدّ تعاسة لو أنّه لم يخَفْ إطلاقًا على تلك الأشياء القابلة للسقوط والمترنّحة التي كان يعتبرها خيورًا. وباستطاعته أن يكون متأكّدًا، لا بقوّته وجرأته، بل بقوّة انعدام النشاط في عقله. وعلى هذا النحو فلقد كان تعيسًا لأنّه غارق في حماقة ولا أفظع، وعلى هذا النحو يأتي شفاؤه من الفوضى في حماقة أشدّ وأقوى. ولكن إن كان كلّ كائن تنقصه الحكمة يشكو فقرًا مدقعًا، وكلّ مَن يتمتّع بالحكمة لا ينقصه شيء، فهذا يعني أنّ الحماقة فقر.

وكما أنّ كلّ أحمق تعيس كذلك كلّ تعيس هو أحمق.

الحماقة شقاء. ولِمَ لا نخلص إلى القول إن كان ذو الفاقة شقيًّا، والشقيّ معوزًا، إنّ الشقاء ليس شيئًا آخر سوى الفاقة؟

البحث عن لفظة عوضًا عن كلمة فاقة

٣٠ - وإذ كانوا جميعًا معجَبين وموافقين تابعتُ كلامي قائلًا: . . أمّا وقد ركّزنا على ما سبق وناقشناه، فبقي علينا أن نرى مَن هو الإنسان الذي ليس في فاقة، لأنّه، هو مَن يكون حكيمًا وسعيدًا؟ والحال أنّ الحماقة فاقة، وهي تسمّى فاقة. والكلمة عينها تعني، بشكل عاديّ، عقمًا وفقرًا. عودوا إلى الماضي البعيد وتأمّلوا جدّيًّا في ما بذله الناس قديمًا ليخلقوا، إن لم يكن كلّ الكلمات، فعلى الأقلّ، وهذا واضح، الألفاظ التي تتعلّق بالأمور الضروريّة معرفتها، إذ إنّكم الآن توافقون على أنّ كلّ معوز أحمق، وأظنّكم تقبلون أيضًا أنّ عقلًا أحمق موبوء، وأنّ كلّ عيوب العقل يُعبّر عنها بلفظة واحدة هي لفظة . . الحماقة . . . والحال أنّنا في اليوم الأوّل من حوارنا قلنا إنّ لفظة كسل وباللغة اللاتينيّة Nequitia تقال عن كلّ ما ليس بشيء، واللفظة المضادّة هي إثمار Fructification من اللفظ اللاتينيّ Frux. وعلى هذا النحو إذًا في هاتين اللفظتين المضادّتين فالإثمار واللاشيء يبدوان وكأنّهما يعبّران عن الوجود واللاوجود، على أنّ الفاقة التي نتكلّم عليها، ما هو معناها المضادّ، بحسب رأيك؟ . . وإذ كانوا جميعًا متردّدين بعض الشيء، قال تريجنسيوس: . . إن قلت . . ثروة . . أرى . . فقر . . كلمة معاكسة. قلتُ له: أنت تحرِّف لأنّ . . فقر وفاقة . . هما لفظتان تعتبران عادةً شيئًا واحدًا على أنّه يجب إيجاد كلمة أخرى. وإنّه أفضل من الاثنين ألّا يكون له سوى اسم واحد، في حين للآخر

الحماقة شقاء. ولِمَ لا نخلص إلى القول إن كان ذو الفاقة شقيًّا، والشقيّ معوزًا، إنّ الشقاء ليس شيئًا آخر سوى الفاقة؟

البحث عن لفظة عوضًا عن كلمة فاقة

٣٠ - وإذ كانوا جميعًا معجَبين وموافقين تابعتُ كلامي قائلًا: . . أمّا وقد ركّزنا على ما سبق وناقشناه، فبقي علينا أن نرى مَن هو الإنسان الذي ليس في فاقة، لأنّه، هو مَن يكون حكيمًا وسعيدًا؟ والحال أنّ الحماقة فاقة، وهي تسمّى فاقة. والكلمة عينها تعني، بشكل عاديّ، عقمًا وفقرًا. عودوا إلى الماضي البعيد وتأمّلوا جدّيًّا في ما بذله الناس قديمًا ليخلقوا، إن لم يكن كلّ الكلمات، فعلى الأقلّ، وهذا واضح، الألفاظ التي تتعلّق بالأمور الضروريّة معرفتها، إذ إنّكم الآن توافقون على أنّ كلّ معوز أحمق، وأظنّكم تقبلون أيضًا أنّ عقلًا أحمق موبوء، وأنّ كلّ عيوب العقل يُعبّر عنها بلفظة واحدة هي لفظة . . الحماقة . . . والحال أنّنا في اليوم الأوّل من حوارنا قلنا إنّ لفظة كسل وباللغة اللاتينيّة Nequitia تقال عن كلّ ما ليس بشيء، واللفظة المضادّة هي إثمار Fructification من اللفظ اللاتينيّ Frux. وعلى هذا النحو إذًا في هاتين اللفظتين المضادّتين فالإثمار واللاشيء يبدوان وكأنّهما يعبّران عن الوجود واللاوجود، على أنّ الفاقة التي نتكلّم عليها، ما هو معناها المضادّ، بحسب رأيك؟ . . وإذ كانوا جميعًا متردّدين بعض الشيء، قال تريجنسيوس: . . إن قلت . . ثروة . . أرى . . فقر . . كلمة معاكسة. قلتُ له: أنت تحرِّف لأنّ . . فقر وفاقة . . هما لفظتان تعتبران عادةً شيئًا واحدًا على أنّه يجب إيجاد كلمة أخرى. وإنّه أفضل من الاثنين ألّا يكون له سوى اسم واحد، في حين للآخر

ونقيضه.. عدم.. ولكن، بسبب ما اعتاد الناس أن يستعملوه في كلامهم، فقد أخذوا الاعتدال بمعنى الشحّ أو التقتير، فإنّنا نراه يفسِّر بواسطة الكلمتَيْن ما أراد أن يقوله مضيفًا لفظتَي «اعتدال وقناعة» وهاتان اللفظتان يجب أن نتفحّصهما بدقّة وانتباه كلّيّ.

٣٢ - تُتّخذ لفظة «الاعتدال» من لفظة «القياس» Mesure، وباللغة اللاتينيّة Modus، وأستعين بكلمة Tempérance من فعل Tempérer ومعناه عدَّل، لطَّف. والواقع هو أنّ كلمة قياس تعني الاعتدال لا زيادة ولا نقصان. وعليه، فذلك هو الاكتمال الذي وضعناه ضدّ الفاقة، وهي لفظة تفضَّل على كلمة «وفرة»، لأنّ اللفظة الأخيرة هذه تعني فيضًا. وإلى حدٍّ ما، فإنّ فيضان شيء يدلّ على الإفراط والإسراف. والحال، حين يزيد الشيء عن معدّله تبطل قيمة القياس. وكذلك عندما يزيد الشيء عن الحاجة المطلوبة يبطل القياس، وكلّ شيء يفوق معدّله يعطّل مقياسه. إذًا، الفاقة ليست غريبة من الطفاح، بيد أنّ كلًّا منهما يتميّز عن الآخر بالزيادة والنقصان. وإذا قمنا أيضًا بدراسة لفظة «Opulence» رخاء، وفرة، نراها لا تحتوي سوى لفظة وفير، وليست سوى نوع من القياس «Ops». وفعلًا، كيف يمكن للطافح أن يساعد وهو أشدّ انزعاجًا من المحتاج؟ إذًا، كلّ ما هو ناقص أو طافح، لكونه بحاجة إلى القياس، هو عرضة إلى الفاقة بكلّ بساطة. والحال أنّ الحكمة هي مقياس العقل. الحقّ يقال، بدون اعتراض، إنّ الحكمة هي نقيض الحماقة، وهذه فاقة، ونقيض الفاقة هو الاكتمال. إذًا الحكمة اكتمال، والاكتمال يتضمّن قياسًا. وعليه، فإنّ قياس العقل يكمن في الحكمة. ومنها تأتي هذه الجملة الشهيرة المدويّة بحقّ في كلّ مكان: «أهمّ ما في الحياة أن يكون كلّ شيء فيها بمقياس».

ونقيضه.. عدم.. ولكن، بسبب ما اعتاد الناس أن يستعملوه في كلامهم، فقد أخذوا الاعتدال بمعنى الشحّ أو التقتير، فإنّنا نراه يفسِّر بواسطة الكلمتَيْن ما أراد أن يقوله مضيفًا لفظتَي «اعتدال وقناعة» وهاتان اللفظتان يجب أن نتفحّصهما بدقّة وانتباه كلّيّ.

٣٢ - تُتّخذ لفظة «الاعتدال» من لفظة «القياس» Mesure، وباللغة اللاتينيّة Modus، وأستعين بكلمة Tempérance من فعل Tempérer ومعناه عدَّل، لطَّف. والواقع هو أنّ كلمة قياس تعني الاعتدال لا زيادة ولا نقصان. وعليه، فذلك هو الاكتمال الذي وضعناه ضدّ الفاقة، وهي لفظة تفضَّل على كلمة «وفرة»، لأنّ اللفظة الأخيرة هذه تعني فيضًا. وإلى حدٍّ ما، فإنّ فيضان شيء يدلّ على الإفراط والإسراف. والحال، حين يزيد الشيء عن معدّله تبطل قيمة القياس. وكذلك عندما يزيد الشيء عن الحاجة المطلوبة يبطل القياس، وكلّ شيء يفوق معدّله يعطّل مقياسه. إذًا، الفاقة ليست غريبة من الطفاح، بيد أنّ كلًّا منهما يتميّز عن الآخر بالزيادة والنقصان. وإذا قمنا أيضًا بدراسة لفظة «Opulence» رخاء، وفرة، نراها لا تحتوي سوى لفظة وفير، وليست سوى نوع من القياس «Ops». وفعلًا، كيف يمكن للطافح أن يساعد وهو أشدّ انزعاجًا من المحتاج؟ إذًا، كلّ ما هو ناقص أو طافح، لكونه بحاجة إلى القياس، هو عرضة إلى الفاقة بكلّ بساطة. والحال أنّ الحكمة هي مقياس العقل. الحقّ يقال، بدون اعتراض، إنّ الحكمة هي نقيض الحماقة، وهذه فاقة، ونقيض الفاقة هو الاكتمال. إذًا الحكمة اكتمال، والاكتمال يتضمّن قياسًا. وعليه، فإنّ قياس العقل يكمن في الحكمة. ومنها تأتي هذه الجملة الشهيرة المدويّة بحقّ في كلّ مكان: «أهمّ ما في الحياة أن يكون كلّ شيء فيها بمقياس».

توافقنا عليه عندما بدأنا نأكل. ولكن، ما هي الحكمة، برأيكم، إن لم تكن الحقيقة؟ ولكي تكون فعلًا الحقيقة يجب أن يكون نوع من القياس الأسمى الذي عنه تنبثق، وإليه تعود عندما تكون كاملة. لا قياس آخر يُفرض على القياس الأسمى، لأنّه إن كان القياس الأسمى هو قياس بفضل القياس الأسمى فهو قياس بذاته، ومن الضروريّ أن يكون حقيقيًا. إذًا، كما أنّ الحقيقة صادرة عن القياس فالحقيقة ذاتها تعرفه. وما كانت الحقيقة أبدًا بدون قياس ولا القياس بدون حقيقة. مَن هو ابن الله؟ لقد قيل إنّه «الحقيقة». مَن ذا الذي لا أب له؟ مَن هو إن لم يكن القياس الأسمى؟ إذًا، سعيد هو كلّ مَن يأتي إلى القياس الأسمى بواسطة الحقيقة. وفي ما يختصّ بالفكر، فسعيد هو مَن يكون له الله، أي مَن يحظى بالله، لأنّ الباقي كلّه وإن كان ملكًا لله فليس له الله.

٣٥ - والحال، من ينبوع الحقيقة بالذات، ينساب فينا إلحاح بأن نذكر الله ونسعى إليه ونشفي غليلنا منه، من دون أن نتعب منه ألبتّة. إنّه الشمس الخفيّة التي تُرسل أشعّتها إلى أنظارنا الداخليّة. منه نستمدّ حقيقة كلّ ما نقول، في حين نتجرّأ، بخوف، على أن نرفع عيوننا التي لا تزال غامضة، إليه، أو تكاد تكون متفتّحة، وننظر إليه، في ما هو عليه من كمال، فيظهر أشبه بملاك في كماله التامّ. وفي الوقت عينه، هو إله كلّيّ القدرة، ولكنّنا ما دمنا نسعى لا نزال عطاشًا إلى ينبوعه بالذات، أو لكي نستعمل الكلمة، نبقى عطاشًا إلى اكتماله، مقصّرين عن بلوغ القياس الذي لنا، وإن مدَّ الله إلينا يده لمساعدتنا نبقى من دون المستوى الذي به نصبح حكماء وعقلاء، وهو الشِبَع الروحيّ التامّ، والحياة السعيدة عينها، وهي أن نعرف بالتقوى والكمال ذاك الذي يقودنا إلى الحقيقة التي بها نتمتّع

توافقنا عليه عندما بدأنا نأكل. ولكن، ما هي الحكمة، برأيكم، إن لم تكن الحقيقة؟ ولكي تكون فعلًا الحقيقة يجب أن يكون نوع من القياس الأسمى الذي عنه تنبثق، وإليه تعود عندما تكون كاملة. لا قياس آخر يُفرض على القياس الأسمى، لأنّه إن كان القياس الأسمى هو قياس بفضل القياس الأسمى فهو قياس بذاته، ومن الضروريّ أن يكون حقيقيًا. إذًا، كما أنّ الحقيقة صادرة عن القياس فالحقيقة ذاتها تعرفه. وما كانت الحقيقة أبدًا بدون قياس ولا القياس بدون حقيقة. مَن هو ابن الله؟ لقد قيل إنّه «الحقيقة». مَن ذا الذي لا أب له؟ مَن هو إن لم يكن القياس الأسمى؟ إذًا، سعيد هو كلّ مَن يأتي إلى القياس الأسمى بواسطة الحقيقة. وفي ما يختصّ بالفكر، فسعيد هو مَن يكون له الله، أي مَن يحظى بالله، لأنّ الباقي كلّه وإن كان ملكًا لله فليس له الله.

٣٥ - والحال، من ينبوع الحقيقة بالذات، ينساب فينا إلحاح بأن نذكر الله ونسعى إليه ونشفي غليلنا منه، من دون أن نتعب منه ألبتّة. إنّه الشمس الخفيّة التي تُرسل أشعّتها إلى أنظارنا الداخليّة. منه نستمدّ حقيقة كلّ ما نقول، في حين نتجرّأ، بخوف، على أن نرفع عيوننا التي لا تزال غامضة، إليه، أو تكاد تكون متفتّحة، وننظر إليه، في ما هو عليه من كمال، فيظهر أشبه بملاك في كماله التامّ. وفي الوقت عينه، هو إله كلّيّ القدرة، ولكنّنا ما دمنا نسعى لا نزال عطاشًا إلى ينبوعه بالذات، أو لكي نستعمل الكلمة، نبقى عطاشًا إلى اكتماله، مقصّرين عن بلوغ القياس الذي لنا، وإن مدَّ الله إلينا يده لمساعدتنا نبقى من دون المستوى الذي به نصبح حكماء وعقلاء، وهو الشِبَع الروحيّ التامّ، والحياة السعيدة عينها، وهي أن نعرف بالتقوى والكمال ذاك الذي يقودنا إلى الحقيقة التي بها نتمتّع

في الكذب

في الكذب

توطئة

خصّ القدّيس أوغسطينُس الكذب بمقالتَيْن: ظهرت الأولى سنة ٣٩٥ تحت عنوان: الكذب؛ أمّا الثانية فقد ظهرت سنة ٤٢٠ بالعنوان التالي: ضدّ الكذب. ولم يقتصر كلامه على الكذب على هاتين المقالتَيْن، بل ضمّن في رسائله المتنوّعة والمتعدّدة آراءه في الكذب لما لهذا الموضوع من أهمّيّة في الدفاع عن الحقيقة التي وقف النفس على خدمتها.

إن كان قدّيسنا قد خاضّ غمار دراسة هذا الموضوع في المقالتَيْن المذكورتَيْن آنفًا، فرغبةً منه في إلقاء بعض الضوء على الحادث البسيط الذي وقع بين بطرس وبولس، بسبب موقف الأوّل المتردّد من وصول تلميذي يعقوب إلى أنطاكية، خوفًا من جماعة «المختونين». إنّ إيرُونيمُس في الشرح الذي أعطاه عن رسالة بولس إلى أهل غلاطية وفي كتابه إلى أوغسطينس المؤرّخ سنة ٤٠٣ لم يجد خلافًا على الموضوع المذكور بين بولس وبطرس. أمّا أوغسطينس فكان مؤيّدًا بوضوح وصراحة لا لبس فيهما، ولا غموض لموقف بولس الشاجب والمنتقد بطرس.

أمّا المقالة الثانية فقد أصدرها بنوع خاصّ في مسألة تبّاع بريشيليانُس Les priscillianistes، هؤلاء الذين يصعب على بعض القارئين والدارسين أن يصموهم بالهرطقة مع أنّهم وقعوا فيها حقًّا. ولهذا نرى القدّيس أوغسطينس يقف منهم في مقالته المذكورة موقفًا

توطئة

خصّ القدّيس أوغسطينُس الكذب بمقالتَيْن: ظهرت الأولى سنة ٣٩٥ تحت عنوان: الكذب؛ أمّا الثانية فقد ظهرت سنة ٤٢٠ بالعنوان التالي: ضدّ الكذب. ولم يقتصر كلامه على الكذب على هاتين المقالتَيْن، بل ضمّن في رسائله المتنوّعة والمتعدّدة آراءه في الكذب لما لهذا الموضوع من أهمّيّة في الدفاع عن الحقيقة التي وقف النفس على خدمتها.

إن كان قدّيسنا قد خاضّ غمار دراسة هذا الموضوع في المقالتَيْن المذكورتَيْن آنفًا، فرغبةً منه في إلقاء بعض الضوء على الحادث البسيط الذي وقع بين بطرس وبولس، بسبب موقف الأوّل المتردّد من وصول تلميذي يعقوب إلى أنطاكية، خوفًا من جماعة «المختونين». إنّ إيرُونيمُس في الشرح الذي أعطاه عن رسالة بولس إلى أهل غلاطية وفي كتابه إلى أوغسطينس المؤرّخ سنة ٤٠٣ لم يجد خلافًا على الموضوع المذكور بين بولس وبطرس. أمّا أوغسطينس فكان مؤيّدًا بوضوح وصراحة لا لبس فيهما، ولا غموض لموقف بولس الشاجب والمنتقد بطرس.

أمّا المقالة الثانية فقد أصدرها بنوع خاصّ في مسألة تبّاع بريشيليانُس Les priscillianistes، هؤلاء الذين يصعب على بعض القارئين والدارسين أن يصموهم بالهرطقة مع أنّهم وقعوا فيها حقًّا. ولهذا نرى القدّيس أوغسطينس يقف منهم في مقالته المذكورة موقفًا

أين يكمن الكذب؟ هل يجوز ارتكابه من حين إلى آخر؟ ذاك ما نتوخّى مناقشته لاحقًا، استنادًا إلى أمثلة ودوافع متنوّعة. ولهذا سوف نعرض لثمانية أنواع من الكذب نعمل على درسها، على أن نرفضها رفضًا تامًّا، ونثبت أنّ الكذب ممنوع منعًا باتًّا.

I - ١ - مناقشة الموضوع صعبة

يلازمنا، على هذا الصعيد، في حياتنا اليوميّة، سؤال مهمّ وهو: كيف لنا أن نتحاشى الاتّهام بما ليس كذبًا أو بما نعتبره ضروريًّا في بعض المناسبات، وبخاصّة إذا كان متلبّسًا باللين والرحمة؟

إنّ هذه المسألة المهمّة هي موضوع حديث كثيرين، ولهذا لا بدّ من مناقشتها، حتّى إذا اكتشفنا فيها شيئًا ثابتًا، ندرسه بإمعان، أملًا في أن يجد كلُّ مَن يرافقنا، ما يساعده على إزالة الفوضى من أمور كثيرة يخشاها القارئُ، الأشبه بمَن يدخل في مغارة، كثرتْ فيها المنعرجَات، حتّى إذا اجتاز قسمًا منها عادت فظهرت أمامه. وهكذا دواليك، ما إن تختفي واحدة حتّى يظهر سواها، لكنّ ملاحقتنا إيّاها تجعلنا نحصر النظر إليها بشكل أكيد وثابت، حتّى إذا لمسنا خطأً في سيرنا حرّرتنا منه الحقيقة، وإذا ما حصرنا الكذب، من جميع جوانبه، وجدنا أنّ حبَّ الحقيقة الشديد أقوى من الخطأ الذي يساورنا. ورُبَّ قائلٍ ينتقد، بقساوة، مدّعيًا أنّ في الأمر مغالاة، وإذذاك تردُّ الحقيقةُ قائلة: «ذاك غير كافٍ». ثمّ ينبري آخر

أين يكمن الكذب؟ هل يجوز ارتكابه من حين إلى آخر؟ ذاك ما نتوخّى مناقشته لاحقًا، استنادًا إلى أمثلة ودوافع متنوّعة. ولهذا سوف نعرض لثمانية أنواع من الكذب نعمل على درسها، على أن نرفضها رفضًا تامًّا، ونثبت أنّ الكذب ممنوع منعًا باتًّا.

I - ١ - مناقشة الموضوع صعبة

يلازمنا، على هذا الصعيد، في حياتنا اليوميّة، سؤال مهمّ وهو: كيف لنا أن نتحاشى الاتّهام بما ليس كذبًا أو بما نعتبره ضروريًّا في بعض المناسبات، وبخاصّة إذا كان متلبّسًا باللين والرحمة؟

إنّ هذه المسألة المهمّة هي موضوع حديث كثيرين، ولهذا لا بدّ من مناقشتها، حتّى إذا اكتشفنا فيها شيئًا ثابتًا، ندرسه بإمعان، أملًا في أن يجد كلُّ مَن يرافقنا، ما يساعده على إزالة الفوضى من أمور كثيرة يخشاها القارئُ، الأشبه بمَن يدخل في مغارة، كثرتْ فيها المنعرجَات، حتّى إذا اجتاز قسمًا منها عادت فظهرت أمامه. وهكذا دواليك، ما إن تختفي واحدة حتّى يظهر سواها، لكنّ ملاحقتنا إيّاها تجعلنا نحصر النظر إليها بشكل أكيد وثابت، حتّى إذا لمسنا خطأً في سيرنا حرّرتنا منه الحقيقة، وإذا ما حصرنا الكذب، من جميع جوانبه، وجدنا أنّ حبَّ الحقيقة الشديد أقوى من الخطأ الذي يساورنا. ورُبَّ قائلٍ ينتقد، بقساوة، مدّعيًا أنّ في الأمر مغالاة، وإذذاك تردُّ الحقيقة قائلة: «ذاك غير كافٍ». ثمّ ينبري آخر

صدّق ما لم يكن أهلًا لأن يصدَّق، أو ظنّ أنّه يعرف ما يجهله، وكان الشيء صحيحًا، خامره بعض الخطأ، وإن لم يكن صاحبه كاذبًا. إنّه يأخذ المجهول وكأنّه معروف، إذذاك يكذب كلّ مَن يفكّر في شيءٍ ويقدّم شيئًا آخر بكلامه، أو بأيّ نوع من الإشارات والحركات. يقال إنّ الكذّاب يراوغ في قلبه، إذ يحمّل فكره معنَيين: يقبل ويختزن ما يعرفه صحيحًا من دون أن يقول، وفي الوقت عينه يقدّم بديلًا عنه، مع علمه بأنّه خطأ. إذذاك هل قول الخطأ ممكن من دون كذب؟ كذلك يكذب كلّ مَن يقول الحقّ وهو مؤمن بأنّ ما يقوله خطأ فيقدّمه إلى الناس شيئًا صحيحًا، والأخذ بما قيل عن طريق السمع أو القراءة. ومن ثمّ يعتبر الإنسان كذّابًا أو صادقًا، استنادًا إلى نفسيّته، لا إلى حقيقة ما يقول أو يكتب ومن دون أن تؤخذ صوابية ما يقال أو يكتب بعين الاعتبار. إنّ مَن يقول الخطأ، بدلًا من الحقّ، مع اقتناعه التامّ بأنّ قوله هو الصحيح، يخطأ بحسب رأينا ويضِلُّ ويصبح بحاجة إلى أن يفكّر في ما يقول، ولا يمكن اعتباره كاذبًا لأنّه لا يراوغ في حديثه، ولا يريد أن يخدع، ولا أن يغشّ، بل هو نفسه يقع فريسة الغشّ والخداع عندما يضع الناس ثقتهم فيه. إنّه لا يغشّ إمّا لأنّ الناس لا يصدّقونه وإمّا لأنّه يسعى إلى أن يغشّ فينطق بالحقّ الذي يظنّه خطأ. وعندما يثق الناس به فلا يغشّ باستمرار مع أنّه مصمّم على الغشّ. ولا يغشّ إلّا بمقدار ما يظنّ الناس أنّ أقواله تعبّر عمّا يعرفه أو يفكّر فيه.

IV - ٤ - هل الكذب مفيد أو مسموح به أحيانًا؟

إنطلاقًا ممّا سبق وناقشنا، نبحث الآن، على مهل، وبدقّة، عمّا إذا كان الكذب ينتفي كلّيًا مع غياب الإرادة في الغشّ.

صدّق ما لم يكن أهلًا لأن يصدَّق، أو ظنّ أنّه يعرف ما يجهله، وكان الشيء صحيحًا، خامره بعض الخطأ، وإن لم يكن صاحبه كاذبًا. إنّه يأخذ المجهول وكأنّه معروف، إذذاك يكذب كلّ مَن يفكّر في شيءٍ ويقدّم شيئًا آخر بكلامه، أو بأيّ نوع من الإشارات والحركات. يقال إنّ الكذّاب يراوغ في قلبه، إذ يحمّل فكره معنَيين: يقبل ويختزن ما يعرفه صحيحًا من دون أن يقول، وفي الوقت عينه يقدّم بديلًا عنه، مع علمه بأنّه خطأ. إذذاك هل قول الخطأ ممكن من دون كذب؟ كذلك يكذب كلّ مَن يقول الحقّ وهو مؤمن بأنّ ما يقوله خطأ فيقدّمه إلى الناس شيئًا صحيحًا، والأخذ بما قيل عن طريق السمع أو القراءة. ومن ثمّ يعتبر الإنسان كذّابًا أو صادقًا، استنادًا إلى نفسيّته، لا إلى حقيقة ما يقول أو يكتب ومن دون أن تؤخذ صوابية ما يقال أو يكتب بعين الاعتبار. إنّ مَن يقول الخطأ، بدلًا من الحقّ، مع اقتناعه التامّ بأنّ قوله هو الصحيح، يخطأ بحسب رأينا ويضِلُّ ويصبح بحاجة إلى أن يفكّر في ما يقول، ولا يمكن اعتباره كاذبًا لأنّه لا يراوغ في حديثه، ولا يريد أن يخدع، ولا أن يغشّ، بل هو نفسه يقع فريسة الغشّ والخداع عندما يضع الناس ثقتهم فيه. إنّه لا يغشّ إمّا لأنّ الناس لا يصدّقونه وإمّا لأنّه يسعى إلى أن يغشّ فينطق بالحقّ الذي يظنّه خطأ. وعندما يثق الناس به فلا يغشّ باستمرار مع أنّه مصمّم على الغشّ. ولا يغشّ إلّا بمقدار ما يظنّ الناس أنّ أقواله تعبّر عمّا يعرفه أو يفكّر فيه.

IV - ٤ - هل الكذب مفيد أو مسموح به أحيانًا؟

إنطلاقًا ممّا سبق وناقشنا، نبحث الآن، على مهل، وبدقّة، عمّا إذا كان الكذب ينتفي كلّيًا مع غياب الإرادة في الغشّ.

يتربّصون شرًّا بالطريق الفلاني ويخشى أن يسلكه إنسان يهمّه أمر خلاصه، علمًا بأنّ ذاك الإنسان يثق بكلامه، وافترضنا أنّه قال عن ذاك الطريق إنّه آمن وسالك وليس عليه لصوص كيلا يسلكه ذاك الآخر حفاظًا على سلامته، في حين أنّ إنسانًا آخر يعرف ويعتقد أنّه صادق في قوله، لكنّه ينطق قاصدًا الغشّ، فيقول مثلًا لمَن لا يثق به أنّ على الطريق لصوصًا وهم حقًّا عليها، لكي يسير عليها من دون سواها مَن يتحدّث إليه زجًّا به بين أيدي اللصوص، مقتنعًا بأنّ قوله خطأ. أيٌّ منهما هو الكذّاب؟ هل الذي تبنّى قول الخطأ تحاشيًا لغشّ الآخر، أم ذاك الذي قال الحقّ فدفع بمَن يتحدّث إليه إلى الاستمساك بالحقّ؟ إلّا إذا كانا كذّابين كليهما: الذي قال الخطأ والذي أراد الغشّ. وقد لا يكون أيٌّ منهما كذّابًا، الأوّل ليس كذّابًا لأنّه أراد أن يجنّب مَن يتحدّث إليه الخطر، والثاني لأنّه أراد قول الحقيقة من دون سواها. لسنا نقصد هاهنا أن نعرف مَن هو الخاطئ، بل مَن هو الكذّاب... سهلة هي معرفة الخاطئ، إنّه ذاك الذي قال الحقّ فساهم في وقوع الإنسان بين أيدي اللصوص. أمّا الآخر فلم يخطأ بقوله ما ليس صحيحًا، لأنّه نجّى إنسانًا من الوقوع بين أيدي اللصوص. وقد تأخذ أمثلة، كالتي ذكرناها، معاني مختلفة أو مغايرة. إذا أراد مثلًا أحدهما أن يُوقع الإنسان الذي أبى أن يخدعه في شرٍّ أعظم، وفعلًا نرى أنّ أناسًا كثيرين قد تسبَّبوا لأنفسهم بخسارة جسيمة حين علموا بحقيقة، كان من الأفضل أن تبقى مخفيّة عنهم. وكثيرون آخرون ينتحرون متى تيقّنوا من حلول مصيبة كبرى بأعزّاء عليهم، في حين أنّهم قد ينجون من الموت، لو كان الخبر غير صحيح. وكما أنّ الخبر الكاذب ينفعهم، كذلك فإنّ الخبر الصحيح الصادق يؤدّي لهم خدمة سيّئة. ليس المقصود هنا

يتربّصون شرًّا بالطريق الفلاني ويخشى أن يسلكه إنسان يهمّه أمر خلاصه، علمًا بأنّ ذاك الإنسان يثق بكلامه، وافترضنا أنّه قال عن ذاك الطريق إنّه آمن وسالك وليس عليه لصوص كيلا يسلكه ذاك الآخر حفاظًا على سلامته، في حين أنّ إنسانًا آخر يعرف ويعتقد أنّه صادق في قوله، لكنّه ينطق قاصدًا الغشّ، فيقول مثلًا لمَن لا يثق به أنّ على الطريق لصوصًا وهم حقًّا عليها، لكي يسير عليها من دون سواها مَن يتحدّث إليه زجًّا به بين أيدي اللصوص، مقتنعًا بأنّ قوله خطأ. أيٌّ منهما هو الكذّاب؟ هل الذي تبنّى قول الخطأ تحاشيًا لغشّ الآخر، أم ذاك الذي قال الحقّ فدفع بمَن يتحدّث إليه إلى الاستمساك بالحقّ؟ إلّا إذا كانا كذّابين كليهما: الذي قال الخطأ والذي أراد الغشّ. وقد لا يكون أيٌّ منهما كذّابًا، الأوّل ليس كذّابًا لأنّه أراد أن يجنّب مَن يتحدّث إليه الخطر، والثاني لأنّه أراد قول الحقيقة من دون سواها. لسنا نقصد هاهنا أن نعرف مَن هو الخاطئ، بل مَن هو الكذّاب... سهلة هي معرفة الخاطئ، إنّه ذاك الذي قال الحقّ فساهم في وقوع الإنسان بين أيدي اللصوص. أمّا الآخر فلم يخطأ بقوله ما ليس صحيحًا، لأنّه نجّى إنسانًا من الوقوع بين أيدي اللصوص. وقد تأخذ أمثلة، كالتي ذكرناها، معاني مختلفة أو مغايرة. إذا أراد مثلًا أحدهما أن يُوقع الإنسان الذي أبى أن يخدعه في شرٍّ أعظم، وفعلًا نرى أنّ أناسًا كثيرين قد تسبَّبوا لأنفسهم بخسارة جسيمة حين علموا بحقيقة، كان من الأفضل أن تبقى مخفيّة عنهم. وكثيرون آخرون ينتحرون متى تيقّنوا من حلول مصيبة كبرى بأعزّاء عليهم، في حين أنّهم قد ينجون من الموت، لو كان الخبر غير صحيح. وكما أنّ الخبر الكاذب ينفعهم، كذلك فإنّ الخبر الصحيح الصادق يؤدّي لهم خدمة سيّئة. ليس المقصود هنا

٥ - متى يكون الكذب نافعًا ومفيدًا

أن يعرف الإنسان فذاك أمرٌ أهمّ وأكثر إلحاحًا من غيره حتّى إذا كذب أحد الناس ولم يقصد الغشّ، وسعى إلى أن يجنّب مَن يتحدّث إليه الخطأ بسببه، مع أنّه دسّ الخطأ في كلامه، عن سابق تصوّر وتصميم، أو إن قال سواه الحقّ قاصدًا الغشّ، فلا يزال الشكّ في كلامه قائمًا. ولا ريب في أنّ مَن يقصد الخطأ ويتبنّاه في كلامه، بقصد الغشّ، فهو كذّاب، ومَن لا يقول الحقّ، بقصد الغشّ، يكذب، لأنّه، وبكلّ وضوح، ينطق بكذبة. ولكن أن يعرف الإنسان أنّ تلك هي الصورة الوحيدة قيامًا للكذب، فالمسألة فيها نظر، ولا بدّ من مناقشتها.

٧ - ننتقل إلى درس النوع التالي من الكذب، وهو الذي يجمع عليه الناس والذي نتطارح بشأنه السؤال التالي: هل من النافع والمفيد أحيانًا أن ينطق الإنسان بغير الحقّ قاصدًا الغشّ والخداع؟ بعضهم يقول به ويدعم رأيه بما جاء في **الكتاب المقدّس** عن سارة التي، وإن تكن قد ضحكت، فقد أنكرت ذلك على الملائكة: «فجحدت سارة قائلةً لم أضحك، لأنّها خافت. فقال لا بل ضحكتِ» (**سفر التكوين ١٨ : ١٥**). كما أجاب يعقوب أباه الذي سأله، أنّه عيسو ابنه البكر: «فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك قد صنعتُ كما أمرتني. قم فاجلس وكُلْ من صيدي لكي تباركني نفسك» (**سفر التكوين ٢٧ : ١٩**). وقد كذبت القابلتان المصريّتان لتخلّصا من الموت ذكور العبرانيّين: «فقالتا لفرعون إنّ العبرانيّات لسن كالنساء المصريّات، فهنّ قويّات يلدن قبل أن تدخل عليهنّ القابلة» (**سفر الخروج ١ : ١٩**)، وأحسن الله إلى القابلتَيْن. كما وأنّ القائلين بذاك المبدأ يختارون عدّة أمثلة من ذاك النوع، ويستشهدون

٥ - متى يكون الكذب نافعًا ومفيدًا

أن يعرف الإنسان فذاك أمرٌ أهمّ وأكثر إلحاحًا من غيره حتّى إذا كذب أحد الناس ولم يقصد الغشّ، وسعى إلى أن يجنّب مَن يتحدّث إليه الخطأ بسببه، مع أنّه دسّ الخطأ في كلامه، عن سابق تصوّر وتصميم، أو إن قال سواه الحقّ قاصدًا الغشّ، فلا يزال الشكّ في كلامه قائمًا. ولا ريب في أنّ مَن يقصد الخطأ ويتبنّاه في كلامه، بقصد الغشّ، فهو كذّاب، ومَن لا يقول الحقّ، بقصد الغشّ، يكذب، لأنّه، وبكلّ وضوح، ينطق بكذبة. ولكن أن يعرف الإنسان أنّ تلك هي الصورة الوحيدة قيامًا للكذب، فالمسألة فيها نظر، ولا بدّ من مناقشتها.

٧ - ننتقل إلى درس النوع التالي من الكذب، وهو الذي يجمع عليه الناس والذي نتطارح بشأنه السؤال التالي: هل من النافع والمفيد أحيانًا أن ينطق الإنسان بغير الحقّ قاصدًا الغشّ والخداع؟ بعضهم يقول به ويدعم رأيه بما جاء في **الكتاب المقدّس** عن سارة التي، وإن تكن قد ضحكت، فقد أنكرت ذلك على الملائكة: «فجحدت سارة قائلةً لم أضحك، لأنّها خافت. فقال لا بل ضحكتِ» (**سفر التكوين ١٨ : ١٥**). كما أجاب يعقوب أباه الذي سأله، أنّه عيسو ابنه البكر: «فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك قد صنعتُ كما أمرتني. قم فاجلس وكُلْ من صيدي لكي تباركني نفسك» (**سفر التكوين ٢٧ : ١٩**). وقد كذبت القابلتان المصريّتان لتخلّصا من الموت ذكور العبرانيّين: «فقالتا لفرعون إنّ العبرانيّات لسن كالنساء المصريّات، فهنّ قويّات يلدن قبل أن تدخل عليهنّ القابلة» (**سفر الخروج ١ : ١٩**)، وأحسن الله إلى القابلتَيْن. كما وأنّ القائلين بذاك المبدأ يختارون عدّة أمثلة من ذاك النوع، ويستشهدون

في الكلام» (أفسس ٤ : ٢٥).

٧ - ويؤكّدون أنّهم لا يتأثّرون بما يُقدّم من نماذج في الكذب مستقاة من الكتب المقدّسة القديمة حيث يطغى فيها المعنى المجازيّ، وإن كان الشيء قد حدث فعلًا، إذ إنّ ما يقال أو يُعطى بأسلوب مجازيّ لا يُعتبر كذبًا، لأنّ كلّ ما يُصرَّح به أو يُعلَن عنه مرتبط، حتمًا، بما يعنيه قولًا وفعلًا. وكلّ حدث أو كلمة تعبّر عن المعنى الذي تحتويه وتمنحه إلى الذين توجّه إليهم. إذذاك يجب على القارئ أو السامع أن يعتقد، ويؤمن بأنّ الناس الذين قيلت عنهم قد عاشوا في أزمنة الأنبياء، واعتُبروا أهلًا لأن يتبوّأوا السلطة، فعملوا وقالوا كلّ ما جاء عنهم بالمعنى النبويّ، وأنّ كلّ ما قد جرى لهم ومعهم بوحيٍ نبويٍّ كذلك، كان أهلًا بشكل طبيعيّ، لأن يُحفظ في ذاكرة معاصريهم، ويدوّن كتابة. أمّا بشأن تلك القابلات المصريّات، ما دام الكلام عليهنّ محصورًا في ما قمن به وأتينه بروح نبويّة، فقد قلن لفرعون شيئًا عوضًا عن آخر، تنبّؤًا عن المستقبل (وإن لم يدركن ساعتئذٍ ما سوف يتمّ على أيديهنّ). فقد قالت الكتب عنهنّ إنّهنّ نلن الموافقة والتأييد الإلهيّ على ما قمن به بحسب وظيفتهنّ. إنّ كلّ مَن تعوّد أن يكذب، قاصدًا الضرر والأذى، ثمّ راح يكذب قاصدًا الخير، يحرز تقدّمًا محسوسًا على طريق الخير لا بأس به. إنّ ما يستحقّ الثناء والمديح في ذاته شيء، وشيءٌ آخر هو الذي يُفضّل إذا قورن بالأسوأ منه. إنّ فرحنا بمَن يتمتّع بصحّة جيّدة يختلف تمامًا عن فرحنا بإنسان مريض أخذ يتعافى.

يُحكى في الكتب المقدّسة عينها عن صادوم وقد تبرّرت مقارنةً بما ارتكبه الشعب الإسرائيليّ من جرائم ومخازٍ. ثمّ تقاس تقديريًّا

في الكلام» (أفسس ٤ : ٢٥).

٧ - ويؤكّدون أنّهم لا يتأثّرون بما يُقدّم من نماذج في الكذب مستقاة من الكتب المقدّسة القديمة حيث يطغى فيها المعنى المجازيّ، وإن كان الشيء قد حدث فعلًا، إذ إنّ ما يقال أو يُعطى بأسلوب مجازيّ لا يُعتبر كذبًا، لأنّ كلّ ما يُصرَّح به أو يُعلَن عنه مرتبط، حتمًا، بما يعنيه قولًا وفعلًا. وكلّ حدث أو كلمة تعبّر عن المعنى الذي تحتويه وتمنحه إلى الذين توجّه إليهم. إذذاك يجب على القارئ أو السامع أن يعتقد، ويؤمن بأنّ الناس الذين قيلت عنهم قد عاشوا في أزمنة الأنبياء، واعتُبروا أهلًا لأن يتبوّأوا السلطة، فعملوا وقالوا كلّ ما جاء عنهم بالمعنى النبويّ، وأنّ كلّ ما قد جرى لهم ومعهم بوحي نبويٍّ كذلك، كان أهلًا بشكل طبيعيّ، لأن يُحفظ في ذاكرة معاصريهم، ويدوّن كتابة. أمّا بشأن تلك القابلات المصريّات، ما دام الكلام عليهنّ محصورًا في ما قمن به وأتينه بروح نبويّة، فقد قلن لفرعون شيئًا عوضًا عن آخر، تنبّؤًا عن المستقبل (وإن لم يدركن ساعتئذٍ ما سوف يتمّ على أيديهنّ). فقد قالت الكتب عنهنّ إنّهنّ نلن الموافقة والتأييد الإلهيّ على ما قمن به بحسب وظيفتهنّ. إنّ كلّ مَن تعوّد أن يكذب، قاصدًا الضرر والأذى، ثمّ راح يكذب قاصدًا الخير، يحرز تقدّمًا محسوسًا على طريق الخير لا بأس به. إنّ ما يستحقّ الثناء والمديح في ذاته شيء، وشيءٌ آخر هو الذي يُفضّل إذا قورن بالأسوأ منه. إنّ فرحنا بمَن يتمتّع بصحّة جيّدة يختلف تمامًا عن فرحنا بإنسان مريض أخذ يتعافى.

يُحكى في الكتب المقدّسة عينها عن صادوم وقد تبرّرت مقارنةً بما ارتكبه الشعب الإسرائيليّ من جرائم ومخازٍ. ثمّ تقاس تقديريًّا

آخر: «لقد أصبح ختانك غرلة» (**رومية ٢: ٢٥**). ولم يقل الرسول ذلك ليفرض على الأوّلين الاحتفاظ بقلفهم وعلى اليهود التقيّد بتقاليد آبائهم، بل لكي يتبنّى هؤلاء وأولئك تقاليد بعضهم بعضًا. ولكلّ واحد من الطرفين القدرة، وليس بالضرورة، على الاحتفاظ بما هو فيه وعليه، حتّى إن أراد اليهوديّ أن يتخلّى عن التقاليد اليهوديّة فلا مانع من ذلك لدى الرسول، ويشير إلى أنّه ما كان يكره تلك العادة كأنّها أثيمة، بل يعتبرها بمثابة علامة لا نفع لها، بعد أن زالت فائدتها مع الوقت، حتّى إذا لم يُترجَّ منها أيّ خلاص فلا خشية من فقدانها. وإنّ تيموثاوس المدعوّ غير مختون، لكونه مولودًا من أمّ يهوديّة، كان عليه أن يظهر أمام والديه أنّه لم يأخذ عن الديانة المسيحيّة كراهية المراسيم المقدّسة الخاصّة بالشريعة القديمة، فختنه الرسول مبيّنًا هكذا لليهود أنّ الوثنيّين كانوا يرفضون الالتحاق بهم ليس لأنّ شريعتهم سيّئة وأنّ الأقدمين حافظوا عليها لا لهلاكهم وحسب، بل لأنّها لم تعد نافعة للخلاص، منذ أن وصل ذلك السرّ العظيم الذي، على مدى أجيال طويلة، أظهرته الكتب المقدّسة إلى النور في كلّ ما رمزت إليه، على أيدي الأنبياء. وكان من الممكن أن يختن تيطوس كما كان يلحّ عليه اليهود بذلك لولا دخول بعض الإخوة الكذبة خفية، والذين كانوا يرغبون في الإعلان في كلّ مكان عن انحياز بولس إليهم، وعن أنّ رجاء الخلاص الإنجيليّ مرتكز على ختان اللحم وكلّ الممارسات المشابهة التي لا يستطيع المسيح بدونها أن يساعد أحدًا. ولكن، بخلاف ذلك، فإنّ المسيح لا يستطيع شيئًا في ما يتعلّق بمَن يختتنون اعتقادًا منهم أنّ الخلاص يكمن في ذلك العمل. إنطلاقًا من ذلك الموقف، قال بولس الرسول: «أنا بولس أقول لكم، إن طلبتم أن تختتنوا فالمسيح

آخر: «لقد أصبح ختانك غرلة» (**رومية ٢: ٢٥**). ولم يقل الرسول ذلك ليفرض على الأوّلين الاحتفاظ بقلفهم وعلى اليهود التقيّد بتقاليد آبائهم، بل لكي يتبنّى هؤلاء وأولئك تقاليد بعضهم بعضًا. ولكلّ واحد من الطرفين القدرة، وليس بالضرورة، على الاحتفاظ بما هو فيه وعليه، حتّى إن أراد اليهوديّ أن يتخلّى عن التقاليد اليهوديّة فلا مانع من ذلك لدى الرسول، ويشير إلى أنّه ما كان يكره تلك العادة كأنّها أثيمة، بل يعتبرها بمثابة علامة لا نفع لها، بعد أن زالت فائدتها مع الوقت، حتّى إذا لم يُترجَّ منها أيّ خلاص فلا خشية من فقدانها. وإنّ تيموثاوس المدعوّ غير مختون، لكونه مولودًا من أمّ يهوديّة، كان عليه أن يظهر أمام والديه أنّه لم يأخذ عن الديانة المسيحيّة كراهية المراسيم المقدّسة الخاصّة بالشريعة القديمة، فختنه الرسول مبيّنًا هكذا لليهود أنّ الوثنيّين كانوا يرفضون الالتحاق بهم ليس لأنّ شريعتهم سيّئة وأنّ الأقدمين حافظوا عليها لا لهلاكهم وحسب، بل لأنّها لم تعد نافعة للخلاص، منذ أن وصل ذلك السرّ العظيم الذي، على مدى أجيال طويلة، أظهرته الكتب المقدّسة إلى النور في كلّ ما رمزت إليه، على أيدي الأنبياء. وكان من الممكن أن يختن تيطوس كما كان يلحّ عليه اليهود بذلك لولا دخول بعض الإخوة الكذبة خفية، والذين كانوا يرغبون في الإعلان في كلّ مكان عن انحياز بولس إليهم، وعن أنّ رجاء الخلاص الإنجيليّ مرتكز على ختان اللحم وكلّ الممارسات المشابهة التي لا يستطيع المسيح بدونها أن يساعد أحدًا. ولكن، بخلاف ذلك، فإنّ المسيح لا يستطيع شيئًا في ما يتعلّق بمَن يختتنون اعتقادًا منهم أنّ الخلاص يكمن في ذلك العمل. إنطلاقًا من ذلك الموقف، قال بولس الرسول: «أنا بولس أقول لكم، إن طلبتم أن تختتنوا فالمسيح

يتظاهر به. إنّه اقتداء به في التوبة وذرف الدموع وليس في نكرانه يسوع.

VI - ولقد راحوا يؤكّدون، أكثر فأكثر، أنّ الوثوق بالأمثلة المأخوذة من الحياة العاديّة لا يجوز، وبدأوا يشرحون أنّ الكذب جورٌ وبهتان، استنادًا إلى عدّة براهين اتّخذوها من الكتب المقدّسة، ولا سيّما العبارة التالية: «يا ربّ أنت تبغض جميع الذين يمارسون الظلم وتهلك الناطقين بالكذب» (**مزمور ١٥ : ٧**). وفعلًا فإنّ القسم الأوّل من العبارة يجد شرحًا له في القسم الثاني، والظلم يبدو واضحًا أمام الجميع لكي يدركوا أنّ الإشارة إلى الكذب تدعو القارئ إلى أن يفهم القسم التالي، وهو أنّ الكذب مثال أساسيّ للظلم، حتّى إذا فكّرنا في أنّ بينهما فرقًا بسيطًا تفاقم خطر الكذب على الآخر فيُستعمل للتعبير عنه بلفظة لاتينيّة هي كلمة «Perdes» التي تعني «ستخسر»، وتفوق كثيرًا بخطورتها كلمة «كرهتُ أو أبغضتُ». وفي الواقع، يشعر الله بنوع من الاشمئزاز كي لا يتسبّب بهلاك هذا الإنسان أو ذاك. أمّا الذي يخسره فيشعر تجاهه بما يساوي العقاب الذي يحلّ به. وما من شكّ في أنّ الله يبغض كلّ مَن يمارس الظلم، في حين أنّه يخسر جميع المنافقين. وانطلاقًا ممّا سبق ذكره، فمَن ذا الذي ممَّن يتبنّون ذلك الرأي، لا يضطرب حين يسمع بتلك الأمثلة يقال له: «وإن جاءك إنسان يطلب منك كذبة يتعلّق عليها خلاصه فماذا تفعل؟ وكيف تتصرّف؟». الموت الطبيعيّ الذي يخافه أناس جهلة لا يخشون الخطأة، هو موت يقتل الجسد ولا يستطيع أن يقتل النفس، كما علّمه الله في الإنجيل المقدّس، بوضوح كلّيّ، حين قال: «الفم الذي يكذب يقتل النفس» (**الحكمة ١ : ١٧**). وهل لنا أن نكون حينذاك على هذا القدر الكبير من الشرّ

يتظاهر به. إنّه اقتداء به في التوبة وذرف الدموع وليس في نكرانه يسوع.

VI - ولقد راحوا يؤكّدون، أكثر فأكثر، أنّ الوثوق بالأمثلة المأخوذة من الحياة العاديّة لا يجوز، وبدأوا يشرحون أنّ الكذب جورٌ وبهتان، استنادًا إلى عدّة براهين اتّخذوها من الكتب المقدّسة، ولا سيّما العبارة التالية: «يا ربّ أنت تبغض جميع الذين يمارسون الظلم وتهلك الناطقين بالكذب» (**مزمور ١٥ : ٧**). وفعلًا فإنّ القسم الأوّل من العبارة يجد شرحًا له في القسم الثاني، والظلم يبدو واضحًا أمام الجميع لكي يدركوا أنّ الإشارة إلى الكذب تدعو القارئ إلى أن يفهم القسم التالي، وهو أنّ الكذب مثال أساسيّ للظلم، حتّى إذا فكّرنا في أنّ بينهما فرقًا بسيطًا تفاقم خطر الكذب على الآخر فيُستعمل للتعبير عنه بلفظة لاتينيّة هي كلمة «Perdes» التي تعني «ستخسر»، وتفوق كثيرًا بخطورتها كلمة «كرهتُ أو أبغضتُ». وفي الواقع، يشعر الله بنوع من الاشمئزاز كي لا يتسبّب بهلاك هذا الإنسان أو ذاك. أمّا الذي يخسره فيشعر تجاهه بما يساوي العقاب الذي يحلّ به. وما من شكّ في أنّ الله يبغض كلّ مَن يمارس الظلم، في حين أنّه يخسر جميع المنافقين. وانطلاقًا ممّا سبق ذكره، فمَن ذا الذي ممَّن يتبنّون ذلك الرأي، لا يضطرب حين يسمع بتلك الأمثلة يقال له: «وإن جاءك إنسان يطلب منك كذبة يتعلّق عليها خلاصه فماذا تفعل؟ وكيف تتصرّف؟». الموت الطبيعيّ الذي يخافه أناس جهلة لا يخشون الخطأة، هو موت يقتل الجسد ولا يستطيع أن يقتل النفس، كما علّمه الله في الإنجيل المقدّس، بوضوح كلّيّ، حين قال: «الفم الذي يكذب يقتل النفس» (**الحكمة ١ : ١٧**). وهل لنا أن نكون حينذاك على هذا القدر الكبير من الشرّ

دنسًا أمام الناس؟ حسبنا أن نتوقّف في هذا الصعيد على نقطة واحدة، من دون سواها، لنتساءل قائلين: هل الكذب ظلم؟ ما دمنا قد أخذنا جوابًا عن هذا السؤال في ما سبق، فعلينا أن نستوعب الجواب عن السؤال التالي: هل الكذب ضروريّ في سبيل خلاص إنسان؟ ثمّ نضيف إليه سؤالًا آخر وهو التالي: هل يجوز لإنسان أن يرتكب ظلامة معيّنة في سبيل خلاص آخر؟ إن لم يتلاءم خلاص النفس مع هذا الطرح، وما زلنا عاجزين عن التأكّد منه إلّا في إطار العدل، في حين أنّ الآخر يريد أن يجعله قبل سلام الآخرين الزمنيّ حتّى فوق سلامته الشخصيّة، حينذاك يقولون: ما الذي يحملنا على الشكّ منذ الآن وصاعدًا في أنّ الكذب محرّم أيًّا يكن السبب؟ لا يستطيع الإنسان أن يتخيّل شيئًا أهمّ وأعزّ عليه، بين الخيور الزمنيّة، من حياته الطبيعيّة وسلامتها. وإن كانت الحقيقة أفضل من كلّ الخيور الزمنيّة، فكيف لا نعترض على مَن يدعو إلى الكذب من وقت إلى آخر؟

VII – ١٠ – يبدو أنّ سلامة الجسد تختصّ في الظاهر بعظماء هذا العالم وتدّعي الحقّ لها بالكذب. وعلى سبيل المثال، إذ تقدّم منك سارق باستطاعته أن يتخلّص، بواسطة كذبة، وأعرته انتباهًا خاصًّا، اضطررت إلى أن تكذب، على أنّك تستطيع أن تجيب بسهولة أنّ لا كمال جسديًّا إلّا إذا كان مرتبطًا بعقل كامل لا عيب فيه، حتّى إذا نقص الكمال العقليّ أصيب الكمال الجسديّ بنقص ولو بدا سليمًا، ولا يجوز أن نعتبره خيرًا زمنيًّا، وكأنّنا قادرون على أن ننتزعه من رافضيه. وفي الواقع، إنّ الفكر لا يمكن أن يوصم بأيّ شيء من خلال كذبة، تعطى لمصلحة الجسد الذي يعرف أن يبقى في مأمن من كلّ قذارة، وظلّ الفكر محافظًا على نقاوته. إنّ ما

دنسًا أمام الناس؟ حسبنا أن نتوقّف في هذا الصعيد على نقطة واحدة، من دون سواها، لنتساءل قائلين: هل الكذب ظلم؟ ما دمنا قد أخذنا جوابًا عن هذا السؤال في ما سبق، فعلينا أن نستوعب الجواب عن السؤال التالي: هل الكذب ضروريّ في سبيل خلاص إنسان؟ ثمّ نضيف إليه سؤالًا آخر وهو التالي: هل يجوز لإنسان أن يرتكب ظلامة معيّنة في سبيل خلاص آخر؟ إن لم يتلاءم خلاص النفس مع هذا الطرح، وما زلنا عاجزين عن التأكّد منه إلّا في إطار العدل، في حين أنّ الآخر يريد أن يجعله قبل سلام الآخرين الزمنيّ حتّى فوق سلامته الشخصيّة، حينذاك يقولون: ما الذي يحملنا على الشكّ منذ الآن وصاعدًا في أنّ الكذب محرّم أيًّا يكن السبب؟ لا يستطيع الإنسان أن يتخيّل شيئًا أهمّ وأعزّ عليه، بين الخيور الزمنيّة، من حياته الطبيعيّة وسلامتها. وإن كانت الحقيقة أفضل من كلّ الخيور الزمنيّة، فكيف لا نعترض على مَن يدعو إلى الكذب من وقت إلى آخر؟

VII – ١٠ – يبدو أنّ سلامة الجسد تختصّ في الظاهر بعظماء هذا العالم وتدّعي الحقّ لها بالكذب. وعلى سبيل المثال، إذ تقدّم منك سارق باستطاعته أن يتخلّص، بواسطة كذبة، وأعرته انتباهًا خاصًّا، اضطررت إلى أن تكذب، على أنّك تستطيع أن تجيب بسهولة أنّ لا كمال جسديًّا إلّا إذا كان مرتبطًا بعقل كامل لا عيب فيه، حتّى إذا نقص الكمال العقليّ أصيب الكمال الجسديّ بنقص ولو بدا سليمًا، ولا يجوز أن نعتبره خيرًا زمنيًّا، وكأنّنا قادرون على أن ننتزعه من رافضيه. وفي الواقع، إنّ الفكر لا يمكن أن يوصم بأيّ شيء من خلال كذبة، تعطى لمصلحة الجسد الذي يعرف أن يبقى في مأمن من كلّ قذارة، وظلّ الفكر محافظًا على نقاوته. إنّ ما

التكوين ١٩ : ٨)، فكم الأجدر بعفّة النفس أن تُحفظ في الحقيقة بعناية وثبات لأنّه يجب تفضيلها بكلّ تأكيد على الجسد، كما جسد الذكر مفضّل على جسد الأنثى؟

VIII - ١١ - إن ظنّ أحد أنّ الكذب واجب، حبًّا بمصلحة الآخر، وضمانة لبقائه، أو حفاظًا على أعزّ ما لديه من ممتلكات، وحقّق مراده، استطاع أن يصل إلى الحقيقة الأبديّة وهو لا يدرك، بادئ ذي بدء، أن لا ذنب عليه كما جرى تبيانه آنفًا، إلّا ضمن الشروط عينها بحيث يضطرّ إلى إتمامها، يعقبها تراجع السلطة التعليميّة وإلغاؤها عمليًّا، إن عملنا على إقناع ما نجهد على حملنا إليها على أن يكون الكذب في تلك المناسبة ضروريًّا. متى كان التعليمُ الخلاصيّ قائمًا من ناحية على الإيمان، ومن ناحية أخرى على العقل، حينذاك يبقى الوصول إلى ما هو قابل للإدراك غير ممكن إلّا إذا قبلنا، مسبقًا، بما كان موضوع إيمان. إذ كيف يمكنك أن تصدّق مَن يدعو إلى الكذب وقد يكون كاذبًا وهو يدعوك إلى أن تصدّقه؟ وكيف لنا أن نعرف، فعلًا، إذا لم يكن متذرّعًا، في ما يقول، بحجّة، تجعل الكذب مقبولًا، مدّعيًا أنّ إنسانًا ما يقدر، في حالة من الرعب الشديد أوقعه فيها خبر كاذب، الابتعاد عن ارتكاب الفحشاء، ثمّ يفكّر في أنّه من خلال كذبة معيّنة يقوم بعمل روحيّ؟ إن كان هذا التصرّف مقبولًا ومستحبًّا ومرعيًّا فإنّه يقضي على العقيدة الإيمانيّة التي إذا تمّ القضاء عليها، أصبح الوصول إلى المعقول مستحيلًا. وهو الذي نغذّي به عقول الأطفال فيُقضى إذذاك على تعليمها إذا ما استسلم الإنسان إلى ما في الكذب من تسهيلات، وأصبح إدخال الأكاذيب اللطيفة من أسهل الأمور. كلّ كاذب يؤثِرُ الخيور الزمنيّة على الحقيقة سواء أخاصّة به كانت تلك الخيور أم

التكوين ١٩ : ٨)، فكم الأجدر بعفّة النفس أن تُحفظ في الحقيقة بعناية وثبات لأنّه يجب تفضيلها بكلّ تأكيد على الجسد، كما جسد الذكر مفضّل على جسد الأنثى؟

VIII - ١١ - إن ظنّ أحد أنّ الكذب واجب، حبًّا بمصلحة الآخر، وضمانة لبقائه، أو حفاظًا على أعزّ ما لديه من ممتلكات، وحقَّق مراده، استطاع أن يصل إلى الحقيقة الأبديّة وهو لا يدرك، بادئ ذي بدء، أن لا ذنب عليه كما جرى تبيانه آنفًا، إلّا ضمن الشروط عينها بحيث يضطرّ إلى إتمامها، يعقبها تراجع السلطة التعليميّة وإلغاؤها عمليًّا، إن عملنا على إقناع ما نجهد على حملنا إليها على أن يكون الكذب في تلك المناسبة ضروريًّا. متى كان التعليمُ الخلاصيّ قائمًا من ناحية على الإيمان، ومن ناحية أخرى على العقل، حينذاك يبقى الوصول إلى ما هو قابل للإدراك غير ممكن إلّا إذا قبلنا، مسبقًا، بما كان موضوع إيمان. إذ كيف يمكنك أن تصدّق مَن يدعو إلى الكذب وقد يكون كاذبًا وهو يدعوك إلى أن تصدّقه؟ وكيف لنا أن نعرف، فعلًا، إذا لم يكن متذرّعًا، في ما يقول، بحجّة، تجعل الكذب مقبولًا، مدّعيًا أنّ إنسانًا ما يقدر، في حالة من الرعب الشديد أوقعه فيها خبر كاذب، الابتعاد عن ارتكاب الفحشاء، ثمّ يفكّر في أنّه من خلال كذبة معيّنة يقوم بعمل روحيّ؟ إن كان هذا التصرّف مقبولًا ومستحبًّا ومرعيًّا فإنّه يقضي على العقيدة الإيمانيّة التي إذا تمّ القضاء عليها، أصبح الوصول إلى المعقول مستحيلًا. وهو الذي نغذّي به عقول الأطفال فيُقضى إذذاك على تعليمها إذا ما استسلم الإنسان إلى ما في الكذب من تسهيلات، وأصبح إدخال الأكاذيب اللطيفة من أسهل الأمور. كلّ كاذب يؤثِرُ الخيور الزمنيّة على الحقيقة سواء أخاصّة به كانت تلك الخيور أم

أن يقوم بالفعل عمليًّا. هل كان ذاك الإنسان على حقّ، في عبادة الأصنام، بدلًا من أن يقبل بتلك القذارة؟ وهل كان من الأفضل له أن يكذب، لو قدر على ذلك، من أن يعبد الأصنام؟ ولكن، إن اعتُبِر ذاك القبول عملًا معيّنًا، فالذين يفضّلون الموت على القيام بشهادة الزور يعتبرون قتلةً ومجرمين. وشرّ الأعمال هو القتل الذي يمارس على الذات أي الانتحار. إذًا، لِمَ لا يقال عنهم إنّهم انتحروا بعد أن اختاروه لأنفسهم، تحاشيًا لما يرغمونهم عليه؟ أمّا إن ظنّ إنسان أنّه قتل إنسانًا آخر أفظع من الانتحار، فما رأيكم في ما لو قيل لشهيد رفض أن يشهد شهادة زور ضدّ المسيح، وأن يقدّم ذبائح إلى الأوثان، أنّ والده سوف يقتل أمامه من دون أيّ إنسان آخر، وأخذ والده يتوسّل إليه لكي يقبل، وألّا يرفض ما يُطلب إليه القيام به؟ أليس واضحًا وصحيحًا أنّه إن ظلّ متمسّكًا بإيمانه، فالمجرمون الحقيقيّون هم الوحيدون قتلة والده، ولا دخل له في الجريمة؟ إنّه لا يُعتبر شريكًا في جريمة القتل، ولو اضطرّ إلى أن يرى والده يسام العذاب على أيدي الآخرين، وقد رفض هو شخصيًّا أن يشهد شهادة زور. إنّ الرضوخ للظلم لا يجعل الضحيّة شريكًا في الإثم بعد أن رفض أن يرتكبه حتّى وإن قام الآخرون بارتكابه. وفي الواقع، ماذا يقول أمثال أولئك المضطهدين؟ إنّهم يقولون: «إصنع الشرّ أنت لئلّا نصنعه نحن». إن كانوا بفضلٍ منّا، وبواسطة ما قمنا به، وفّرنا عليهم القيام به، فليس لنا أن نحبِّب إليهم عمل الشرّ. وحين لا يقولون ذلك، بل يفعلونه، فلِمَ نرضى بهم، مجرمين وسفّاحين، إلى جانبنا وليسوا منعزلين بعيدًا منّا؟ وفي الواقع لا يمكننا أن نتكلّم هنا على اتّفاق، ما دمنا نشجب أعمالهم ونسعى جادّين باستمرار، وبكلّ قوانا، إلى ردعهم عن غيّهم، ولا نشاركهم

أن يقوم بالفعل عمليًّا. هل كان ذاك الإنسان على حقّ، في عبادة الأصنام، بدلًا من أن يقبل بتلك القذارة؟ وهل كان من الأفضل له أن يكذب، لو قدر على ذلك، من أن يعبد الأصنام؟ ولكن، إن اعتُبِر ذاك القبول عملًا معيّنًا، فالذين يفضّلون الموت على القيام بشهادة الزور يعتبرون قتلةً ومجرمين. وشرّ الأعمال هو القتل الذي يمارس على الذات أي الانتحار. إذًا، لِمَ لا يقال عنهم إنّهم انتحروا بعد أن اختاروه لأنفسهم، تحاشيًا لما يرغمونهم عليه؟ أمّا إن ظنّ إنسان أنّه قتل إنسانًا آخر أفظع من الانتحار، فما رأيكم في ما لو قيل لشهيد رفض أن يشهد شهادة زور ضدّ المسيح، وأن يقدّم ذبائح إلى الأوثان، أنّ والده سوف يقتل أمامه من دون أيّ إنسان آخر، وأخذ والده يتوسّل إليه لكي يقبل، وألّا يرفض ما يُطلب إليه القيام به؟ أليس واضحًا وصحيحًا أنّه إن ظلّ متمسّكًا بإيمانه، فالمجرمون الحقيقيّون هم الوحيدون قتلة والده، ولا دخل له في الجريمة؟ إنّه لا يُعتبر شريكًا في جريمة القتل، ولو اضطرّ إلى أن يرى والده يسام العذاب على أيدي الآخرين، وقد رفض هو شخصيًّا أن يشهد شهادة زور. إنّ الرضوخ للظلم لا يجعل الضحيّة شريكًا في الإثم بعد أن رفض أن يرتكبه حتّى وإن قام الآخرون بارتكابه. وفي الواقع، ماذا يقول أمثال أولئك المضطهدين؟ إنّهم يقولون: «إصنع الشرّ أنت لئلّا نصنعه نحن». إن كانوا بفضلٍ منّا، وبواسطة ما قمنا به، وفّرنا عليهم القيام به، فليس لنا أن نحبِّب إليهم عمل الشرّ. وحين لا يقولون ذلك، بل يفعلونه، فلِمَ نرضى بهم، مجرمين وسفّاحين، إلى جانبنا وليسوا منعزلين بعيدًا منّا؟ وفي الواقع لا يمكننا أن نتكلّم هنا على اتّفاق، ما دمنا نشجب أعمالهم ونسعى جادّين باستمرار، وبكلّ قوانا، إلى ردعهم عن غيّهم، ولا نشاركهم

ولا ذاك، لأنّي إن قلتُ إنّه كان عليه أن يختار هذا الاقتراح أو ذاك أُبدي موافقتي، بيد أنّي أرفض الاقتراحَيْن معًا. وإذا ما سئلتُ عن أيٍّ منهما كان عليه أن يتحاشاه، من بين الاثنين، إن فُرِض عليه واحد من اثنين، أجيبه عندئذٍ: عليه أن يتجنّب خطيئته وليس خطيئة الآخرين، لأنّنا إن حاولنا أن نتعمّق في درس الموضوع لجاهرنا، من دون أيّ تأخير، بأنّ القذارة هي أشدّ خطرًا على الإنسان من عبادة الأصنام، لأنّ الأولى هي من عمل الآخرين، أمّا الأخيرة فهي من صنعه، وإن يكن هو مَن يعاني منها لأنّ مَن يرتكب الخطيئة يتحمّل مسؤوليّتها. ومع أنّ القتل هو أشدّ سوءًا من السرقة، فالقيام بالسرقة شرّ على الإنسان مع أن يقع ضحيّة القتل. إذذاك، إن خُيِّر الإنسان بين رفض السرقة الذي يؤدّي به إلى الموت والموت، عليه أن يهرب من خطيئة يرتكبها وليس من خطيئة تُمارَس عليه، لأنّ هذه ليست خطيئة يتحمّل مسؤوليّتها لكونها ترتكَبُ بحقّه، ويمكنه أن يتحاشاها لو أراد وارتضاها شخصيًّا.

١٥ - العقدة في هذه المسألة تكمن في ما يلي: هل أنتَ مسؤول عن خطيئة غريبة عنك ترتكب بحقّك إن استطعتَ أن تتحاشاها بارتكابك خطيئة أقلّ خطورة ورفضتها، ولم يكن لك فيها أيّة قذارة جسديّة؟ وفي الواقع لا يستطيع إنسان أن يصبح نجسًا لأنّه قُتِل أو سجن أو قيّد بالسلاسل أو جُلد ثمّ ذاق جميع العذابات ضربًا وجلدًا ونفيًا، وجُرِّد من جميع ما يملك وأُنزِلت به الأحكام القضائيّة، ونُزعت عنه رتبه وتعرّض لأفظع الإهانات، وتحمّل جميع أنواع التجارب القاسية، ظلمًا وجورًا، أو حسبه واحدةً منها. أجل، لا أحد يستطيع أن يقول عنه إنّه دنس أو نجس. ولكن إن غرق بالأوساخ أو صُبَّت عليه من كلّ جهة، وسقوه إيّاها عنوة

ولا ذاك، لأنّي إن قلتُ إنّه كان عليه أن يختار هذا الاقتراح أو ذاك أُبدي موافقتي، بيد أنّي أرفض الاقتراحَيْن معًا. وإذا ما سئلتُ عن أيٍّ منهما كان عليه أن يتحاشاه، من بين الاثنين، إن فُرِض عليه واحد من اثنين، أجيبه عندئذٍ: عليه أن يتجنّب خطيئته وليس خطيئة الآخرين، لأنّنا إن حاولنا أن نتعمّق في درس الموضوع لجاهرنا، من دون أيّ تأخير، بأنّ القذارة هي أشدّ خطرًا على الإنسان من عبادة الأصنام، لأنّ الأولى هي من عمل الآخرين، أمّا الأخيرة فهي من صنعه، وإن يكن هو مَن يعاني منها لأنّ مَن يرتكب الخطيئة يتحمّل مسؤوليّتها. ومع أنّ القتل هو أشدّ سوءًا من السرقة، فالقيام بالسرقة شرّ على الإنسان مع أن يقع ضحيّة القتل. إذذاك، إن خُيِّر الإنسان بين رفض السرقة الذي يؤدّي به إلى الموت والموت، عليه أن يهرب من خطيئة يرتكبها وليس من خطيئة تُمارَس عليه، لأنّ هذه ليست خطيئة يتحمّل مسؤوليّتها لكونها ترتكَبُ بحقّه، ويمكنه أن يتحاشاها لو أراد وارتضاها شخصيًّا.

١٥ - العقدة في هذه المسألة تكمن في ما يلي: هل أنتَ مسؤول عن خطيئة غريبة عنك ترتكب بحقّك إن استطعتَ أن تتحاشاها بارتكابك خطيئة أقلّ خطورة ورفضتها، ولم يكن لك فيها أيّة قذارة جسديّة؟ وفي الواقع لا يستطيع إنسان أن يصبح نجسًا لأنّه قُتِل أو سجن أو قيّد بالسلاسل أو جُلد ثمّ ذاق جميع العذابات ضربًا وجلدًا ونفيًا، وجُرِّد من جميع ما يملك وأُنزِلت به الأحكام القضائيّة، ونُزعت عنه رتبه وتعرّض لأفظع الإهانات، وتحمّل جميع أنواع التجارب القاسية، ظلمًا وجورًا، أو حسبه واحدةً منها. أجل، لا أحد يستطيع أن يقول عنه إنّه دنس أو نجس. ولكن إن غرق بالأوساخ أو صُبَّت عليه من كلّ جهة، وسقوه إيّاها عنوة

يقول إنّ الكذب في ذلك المجال ممنوع؟ أمّا إن استطاع أن يتخفّى، بواسطة كذبة تمسّ سمعة إنسان آخر، وتلحق به التهمة القذرة التي يلاحَق الأوّل بسببها - مثلًا إن قيل لمَن يبحث عن حلّ ودلّ إلى إنسان بريء يجهل تمامًا ذلك النوع من الأفعال كقولك: إذهب إليه يقضِ لك حاجتك لأنّه يعرف جيّدًا تلك الفئة من الناس؛ نحوّله إلى تلك الفئة ونحوّله هكذا عن الغاية الأولى التي كان يسعى إليها - حينذاك، لست أدري إن كان من الضروريّ أن نلطّخ سمعة الواحد بكذبة لكي نجنّب تلطيخ جسد الآخر بشهوة. ولا يجوز القيام بكذبة تؤذي الواحد وتنفع الآخر، وإن كان الضرر أخفّ عليه من دون تلك الكذبة، إذ لا يحقّ لك أن تنتزع رغيفًا من إنسان ذي صحّة جيّدة، لتقوت به مَن هو أضعف منه. كما لا يحقّ لك أن تضرب إنسانًا بالعصا قهرًا، لتوفّر على إنسان آخر الموت قتلًا.

X - أن يعرف الإنسان أنّ شخصًا قد قبل أن تتلطّخ سمعته باتّهام باطل ومشين لكي يوفّر على شخص آخر تدنيس جسده بقذارة معيّنة فتلك لعمري قضيّة كبرى. ولستُ أدري كيف أنّ شخصًا يقبل أن يلطّخ سمعة إنسان آخر بتهمة كاذبة فيقبلها هذا ويرفضها الآخر قذارة حقيقيّة في جسده.

١٧ - إن خُيِّر إنسان بين ممارسة اللواط وتقديم الذبائح إلى الأصنام فاختار الأولى، معتمدًا على كذبة معيّنة، إذذاك يرتكب حماقةً وأكثر، لأنّه يجدّف بها على السيّد المسيح ويحتقره لكي يتهرّب من تلك العمليّة، لقاء كذبةٍ ما كان أغناه عنها. وإنّي لأقول أكثر من ذلك وأشدّد على ما يُرتكب من حماقة عندما يهرب من شهوة إنسان آخر خوفًا من أن يقع ضحيّة شهوة غريبة عنه، فيشوّه بمدائح كاذبة، إنجيل السيّد المسيح حين يُؤْثِر المحافظة على جسده

يقول إنّ الكذب في ذلك المجال ممنوع؟ أمّا إن استطاع أن يتخفّى، بواسطة كذبة تمسّ سمعة إنسان آخر، وتلحق به التهمة القذرة التي يلاحَق الأوّل بسببها - مثلًا إن قيل لمَن يبحث عن حلّ ودلّ إلى إنسان بريء يجهل تمامًا ذلك النوع من الأفعال كقولك: إذهب إليه يقضِ لك حاجتك لأنّه يعرف جيّدًا تلك الفئة من الناس؛ نحوّله إلى تلك الفئة ونحوّله هكذا عن الغاية الأولى التي كان يسعى إليها - حينذاك، لست أدري إن كان من الضروريّ أن نلطّخ سمعة الواحد بكذبة لكي نجنّب تلطيخ جسد الآخر بشهوة. ولا يجوز القيام بكذبة تؤذي الواحد وتنفع الآخر، وإن كان الضرر أخفّ عليه من دون تلك الكذبة، إذ لا يحقّ لك أن تنتزع رغيفًا من إنسان ذي صحّة جيّدة، لتقوت به مَن هو أضعف منه. كما لا يحقّ لك أن تضرب إنسانًا بالعصا قهرًا، لتوفّر على إنسان آخر الموت قتلًا.

X - أن يعرف الإنسان أنّ شخصًا قد قبل أن تتلطّخ سمعته باتّهام باطل ومشين لكي يوفّر على شخص آخر تدنيس جسده بقذارة معيّنة فتلك لعمري قضيّة كبرى. ولستُ أدري كيف أنّ شخصًا يقبل أن يلطّخ سمعة إنسان آخر بتهمة كاذبة فيقبلها هذا ويرفضها الآخر قذارة حقيقيّة في جسده.

١٧ - إن خُيِّر إنسان بين ممارسة اللواط وتقديم الذبائح إلى الأصنام فاختار الأولى، معتمدًا على كذبة معيّنة، إذذاك يرتكب حماقةً وأكثر، لأنّه يجدّف بها على السيّد المسيح ويحتقره لكي يتهرّب من تلك العمليّة، لقاء كذبةٍ ما كان أغناه عنها. وإنّي لأقول أكثر من ذلك وأشدّد على ما يُرتكب من حماقة عندما يهرب من شهوة إنسان آخر خوفًا من أن يقع ضحيّة شهوة غريبة عنه، فيشوّه بمدائح كاذبة، إنجيل السيّد المسيح حين يُؤْثِر المحافظة على جسده

الفئة من الناس جماعة تبغي استرضاء الناس بواسطة الكذب من دون أن يقصدوا الذمّ والأذيّة، (لقد سبق وصنّفنا على حِدَة مَن يتصرّفون بذاك الشكل) بل يريدون أن يكونوا مقبولين في أحاديثهم، وليسوا كالخدّاعين الذين يستطيبون الكذب ويأنسون بالازدواجيّة في أحاديثهم. بيد أنّ الآخرين يتوقون إلى أن يحظوا بالقبول، من خلال أحاديثهم الشائقة، حتّى إذا لم يوفّقوا إلى أن يكونوا كما يبتغون يؤثرون الكذب على الصمت، مع أنّه يصعب عليهم اختراع قصّة، للمناسبة، كاذبةٍ بكلّيّتها، فيضطرّون حينذاك إلى الخلط بين الصحيح والباطل إرضاءً للناس. إنّ هذين النوعين من الكذب لا يؤذيان مَن يأخذون بهما، لأنّهما لا يبغيان الغشّ، لا على الصعيد الدينيّ ولا على صعيد الحقيقة، ولا في ما يقدّمانه إلى الناس ويأذنان به. حسبهم الاعتقاد أنّ ما يقال لهم هو محتمل، مع المحافظة على ثقتهم بمصداقيّة ذلك الإنسان الذي يتحدّث إليهم بذاك الشكل. وفعلًا، هل من سوء في أن يعتقد الإنسان بأنّ جدّ ذلك الرجل أو أنّ أباه كانا رجُلَيْ خير وإن لم يكونا بسبب ما يُعتقد ويُظنّ بهما. أو إذا اعتقد، على سبيل المثال، أنّه قد ذهب في معاركه العسكريّة إلى بلاد الفرس وهو لم يكن قد خرج من روما؟ إنّ أمثال أولئك الكذّابين يؤذون نفوسهم: فالأوّلون ألحقوا الأذى بأنفسهم لأنّهم تاهوا عن الحقيقة راضين بازدواجيّتهم، والآخرون تضرّروا لأنّهم آثروا الإغراء على الحقيقة.

XII - ١٩ - بعد أن شجبنا، بلا أدنى تردّد، جميع أنواع الكذب التي ذكرناها آنفًا، بقي نوع واحد مختصّ بالذين يترقّون، درجةً درجة إلى الأفضل، ويُعتبرون بوجه عامّ ذوي إرادة صالحة، أهلًا لكلّ احترام. وهو ليس حين يكذب الإنسان فلا يؤذي أحدًا

الفئة من الناس جماعة تبغي استرضاء الناس بواسطة الكذب من دون أن يقصدوا الذمّ والأذيّة، (لقد سبق وصنّفنا على حِدَة مَن يتصرّفون بذاك الشكل) بل يريدون أن يكونوا مقبولين في أحاديثهم، وليسوا كالخدّاعين الذين يستطيبون الكذب ويأنسون بالازدواجيّة في أحاديثهم. بيد أنّ الآخرين يتوقون إلى أن يحظوا بالقبول، من خلال أحاديثهم الشائقة، حتّى إذا لم يوفّقوا إلى أن يكونوا كما يبتغون يؤثرون الكذب على الصمت، مع أنّه يصعب عليهم اختراع قصّة، للمناسبة، كاذبةٍ بكلّيّتها، فيضطرّون حينذاك إلى الخلط بين الصحيح والباطل إرضاءً للناس. إنّ هذين النوعين من الكذب لا يؤذيان مَن يأخذون بهما، لأنّهما لا يبغيان الغشّ، لا على الصعيد الدينيّ ولا على صعيد الحقيقة، ولا في ما يقدّمانه إلى الناس ويأذنان به. حسبهم الاعتقاد أنّ ما يقال لهم هو محتمل، مع المحافظة على ثقتهم بمصداقيّة ذلك الإنسان الذي يتحدّث إليهم بذاك الشكل. وفعلًا، هل من سوء في أن يعتقد الإنسان بأنّ جدّ ذلك الرجل أو أنّ أباه كانا رجُلَيْ خير وإن لم يكونا بسبب ما يُعتقد ويُظنّ بهما. أو إذا اعتقد، على سبيل المثال، أنّه قد ذهب في معاركه العسكريّة إلى بلاد الفرس وهو لم يكن قد خرج من روما؟ إنّ أمثال أولئك الكذّابين يؤذون نفوسهم: فالأوّلون ألحقوا الأذى بأنفسهم لأنّهم تاهوا عن الحقيقة راضين بازدواجيّتهم، والآخرون تضرّروا لأنّهم آثروا الإغراء على الحقيقة.

XII - ١٩ - بعد أن شجبنا، بلا أدنى تردّد، جميع أنواع الكذب التي ذكرناها آنفًا، بقي نوع واحد مختصّ بالذين يترقّون، درجةً درجة إلى الأفضل، ويُعتبرون بوجه عامّ ذوي إرادة صالحة، أهلًا لكلّ احترام. وهو ليس حين يكذب الإنسان فلا يؤذي أحدًا

يستثني بعض الأكاذيب التي لا تمسّ كرامة الإنسان، وقد تكون فيها فائدة لأناس آخرين، تستثنى منها تلك التي تخفي جرائم أو تحميها فتصبح الكذبة عارًا يُستحى منه، حتّى وإن لم تحمل أذًى لأحد، وتأتي بفائدة ملموسة لفقيرٍ، وتروح تخفي سرقة. ولكنّ تلك الكذبة إن لم تكن ضارّة ولا نافعة، ولا أخفت أو حمت خطيئة، فلن تكون شائنة، كما لو أنّ أحدهم خبّأ ماله أمامك ووضعه في مكان آمن لا يصل إليه نشّال أو سارق، ووجّهوا إليك سؤالًا بشأن ذلك المال ولم تقل حقيقة ما تعرف منه، إذذاك فلن تضرّ بجوابك أحدًا، بل تؤدّي خدمة لمَن كان بحاجة إلى أن يخبّئه، ولن تخطأ إذا أخفيت الحقيقة. وفي الواقع كلّ مَن يخفي مالًا له خوفًا من السرقة فلن يخطأ. ولكن إن كنّا في مثل تلك الحال، لم نخطأ لأنّنا لم نستر خطيئة لإنسان ولا ألحقنا ضررًا بآخر وقدّمنا خدمة إلى شخصٍ معيّن، فماذا نعمل إذًا بخطيئة الكذب؟ وحيث قيل في الوصيّة: «لا تسرق» قيل أيضًا: «لا تشهد شهادة زور» (**سفر الخروج ٢٠: ١٥-١٦**). إن أخذنا كلّ عمل من تلك الأعمال بمفرده، لكونه عملًا محرّمًا، فلِمَ إذًا نلام على شهادة الزور متى قيلت تغطيةً لخطيئة أو سترًا لسرقة، ولا نلام على أيّ شيء آخر، ولا تقلُّ السرقة فظاعةً عن سواها من الخطايا؟ هذا، إلّا إذا كان إخفاء الخطيئة ممنوعًا وارتكابها مسموحًا به؟

٢١ - إن كان ذلك غير منطقيّ فماذا نقول؟ ألا تكون الشهادة شهادة زور إلّا حين يكذب الإنسان ليتّهم إنسانًا آخر، أو ليُخفي جريمةً أو ليدّعي على آخر؟ من الواضح أنّ الشاهد ضروريّ فعلًا، لكي يتعرّف القاضي على الحقيقة. ولو أنّ **الكتاب المقدّس** كان متمسّكًا بهذا المعنى لكلمة «شاهد» لما قال الرسول: «لقد أصبحنا

يستثني بعض الأكاذيب التي لا تمسّ كرامة الإنسان، وقد تكون فيها فائدة لأناس آخرين، تستثنى منها تلك التي تخفي جرائم أو تحميها فتصبح الكذبة عارًا يُستحى منه، حتّى وإن لم تحمل أذًى لأحد، وتأتي بفائدة ملموسة لفقيرٍ، وتروح تخفي سرقة. ولكنّ تلك الكذبة إن لم تكن ضارّة ولا نافعة، ولا أخفت أو حمت خطيئة، فلن تكون شائنة، كما لو أنّ أحدهم خبّأ ماله أمامك ووضعه في مكان آمن لا يصل إليه نشّال أو سارق، ووجّهوا إليك سؤالًا بشأن ذلك المال ولم تقل حقيقة ما تعرف منه، إذذاك فلن تضرّ بجوابك أحدًا، بل تؤدّي خدمة لمَن كان بحاجة إلى أن يخبّئه، ولن تخطأ إذا أخفيت الحقيقة. وفي الواقع كلّ مَن يخفي مالًا له خوفًا من السرقة فلن يخطأ. ولكن إن كنّا في مثل تلك الحال، لم نخطأ لأنّنا لم نستر خطيئة لإنسان ولا ألحقنا ضررًا بآخر وقدّمنا خدمة إلى شخصٍ معيّن، فماذا نعمل إذًا بخطيئة الكذب؟ وحيث قيل في الوصيّة: «لا تسرق» قيل أيضًا: «لا تشهد شهادة زور» (**سفر الخروج ٢٠: ١٥-١٦**). إن أخذنا كلّ عمل من تلك الأعمال بمفرده، لكونه عملًا محرّمًا، فلِمَ إذًا نلام على شهادة الزور متى قيلت تغطيةً لخطيئة أو سترًا لسرقة، ولا نلام على أيّ شيء آخر، ولا تقلُّ السرقة فظاعةً عن سواها من الخطايا؟ هذا، إلّا إذا كان إخفاء الخطيئة ممنوعًا وارتكابها مسموحًا به؟

٢١ - إن كان ذلك غير منطقيّ فماذا نقول؟ ألا تكون الشهادة شهادة زور إلّا حين يكذب الإنسان ليتّهم إنسانًا آخر، أو ليُخفي جريمةً أو ليدّعي على آخر؟ من الواضح أنّ الشاهد ضروريّ فعلًا، لكي يتعرّف القاضي على الحقيقة. ولو أنّ **الكتاب المقدّس** كان متمسّكًا بهذا المعنى لكلمة «شاهد» لما قال الرسول: «لقد أصبحنا

ساقوك أمام القاضي فسألك عن المكان الذي يختبئ فيه ذلك المجرم، فهل لك أن تعلن عن المكان الذي تعرف أنّه يختبئ فيه بقولك: كلّا، إنّه لا يقيم فيه؟ أو هل لك أن تقول لست أدري ولا أعرف شيئًا عن كلّ ما أنت تعرف به وتراه بعينيك؟ إذًا، هل تشهد بالزور؟ وهل تقتل نفسك لتنجّي من الموت بالجواب الذي تعطيه؟ وهل تكذب حتّى تلتقي القاضي فتفضي إليه بالحقيقة الكاملة كي لا تكون شاهد زور؟ وبناءً عليه، فإنّ وشايتك سوف تجرّ عليه الموت، في حين أنّ **الكتاب المقدّس** يكره أيضًا الساعي والنمّام، إلّا إذا لم يكن ناقل الحقيقة إلى القاضي الذي يستجوبه نمّامًا؟ وهل يعتبر نمّامًا مَن يبعث عن وعي، وبملء حرّيّته، شخصًا إلى الموت؟ إن كنتَ تعرف المكان الذي يختبئ فيه إنسان بارّ وصدّيق، وجاء يسألك عنه قاضٍ تسلَّمَ أمرًا، من سلطة عالية، بأن يبعث به إلى الموت، ولم يكن المنفّذ هو الآمر، ألستَ ترتكب شهادة زور إن كذبت، خلاصًا لإنسان بريء من الموت، عندما لا يستجوبك القاضي، بل المنفّذ؟ وإن كان صاحب الأمر هو الذي يستجوبك شخصيًّا أو كان قاضٍ ظالم يسعى إلى إرسال بريء إلى الموت، فماذا تفعل؟ هل تشهد بالزور؟ هل أنتَ واشٍ ونمّام؟ وهل يعتبر نمّامًا مَن كشف بملء حرّيّته عن مجرمٍ يختبئ عن عين قاضٍ عادل؟ أوليس واشيًا ونمّامًا مَن أخفى عن عين قاضٍ ظالم يسأل عن مخبأ إنسان بريء يسعى إلى قتله بعد أن استسلم ذلك البريء إلى مَن يعتبره نزيهًا؟ وهل تشكّ وترتاب في أمر جريمتَيْن؟ بين شهادة زور ونميمة؟ إن لزمتَ الصمت أو صرّحت علنًا أنّك تلتزم الصمت، ألا تتجنّب حقًّا الجريمتَيْن؟ ولِمَ إذًا لا تعمل ذلك قبل أن تجيء إلى القاضي فتتجنّب شهادة الزور؟ إن لم تكذب تنجُ من شهادة الزور، سواء أشهادة زور كان كلّ كذبٍ أم

ساقوك أمام القاضي فسألك عن المكان الذي يختبئ فيه ذلك المجرم، فهل لك أن تعلن عن المكان الذي تعرف أنّه يختبئ فيه بقولك: كلّا، إنّه لا يقيم فيه؟ أو هل لك أن تقول لست أدري ولا أعرف شيئًا عن كلّ ما أنت تعرف به وتراه بعينيك؟ إذًا، هل تشهد بالزور؟ وهل تقتل نفسك لتنجّي من الموت بالجواب الذي تعطيه؟ وهل تكذب حتّى تلتقي القاضي فتفضي إليه بالحقيقة الكاملة كي لا تكون شاهد زور؟ وبناءً عليه، فإنّ وشايتك سوف تجرّ عليه الموت، في حين أنّ **الكتاب المقدّس** يكره أيضًا الساعي والنمّام، إلّا إذا لم يكن ناقل الحقيقة إلى القاضي الذي يستجوبه نمّامًا؟ وهل يعتبر نمّامًا مَن يبعث عن وعي، وبملء حرّيّته، شخصًا إلى الموت؟ إن كنتَ تعرف المكان الذي يختبئ فيه إنسان بارّ وصدّيق، وجاء يسألك عنه قاضٍ تسلَّمَ أمرًا، من سلطة عالية، بأن يبعث به إلى الموت، ولم يكن المنفّذ هو الآمر، ألستَ ترتكب شهادة زور إن كذبت، خلاصًا لإنسان بريء من الموت، عندما لا يستجوبك القاضي، بل المنفّذ؟ وإن كان صاحب الأمر هو الذي يستجوبك شخصيًّا أو كان قاضٍ ظالم يسعى إلى إرسال بريء إلى الموت، فماذا تفعل؟ هل تشهد بالزور؟ هل أنتَ واشٍ ونمّام؟ وهل يعتبر نمّامًا مَن كشف بملء حرّيّته عن مجرمٍ يختبئ عن عين قاضٍ عادل؟ أوليس واشيًا ونمّامًا مَن أخفى عن عين قاضٍ ظالم يسأل عن مخبأ إنسان بريء يسعى إلى قتله بعد أن استسلم ذلك البريء إلى مَن يعتبره نزيهًا؟ وهل تشكّ وترتاب في أمر جريمتَيْن؟ بين شهادة زور ونميمة؟ إن لزمتَ الصمت أو صرّحت علنًا أنّك تلتزم الصمت، ألا تتجنّب حقًّا الجريمتَيْن؟ ولِمَ إذًا لا تعمل ذلك قبل أن تجيء إلى القاضي فتتجنّب شهادة الزور؟ إن لم تكذب تنجُ من شهادة الزور، سواء أشهادة زور كان كلّ كذبٍ أم

الطاعة لإنسان آخر لا يُعدُّ قاتلًا. إنّي لأدرك الخوف الذي يستولي على أولئك الناس، مع التحفّظ بأنّ ذاك الذي رفض أن يكذب، وأبى أن يخبر عن المحلّ الذي كان يختبئ فيه ذلك الإنسان الذي تلاحقه العدالة، فهم فهمًا أفضل ما يعنيه **الكتاب المقدّس** وطبّقه بكثير من الشجاعة.

٢٤ - إنطلاقًا ممّا تقدّم يصل الإنسان أحيانًا إلى وضع مختلف، بحيث لا يسأل عن مخبأ الشخص المطلوب للعدالة، فلا نضطرّ إلى تسليمه من مكان لا يمكن اكتشافه فيه إلّا بوشاية، عندما نسأل عمّا إذا كان حقًّا في ذلك المكان. وعليه فإن التزمنا الصمت ولم نردّ على سؤالهم بالرغم من أنّنا عالمون بمكان وجوده، وأكّدنا الرفض عن الجواب مهما يكن السبب، نخون الشخص المطلوب لأنّ السائل يستنتج من خلال جوابنا أنّه هناك، وإلّا فمَن أراد ألّا يكذب ويخون وجب عليه أن يقول: «ليس مطلوبك هناك»، إذذاك ينخدع السائل من خلال جوابنا كما ينخدع بالصمت الذي نلتزمه، ويدخل المكان إن استطاع ويجده فيه. تلك المسألة يمكننا أن نتجنّبها بكذبة. أمّا إن كنتَ تجهل مكانه، فليس من سبب لإخفاء الحقيقة ويبقى عليك أن تقرّ بجهلك. أمّا إن كنتَ تعرف أنّه موجود هناك أم كنتَ تجهل مكان إقامته فلا يحقّ لك أن تقول: إنّي أرفض أن أجيبكم عن سؤالكم مع أنّي أعرف مكان وجوده، ولست مستعدًّا لأن أكشف لكم عنه.

وفي الواقع، إن رفضتَ أن تجيب عن السؤال عن مكان محدَّد، ثمّ أعلنت أنك ترفض الإخبار عن مكان ذلك الإنسان المطلوب، صرت كمَن يشير بإصبعه إلى المكان الذي يختبئ فيه، وتثير فعلًا شكوكًا واضحةً وصريحة. أمّا إن بدأت تقول إنّك عارفٌ

الطاعة لإنسان آخر لا يُعدُّ قاتلًا. إنّي لأدرك الخوف الذي يستولي على أولئك الناس، مع التحفّظ بأنّ ذاك الذي رفض أن يكذب، وأبى أن يخبر عن المحلّ الذي كان يختبئ فيه ذلك الإنسان الذي تلاحقه العدالة، فهم فهمًا أفضل ما يعنيه **الكتاب المقدّس** وطبّقه بكثير من الشجاعة.

٢٤ - إنطلاقًا ممّا تقدّم يصل الإنسان أحيانًا إلى وضع مختلف، بحيث لا يسأل عن مخبأ الشخص المطلوب للعدالة، فلا نضطرّ إلى تسليمه من مكان لا يمكن اكتشافه فيه إلّا بوشاية، عندما نسأل عمّا إذا كان حقًّا في ذلك المكان. وعليه فإن التزمنا الصمت ولم نردّ على سؤالهم بالرغم من أنّنا عالمون بمكان وجوده، وأكّدنا الرفض عن الجواب مهما يكن السبب، نخون الشخص المطلوب لأنّ السائل يستنتج من خلال جوابنا أنّه هناك، وإلّا فمَن أراد ألّا يكذب ويخون وجب عليه أن يقول: «ليس مطلوبك هناك»، إذذاك ينخدع السائل من خلال جوابنا كما ينخدع بالصمت الذي نلتزمه، ويدخل المكان إن استطاع ويجده فيه. تلك المسألة يمكننا أن نتجنّبها بكذبة. أمّا إن كنتَ تجهل مكانه، فليس من سبب لإخفاء الحقيقة ويبقى عليك أن تقرّ بجهلك. أمّا إن كنتَ تعرف أنّه موجود هناك أم كنتَ تجهل مكان إقامته فلا يحقّ لك أن تقول: إنّي أرفض أن أجيبكم عن سؤالكم مع أنّي أعرف مكان وجوده، ولست مستعدًّا لأن أكشف لكم عنه.

وفي الواقع، إن رفضتَ أن تجيب عن السؤال عن مكان محدَّد، ثمّ أعلنت أنك ترفض الإخبار عن مكان ذلك الإنسان المطلوب، صرت كمَن يشير بإصبعه إلى المكان الذي يختبئ فيه، وتثير فعلًا شكوكًا واضحةً وصريحة. أمّا إن بدأت تقول إنّك عارفٌ

الأخيران من الكذب يفسحان في المجال للنقاش. لقد أسهبنا في الحديث عنهما وأبدينا فيهما رأينا، استنادًا إلى ما يثيران من تضحيات - يجب أن نتحمّلها بكرامة وشجاعة - فإنّ الرجال والنساء الصادقين والشرفاء يتجنّبونهما. أمّا النوع الثامن من الكذب فلا يضرّ أحدًا، ومن منافعه أنّه يحمي من القذارات الجسديّة، حسب ما أشرنا إلى ذلك سابقًا. وفي الواقع إنّ الأكل بحسب معتقدات اليهود يُعتَبَر نجاسة إذا أُخِذ بأيدٍ غير مغسولة (**متّى ١٥: ٢٠، ٢**)، وإن رأى فيها اليهود نجاسة، فمع ذلك لا تفرض على الإنسان أن يتجنَّبها، وإلّا عُدَّ كاذبًا. فضلًا عن ذلك، إذا كان الكذب مؤذيًا لإنسان حتّى ولو كان مفيدًا لآخر، فَوَقاهُ نجاسةً يأنف منها الناس ويكرهونها، حتّى وإن كان اللجوء إلى هذا النوع من الكذب ضروريًّا ونتج منه ضرر ليس من نوع النجاسة، فتلك هي مشكلة ولم يعد الموضوع موضوع كذب، وقد أصبح من الواجب البحث عمّا إذا كان إلحاق الضرر بشخص، عن غير طريق الكذب، ضروريًّا، إبعادًا لخطر النجاسة عن شخص آخر. أنا لستُ من هذا الرأي وإن تسبَّب بأضرار خفيفة، كما بيّنتُ ذلك آنفًا، عندما تكلّمتُ على سرقة صاع الحنطة لأنّي أرى فيه السؤال المزعج التالي: هل يجوز إلحاق الضرر بشخص معيّن يحمي إنسانًا آخر من الوقوع في ما هو مشين ومذلّ؟ تلك هي مسألة مختلفة كما قلتُ عنها آنفًا.

وصايا إلهيّة تحرّم الكذب... تعاليم ومبادئ متّخذة من حياة القدّيسين - الوصيّة الإلهيّة تدعوك إلى أن تقدّم خدّك إلى مَن صفعك... الوصيّة تمنع الحلف على الإطلاق... وصيّة بعدم الاهتمام بالغد... وصيّة إلى الرسل بألّا يحملوا معهم شيئًا.

XV - علينا أن نستمرّ في الطريق الذي سلكناه... هل يجب

الأخيران من الكذب يفسحان في المجال للنقاش. لقد أسهبنا في الحديث عنهما وأبدينا فيهما رأينا، استنادًا إلى ما يثيران من تضحيات - يجب أن نتحمّلها بكرامة وشجاعة - فإنّ الرجال والنساء الصادقين والشرفاء يتجنّبونهما. أمّا النوع الثامن من الكذب فلا يضرّ أحدًا، ومن منافعه أنّه يحمي من القذارات الجسديّة، حسب ما أشرنا إلى ذلك سابقًا. وفي الواقع إنّ الأكل بحسب معتقدات اليهود يُعتَبَر نجاسة إذا أُخِذ بأيدٍ غير مغسولة (**متّى ١٥ : ٢٠، ٢**)، وإن رأى فيها اليهود نجاسة، فمع ذلك لا تفرض على الإنسان أن يتجنَّبها، وإلّا عُدَّ كاذبًا. فضلًا عن ذلك، إذا كان الكذب مؤذيًا لإنسان حتّى ولو كان مفيدًا لآخر، فَوَقاهُ نجاسةً يأنف منها الناس ويكرهونها، حتّى وإن كان اللجوء إلى هذا النوع من الكذب ضروريًّا ونتج منه ضرر ليس من نوع النجاسة، فتلك هي مشكلة ولم يعد الموضوع موضوع كذب، وقد أصبح من الواجب البحث عمّا إذا كان إلحاق الضرر بشخص، عن غير طريق الكذب، ضروريًّا، إبعادًا لخطر النجاسة عن شخص آخر. أنا لستُ من هذا الرأي وإن تسبَّب بأضرار خفيفة، كما بيّنتُ ذلك آنفًا، عندما تكلّمتُ على سرقة صاع الحنطة لأنّي أرى فيه السؤال المزعج التالي: هل يجوز إلحاق الضرر بشخص معيّن يحمي إنسانًا آخر من الوقوع في ما هو مشين ومذلّ؟ تلك هي مسألة مختلفة كما قلتُ عنها آنفًا.

وصايا إلهيّة تحرّم الكذب... تعاليم ومبادئ متّخذة من حياة القدّيسين - الوصيّة الإلهيّة تدعوك إلى أن تقدّم خدّك إلى مَن صفعك... الوصيّة تمنع الحلف على الإطلاق... وصيّة بعدم الاهتمام بالغد... وصيّة إلى الرسل بألّا يحملوا معهم شيئًا.

XV - علينا أن نستمرّ في الطريق الذي سلكناه... هل يجب

هي الأحداث التي نجدها ولا تلتقي بتلك القاعدة، ولا تسمح لنا إلّا بأن نربطها بهذا المعنى الرمزيّ أو ذاك؟ (**١ قور ١٠ : ١-١١**).

بعد أن نستثني ما سبق وذكرناه، فإنّ أعمال القدّيسين الواردة في **العهد الجديد**، تعتبر بمثابة أمثلة حيّة موزّعة في الكتب المقدّسة لكي يفهمها المؤمنون ويعملوا بموجبها.

٢٧ - إنطلاقًا ممّا تقدّم عرضه حينما نقرأ في الإنجيل «إن صفعوك على خدّك الأيمن حوّل الآخر» (**متّى ٥ : ٣٩**) نجد أنفسنا أمام مثل لا أقوى ولا أروع في الصبر، يقدّمه إلينا الربّ يسوع الذي لم يعطِ الخدَّ الآخر حين صُفِعَ، بل قال: «إن كنتُ قد أسأتُ الكلام فاشرحه لي، ولكن إن كنتُ قد أحسنتُ فلماذا تضربني؟» (**يوحنّا ١٨ : ٢٣**). يظهر من خلال ذلك أنّ تقديم الخدّ الآخر ينطلق من القلب، وهذا موقف عرفه جيّدًا بولس الرسول الذي لم يقل حين صُفع أمام رئيس الكهنة: «إصفع على الخدّ الآخر» بل «أنتَ سوف يضربك الله أيّها الحائط المبيّض» (**أعمال الرسل ٢٣ : ٣**). أتكون جالسًا لتحكم في أمري بمقتضى الناموس، وتأمر بأن أُضرب بخلاف الناموس؟ لأنّه كان يعلم، حقًّا، أنّ محكمة اليهود التي تلطّخَ داخلها بأقذار الشهوة البهيميّة لم يعد برّاقًا إلّا في الظاهر وفي الخارج. وكان يرى بالروح، وهو يتلفّظ بتلك الكلمات، زوال تلك المحكمة، بنقمةِ الله عليها، مع أنّه كان مستعدًّا باطنيًّا لأن يتحمّل، ليس صفعات أخرى وحسب، بل كلّ العذابات وأيضًا حبًّا بالحقيقة.

٢٨ - ولقد جاء في **الكتاب** أيضًا: «وأنا أقول لكم ألّا تحلفوا ألبتّة»، والرسول قد حلف شخصيًّا في رسائله (**رومية ٩ : ١؛ فيليبّي**

هي الأحداث التي نجدها ولا تلتقي بتلك القاعدة، ولا تسمح لنا إلّا بأن نربطها بهذا المعنى الرمزيّ أو ذاك؟ (**١ قور ١٠ : ١-١١**).

بعد أن نستثني ما سبق وذكرناه، فإنّ أعمال القدّيسين الواردة في **العهد الجديد**، تعتبر بمثابة أمثلة حيّة موزّعة في الكتب المقدّسة لكي يفهمها المؤمنون ويعملوا بموجبها.

٢٧ - إنطلاقًا ممّا تقدّم عرضه حينما نقرأ في الإنجيل «إن صفعوك على خدّك الأيمن حوّل الآخر» (**متّى ٥ : ٣٩**) نجد أنفسنا أمام مثل لا أقوى ولا أروع في الصبر، يقدّمه إلينا الربّ يسوع الذي لم يعطِ الخدَّ الآخر حين صُفِعَ، بل قال: «إن كنتُ قد أسأتُ الكلام فاشرحه لي، ولكن إن كنتُ قد أحسنتُ فلماذا تضربني؟» (**يوحنّا ١٨ : ٢٣**). يظهر من خلال ذلك أنّ تقديم الخدّ الآخر ينطلق من القلب، وهذا موقف عرفه جيّدًا بولس الرسول الذي لم يقل حين صُفع أمام رئيس الكهنة: «إصفع على الخدّ الآخر» بل «أنتَ سوف يضربك الله أيّها الحائط المبيّض» (**أعمال الرسل ٢٣ : ٣**). أتكون جالسًا لتحكم في أمري بمقتضى الناموس، وتأمر بأن أُضرب بخلاف الناموس؟ لأنّه كان يعلم، حقًّا، أنّ محكمة اليهود التي تلطّخَ داخلها بأقذار الشهوة البهيميّة لم يعد برّاقًا إلّا في الظاهر وفي الخارج. وكان يرى بالروح، وهو يتلفّظ بتلك الكلمات، زوال تلك المحكمة، بنقمةِ الله عليها، مع أنّه كان مستعدًّا باطنيًّا لأن يتحمّل، ليس صفعات أخرى وحسب، بل كلّ العذابات وأيضًا حبًّا بالحقيقة.

٢٨ - ولقد جاء في **الكتاب** أيضًا: «وأنا أقول لكم ألّا تحلفوا ألبتّة»، والرسول قد حلف شخصيًّا في رسائله (**رومية ٩ : ١؛ فيليبّي**

فيها أو عن خوف كما لو كنّا نقوم به مضطرّين مع حاجات البؤس الضروريّة.

٣٠ - وكذلك فقد قيل للرسل ألّا يحملوا معهم شيئًا في السفر (**لوقا ١٠ : ٤-٧**) وأن يعيشوا الإنجيل. وفي مقطع آخر يشرح لهم الربّ يسوع بقوله: «الفاعل يستحقّ أجرته» (**متّى ١٠ : ١٠**) مبيّنًا أنّ ذاك مسموح به، وغير مفروض، لكي يتحاشى الرسول، في أثناء قيامه برسالة البشارة بالكلمة، الاعتقاد أنّه يتجاوز المحرَّمات بقبوله، ممَّن يبشّرهم، الضروريّ، قيامًا لحياته العاديّة. وإنّ بولس الرسول يفسّر ذلك الكلام السيديّ بطريقة لائقة قائلًا: «ليشارك الذي يعلّم الكلمة معلّمَه في جميع الخيرات» (**غلاطية ٦ : ٦**) ويبيّن له، في محلّ آخر، أنّ ذلك هو عملٌ خلاصيّ للذين يقبلون البشارة، بقوله أيضًا: «على أنّي في ما يختصّ بي لم أفِد من هذا الحقّ» (**١ قور ٩ : ١٢**). وهكذا فإنّنا نرى أنّ الربّ منحه ذلك الحقّ، ولم يفرضه عليه، ولا أمره به. إنّ معظم المقاطع الكتابيّة التي لم نتوصّل إلى فهمها حرفيًّا نجد وسيلة لفهمها في أعمال القدّيسين. واستنادًا إلى ذلك، فإنّنا نتحاشى تفسيرًا مضادًّا لمعانيها الأصليّة قد نقع فيه لو لم يكن المثل موجّهًا إلينا.

الفم المزدوج: فم الكلمة وفم القلب. عن أيٍّ منهما قيل: الفم الذي يكذب؟ يذكر الإنجيل فم القلب الذي به يتعايب الإنسان «se dénigre» بثلاثة معانٍ للكذب (**الحكمة ٧ : ١٣**).

XVI - ٣١ - أيّ فم يعني **الكتاب** بقوله: «أمّا الفم الذي يكذب فإنّه يقتل النفس»؟ وفعلًا، حين يتكلّم **الكتاب المقدّس** على الفم، فإنّه غالبًا، يعني القلب، ذاك الوعاء الذي فيه يتقرّر ويتحدّد ما

فيها أو عن خوف كما لو كنّا نقوم به مضطرّين مع حاجات البؤس الضروريّة.

٣٠ - وكذلك فقد قيل للرسل ألّا يحملوا معهم شيئًا في السفر (**لوقا ١٠ : ٤-٧**) وأن يعيشوا الإنجيل. وفي مقطع آخر يشرح لهم الربّ يسوع بقوله: «الفاعل يستحقّ أجرته» (**متّى ١٠ : ١٠**) مبيّنًا أنّ ذاك مسموح به، وغير مفروض، لكي يتحاشى الرسول، في أثناء قيامه برسالة البشارة بالكلمة، الاعتقاد أنّه يتجاوز المحرَّمات بقبوله، ممَّن يبشّرهم، الضروريّ، قيامًا لحياته العاديّة. وإنّ بولس الرسول يفسّر ذلك الكلام السيديّ بطريقة لائقة قائلًا: «ليشارك الذي يعلّم الكلمة معلّمَه في جميع الخيرات» (**غلاطية ٦ : ٦**) ويبيّن له، في محلّ آخر، أنّ ذلك هو عملٌ خلاصيّ للذين يقبلون البشارة، بقوله أيضًا: «على أنّي في ما يختصّ بي لم أفِد من هذا الحقّ» (**١ قور ٩ : ١٢**). وهكذا فإنّنا نرى أنّ الربّ منحه ذلك الحقّ، ولم يفرضه عليه، ولا أمره به. إنّ معظم المقاطع الكتابيّة التي لم نتوصّل إلى فهمها حرفيًّا نجد وسيلة لفهمها في أعمال القدّيسين. واستنادًا إلى ذلك، فإنّنا نتحاشى تفسيرًا مضادًّا لمعانيها الأصليّة قد نقع فيه لو لم يكن المثل موجّهًا إلينا.

الفم المزدوج: فم الكلمة وفم القلب. عن أيٍّ منهما قيل: الفم الذي يكذب؟ يذكر الإنجيل فم القلب الذي به يتعايب الإنسان «se dénigre» بثلاثة معانٍ للكذب (**الحكمة ٧ : ١٣**).

XVI - ٣١ - أيّ فم يعني **الكتاب** بقوله: «أمّا الفم الذي يكذب فإنّه يقتل النفس»؟ وفعلًا، حين يتكلّم **الكتاب المقدّس** على الفم، فإنّه غالبًا، يعني القلب، ذاك الوعاء الذي فيه يتقرّر ويتحدّد ما

ناطق بسوء، ولا ينجو من القضاء المفحِم. لكن سيفحص عن أفكار المنافق، وكلّ ما سمع من أقواله يبلغ الربّ فيُحكم على آثامه لأنّ الأذن الغيرى تسمع كلّ شيء، وصياح المتذمّرين لا يخفى عليها. فاحترزوا من التذمّر الذي لا خير فيه وكفّوا ألسنتكم عن الثلب، فإنّ المنطوق به في الخفية لا يذهب سدى، والفم الكاذب يقتل النفس» (**الحكمة ١ : ٦-١١**). إنّ في النصّ تهديدًا صريحًا للذين يظنّون أنّ ما يفكّرون فيه ويعيشونه سرًّا في قلوبهم يبقى طيَّ الكتمان. و**الكتاب المقدّس** أراد أن يبيّن أنّ ما سبق ذكره واضح جدًّا على مسامع الله حتّى إنّه قد سمّاه «بلبلة».

٣٢ - إنّنا لنجد أيضًا بوضوح في الإنجيل هذا التعبير «فم القلب»، حيث يتكلّم الله في الوقت عينه على فم الجسد وفم القلب قائلًا: «أحتّى الآن أنتم بغير فهم؟ أما تفهمون أنّ كلّ ما يدخل الفم ينزل إلى الجوف ويدفع إلى المخرج؟ وأمّا الذي يخرج من الفم فمن القلب يصدر وهو الذي ينجّس الإنسان، لأنّها من القلب تخرج الأفكار الرديئة كالقتل والزنى والفجور والسرقة وشهادة الزور والتجديف هذه هي التي تنجّس الإنسان» (**متّى ١٥ : ١٦-٢٠**). إن رأى الإنسان هنا فمًا واحدًا هو فم الجسد فكيف له أن يفهم: «إنّ الذي يخرج من الفم فمن القلب يصدر، في حين يتقيّأ الإنسان ويبصق من الفم؟ إلّا إذا أكل الإنسان شيئًا دنِسًا ولم يتنجّس. ويتدنّس أيضًا عندما يتقيّأ». إن كان ذلك كلّه غيرَ معقول فلن يبقى لنا إلّا أن نقول إنّ الله يعني فم القلب بكلامه: «أمّا ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر». إذذاك، عمليًّا يمكن أن تتمّ السرقة (هذا شيء عاديّ) في صمت الصوت وفم الجسد. ومن الحماقة وعي ذاك التعبير، وكأنّ الإنسان يتنجّس بخطيئة السرقة إذا أقرّ بها أو أعلن

ناطق بسوء، ولا ينجو من القضاء المفحِم. لكن سيفحص عن أفكار المنافق، وكلّ ما سمع من أقواله يبلغ الربّ فيُحكم على آثامه لأنّ الأذن الغيرى تسمع كلّ شيء، وصياح المتذمّرين لا يخفى عليها. فاحترزوا من التذمّر الذي لا خير فيه وكفّوا ألسنتكم عن الثلب، فإنّ المنطوق به في الخفية لا يذهب سدى، والفم الكاذب يقتل النفس» (**الحكمة ١ : ٦-١١**). إنّ في النصّ تهديدًا صريحًا للذين يظنّون أنّ ما يفكّرون فيه ويعيشونه سرًّا في قلوبهم يبقى طيَّ الكتمان. و**الكتاب المقدّس** أراد أن يبيّن أنّ ما سبق ذكره واضح جدًّا على مسامع الله حتّى إنّه قد سمّاه «بلبلة».

٣٢ - إنّنا لنجد أيضًا بوضوح في الإنجيل هذا التعبير «فم القلب»، حيث يتكلّم الله في الوقت عينه على فم الجسد وفم القلب قائلًا: «أحتّى الآن أنتم بغير فهم؟ أما تفهمون أنّ كلّ ما يدخل الفم ينزل إلى الجوف ويدفع إلى المخرج؟ وأمّا الذي يخرج من الفم فمن القلب يصدر وهو الذي ينجّس الإنسان، لأنّها من القلب تخرج الأفكار الرديئة كالقتل والزنى والفجور والسرقة وشهادة الزور والتجديف هذه هي التي تنجّس الإنسان» (**متّى ١٥ : ١٦-٢٠**). إن رأى الإنسان هنا فمًا واحدًا هو فم الجسد فكيف له أن يفهم: «إنّ الذي يخرج من الفم فمن القلب يصدر، في حين يتقيّأ الإنسان ويبصق من الفم؟ إلّا إذا أكل الإنسان شيئًا دنِسًا ولم يتنجّس. ويتدنّس أيضًا عندما يتقيّأ». إن كان ذلك كلّه غيرَ معقول فلن يبقى لنا إلّا أن نقول إنّ الله يعني فم القلب بكلامه: «أمّا ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر». إذذاك، عمليًّا يمكن أن تتمّ السرقة (هذا شيء عاديّ) في صمت الصوت وفم الجسد. ومن الحماقة وعي ذاك التعبير، وكأنّ الإنسان يتنجّس بخطيئة السرقة إذا أقرّ بها أو أعلن

على أنّ هناك نوعًا من التصرّفات التي يُسمح فيها بالكذب، كالذي مثلًا: «لا تصمِّم على أن تضع ثقتك بكلّ شخص تلتقيه». وهذا لا يعني أنّه عليك ألّا تثق بأحد، بل يعني بألّا تضع ثقتك بأيّ إنسان كان، بل عليك أن تثق ببعض الناس وليس بهم جميعًا. أمّا العبارة التالية: «ولن يكون خير في تكراره». فهي لا تعني تحريم الكذب، بل يقصد بها تكراره، أي أن يتعوّد الإنسان الكذب ويحبّه حتّى يصل حتمًا إلى الأخذ بأنّه يحقّ لكلّ امرئ أن يستعلم أيّ نوع كان من الكذب (لا ينتبه مثلًا إلى خصوصيّة العقيدة الدينيّة والإيمان، فيصعب عليه أن يجد في الأمر كذبًا أو خطأً وهو شرّ الأمور)، أو أن يستسلم بسهولة إلى هذا النوع أو ذاك من الكذب البسيط الخالي من الأذى، فيروح يكذب، رغمًا عنه، وهروبًا من شرّ أعظم، بل يكذب بملء حرّيّته وكامل عقله. ولذلك، وانطلاقًا ممّا تقدّم عرضه، نرى ثلاثة أمور في العبارة التالية: «إمتنع عن ابتغاء الكذب». إنّ الإنسان يستطيع أن يكذب، رغمًا عنه، حين يُفرض عليه الهروب من شرّ أفظع، أو القول: «إمتنع عن الكذب أيًّا يكن الكذب...» ما خلا أنواعًا معدودة من الكذب، فأنواع الكذب الأخرى مسموح بها. إنّ الذين لا يروقهم الكذب أبدًا يجدون شرحًا لموقفهم يتمسّكون به. أمّا الذين يعتبرون أنّ الكذب مقبولٌ فيقدّمون لموقفهم تفسيرَيْن يستندون إليهما، دفاعًا عن رأيهم، في السماح بالكذب. لكنّني لست أدري إن كان تكراره يؤدّي بهم إلى الخير، مسايرةً للموقف الأوّل، إلّا إذا كانت الوصيّة الموجّهة إلى الكاملين تأمرهم بألّا يكذبوا، وألّا يصمّموا على الكذب، وأن يكون ترداد الكذب مسموحًا به لمَن لا يزالون على تقدّم، كما لو أنّ تحريم الكذب تحريمًا باتًّا وتحريم العزم عليه يضادّهما في الكذب أمثلة

على أنّ هناك نوعًا من التصرّفات التي يُسمح فيها بالكذب، كالذي مثلًا: «لا تصمِّم على أن تضع ثقتك بكلّ شخص تلتقيه». وهذا لا يعني أنّه عليك ألّا تثق بأحد، بل يعني بألّا تضع ثقتك بأيّ إنسان كان، بل عليك أن تثق ببعض الناس وليس بهم جميعًا. أمّا العبارة التالية: «ولن يكون خير في تكراره». فهي لا تعني تحريم الكذب، بل يقصد بها تكراره، أي أن يتعوّد الإنسان الكذب ويحبّه حتّى يصل حتمًا إلى الأخذ بأنّه يحقّ لكلّ امرئ أن يستعلم أيّ نوع كان من الكذب (لا ينتبه مثلًا إلى خصوصيّة العقيدة الدينيّة والإيمان، فيصعب عليه أن يجد في الأمر كذبًا أو خطأً وهو شرّ الأمور)، أو أن يستسلم بسهولة إلى هذا النوع أو ذاك من الكذب البسيط الخالي من الأذى، فيروح يكذب، رغمًا عنه، وهروبًا من شرّ أعظم، بل يكذب بملء حرّيّته وكامل عقله. ولذلك، وانطلاقًا ممّا تقدّم عرضه، نرى ثلاثة أمور في العبارة التالية: «إمتنع عن ابتغاء الكذب». إنّ الإنسان يستطيع أن يكذب، رغمًا عنه، حين يُفرض عليه الهروب من شرّ أفظع، أو القول: «إمتنع عن الكذب أيًّا يكن الكذب...» ما خلا أنواعًا معدودة من الكذب، فأنواع الكذب الأخرى مسموح بها. إنّ الذين لا يروقهم الكذب أبدًا يجدون شرحًا لموقفهم يتمسّكون به. أمّا الذين يعتبرون أنّ الكذب مقبولٌ فيقدّمون لموقفهم تفسيرَيْن يستندون إليهما، دفاعًا عن رأيهم، في السماح بالكذب. لكنّني لست أدري إن كان تكراره يؤدّي بهم إلى الخير، مسايرةً للموقف الأوّل، إلّا إذا كانت الوصيّة الموجّهة إلى الكاملين تأمرهم بألّا يكذبوا، وألّا يصمّموا على الكذب، وأن يكون ترداد الكذب مسموحًا به لمَن لا يزالون على تقدّم، كما لو أنّ تحريم الكذب تحريمًا باتًّا وتحريم العزم عليه يضادّهما في الكذب أمثلة

الذي يعمل الحقّ فإنّه يُقبل إلى النور لكي يظهر أعماله لأنّها مصنوعة في الله» (**يوحنّا ٣: ٢١**). وسوف تهلك ليس مَن يعملون كلّ ما تبغضه وحسب، بل الذين ينطقون أيضًا بالكذب ملتمسين برًّا كاذبًا، رافضين الإقرار بخطاياهم والاعتراف بها.

٣٦ - أمّا في ما يختصّ بشهادة الزور الوارد الكلام عليها في الوصايا العشر، فإنّنا لا نستطيع، بأيّ شكل من الأشكال، الاحتفاظ في قلبنا، بحبّ الحقيقة من جهة، ومن جهةٍ أخرى، الإدلاء بالخطأ إلى مَن نطالب بالشهادة له. عندما يتوجّه الإنسان إلى الله، عليه أن يعانق الحقيقة في قلبه، أمّا عندما يتوجّه إلى الإنسان، فعليه أن ينطق بالحقيقة بفم الجسد، لأنّ الإنسان لا يستطيع أن يقرأ ما في القلب. أمّا الشهادة فيجب أن يعرف مَن يشهد لها وبها الإنسان الذي يجب عليه أن يشهد أمامهم. وفي الحقيقة لسنا مضطرّين إلى أن نشهد أمام مَن نتحدّث إليهم، بل أمام مَن تفيدهم معرفة الحقيقة منّا، أو أمام مَن يثبتون فيها، والذين يجب علينا أن نقولها لهم، مثلًا كالقاضي الذي عليه أن يعرفها ليتجنّب الخطأ في الأحكام التي يصدرها، وأمام مَن نثقّفهم في الأمور الدينيّة ليتحاشوا الأخطاء في إيمانهم والشكّ في السلطة التعليميّة. وعندما يطرح إنسان سؤالًا عليك قاصدًا أن يعرف منك ما لا شأن له فيه ولا فائدة له من معرفته، إذذاك لا يكون باحثًا عن شاهد له بالحقيقة، بل عن واشٍ ونمّام يسأل. وإن لم يقل له الحقيقة فأنتَ لا تُعتبر شاهد زور، إذا كذبت عليه، بل يدخل كلامك في خانة الكذب.

كيف نفهم مقطعًا آخر من **الكتاب المقدّس**؟ ما توصّلنا إلى اكتشافه حتّى الآن بفضل النقاش السابق المبنيّ على النظريّتين... إنّ الاستناد في النقاش إلى الرغبات والعادات يؤدّي إلى ضلال

الذي يعمل الحقّ فإنّه يُقبل إلى النور لكي يظهر أعماله لأنّها مصنوعة في الله» (**يوحنّا ٣: ٢١**). وسوف تهلك ليس مَن يعملون كلّ ما تبغضه وحسب، بل الذين ينطقون أيضًا بالكذب ملتمسين برًّا كاذبًا، رافضين الإقرار بخطاياهم والاعتراف بها.

٣٦ - أمّا في ما يختصّ بشهادة الزور الوارد الكلام عليها في الوصايا العشر، فإنّنا لا نستطيع، بأيّ شكل من الأشكال، الاحتفاظ في قلبنا، بحبّ الحقيقة من جهة، ومن جهةٍ أخرى، الإدلاء بالخطأ إلى مَن نطالب بالشهادة له. عندما يتوجّه الإنسان إلى الله، عليه أن يعانق الحقيقة في قلبه، أمّا عندما يتوجّه إلى الإنسان، فعليه أن ينطق بالحقيقة بفم الجسد، لأنّ الإنسان لا يستطيع أن يقرأ ما في القلب. أمّا الشهادة فيجب أن يعرف مَن يشهد لها وبها الإنسان الذي يجب عليه أن يشهد أمامهم. وفي الحقيقة لسنا مضطرّين إلى أن نشهد أمام مَن نتحدّث إليهم، بل أمام مَن تفيدهم معرفة الحقيقة منّا، أو أمام مَن يثبتون فيها، والذين يجب علينا أن نقولها لهم، مثلًا كالقاضي الذي عليه أن يعرفها ليتجنّب الخطأ في الأحكام التي يصدرها، وأمام مَن نثقّفهم في الأمور الدينيّة ليتحاشوا الأخطاء في إيمانهم والشكّ في السلطة التعليميّة. وعندما يطرح إنسان سؤالًا عليك قاصدًا أن يعرف منك ما لا شأن له فيه ولا فائدة له من معرفته، إذذاك لا يكون باحثًا عن شاهد له بالحقيقة، بل عن واشٍ ونمّام يسأل. وإن لم يقل له الحقيقة فأنتَ لا تُعتبر شاهد زور، إذا كذبت عليه، بل يدخل كلامك في خانة الكذب.

كيف نفهم مقطعًا آخر من **الكتاب المقدّس**؟ ما توصّلنا إلى اكتشافه حتّى الآن بفضل النقاش السابق المبنيّ على النظريّتين... إنّ الاستناد في النقاش إلى الرغبات والعادات يؤدّي إلى ضلال

تدخل في العبارة التالية: «ولا خطأ يخرج من فمه». لكن سوف يقول إنسان آخر إنّه يجب أن نفهم تلك الكلمة كما فهم الرسول بولس كلمة الربّ القائلة: «وأنا أقول لكم ألّا تحلفوا ألبتّة» (**متّى ٥: ٣٤**) وهو كلام يشمل كلّ حَلْف، كلّ ما يصدر عن فم القلب، عن إرادة واعية، وليس عن ضعف الآخر الذي يمنعه ظاهريًّا من القبول به، وإن لم يكن مقترنًا بالقَسَم. وذاك يصدر أيضًا عنّا، نحن الذين لا نزال نلبس جلود ميتوتتنا، فلا نقدر أن نفصح عمّا في قلبنا. ولو كنّا قادرين على الإفصاح، كلّ مرّة، عمّا في قلبنا لما كنّا بحاجة إلى الحَلْف.

مع ذلك لو كانت العبارة، موضوع تأمّلنا، والقائلة: «وإذ يقبل الابن الكلمة، يبتعد كثيرًا عن الهلاك» ترتبط بالحقيقة الخالدة التي بها كلّ شيء وتبقى ثابتة ولا تتغيّر، ضروريّة، كما هي العقيدة الدينيّة ضروريّة، للسير بالناس إليها، إذذاك يمكننا أن نفكّر في أنّ العبارة «ولا خطأ يخرج من فمه»، تعني أنّ لا غلط يقال في نطاق العقيدة الدينيّة. وبما أنّه لا يستطيع تصحيح ذاك النوع من الكذب فقد أصبح، من الضروريّ، تجنّبه قبل كلّ شيء. وإلّا، إن كان من غير المعقول اعتبار كلّ خطأ سبيلًا حتميًّا، يدفع بقائله إلى الكذب، بجميع أنواعه، فإنّ الذين يجب أن يُستعمل الكذب في المناسبة معهم، سوف يدّعون أنّ عبارة «من فمه» توجّه إلى فم القلب.

٣٨ - ممّا لا شكّ فيه أنّ لهذا النقاش وجهَيْن: منهم مَن يؤكّد أنّ الكذب ممنوع منعًا باتًّا، ويقدّم شهادات إلهيّة إثباتًا لما يقول، ومنهم مَن يخالفهم الرأي فيروح يبحث في متن الشهادات الإلهيّة عن مكان للكذب. لكن لا أحد يستطيع أن يقول إنّه وجد، في الأمثلة، أو في نصّ **الكتاب المقدّس** بالذات، ما يشير إلى أنّ

تدخل في العبارة التالية: «ولا خطأ يخرج من فمه». لكن سوف يقول إنسان آخر إنّه يجب أن نفهم تلك الكلمة كما فهم الرسول بولس كلمة الربّ القائلة: «وأنا أقول لكم ألّا تحلفوا ألبتّة» (**متّى ٥: ٣٤**) وهو كلام يشمل كلّ حَلْف، كلّ ما يصدر عن فم القلب، عن إرادة واعية، وليس عن ضعف الآخر الذي يمنعه ظاهريًّا من القبول به، وإن لم يكن مقترنًا بالقَسَم. وذاك يصدر أيضًا عنّا، نحن الذين لا نزال نلبس جلود ميتوتتنا، فلا نقدر أن نفصح عمّا في قلبنا. ولو كنّا قادرين على الإفصاح، كلّ مرّة، عمّا في قلبنا لما كنّا بحاجة إلى الحَلْف.

مع ذلك لو كانت العبارة، موضوع تأمّلنا، والقائلة: «وإذ يقبل الابن الكلمة، يبتعد كثيرًا عن الهلاك» ترتبط بالحقيقة الخالدة التي بها كلّ شيء وتبقى ثابتة ولا تتغيّر، ضروريّة، كما هي العقيدة الدينيّة ضروريّة، للسير بالناس إليها، إذذاك يمكننا أن نفكّر في أنّ العبارة «ولا خطأ يخرج من فمه»، تعني أنّ لا غلط يقال في نطاق العقيدة الدينيّة. وبما أنّه لا يستطيع تصحيح ذاك النوع من الكذب فقد أصبح، من الضروريّ، تجنّبه قبل كلّ شيء. وإلّا، إن كان من غير المعقول اعتبار كلّ خطأ سبيلًا حتميًّا، يدفع بقائله إلى الكذب، بجميع أنواعه، فإنّ الذين يجب أن يُستعمل الكذب في المناسبة معهم، سوف يدّعون أنّ عبارة «من فمه» توجّه إلى فم القلب.

٣٨ - ممّا لا شكّ فيه أنّ لهذا النقاش وجهَيْن: منهم مَن يؤكّد أنّ الكذب ممنوع منعًا باتًّا، ويقدّم شهادات إلهيّة إثباتًا لما يقول، ومنهم مَن يخالفهم الرأي فيروح يبحث في متن الشهادات الإلهيّة عن مكان للكذب. لكن لا أحد يستطيع أن يقول إنّه وجد، في الأمثلة، أو في نصّ **الكتاب المقدّس** بالذات، ما يشير إلى أنّ

٣٩ - إنّ كلّ تلك الخطايا التي تضرّ بالناس في كلّ ما لديهم من خيور الحياة الحاضرة، كما تلك التي بها يتدنّسون شخصيًّا، لا تلحق الضرر بالإنسان، رغمًا عنه. إنّها وإن بدت بمجملها كأنّها تحمل منفعة أو تقدّم لذّة مرتبطة بهذه الحياة الزمنيّة (لا أحد يأتيها ويعملها لغاية أخرى)، بل تضايق الناس على طريق الحياة الأبديّة وتعرقل مسيرتهم بوسائل متعدّدة، منها ما يزعج مرتكبيها ومنها ما يزعج الذين تُرتكب في حقّهم. وفي الواقع عندما يسلبنا الأشرار خيرات نحتفظ بها للحياة الحاضرة فإنّهم وحدهم يخطأون، ويبتعدون عن الحياة الأبديّة لدى ارتكاب الجرم من دون الذين يُرتكب ضدّهم، وإن وافقوا على ذلك تفاديًا لشرٍّ أفظع قد يلحقه بهم أولئك الأشرار. في تلك الحال لا ذنب عليهم، بل في الأولى أتوا عملًا جريئًا ولائقًا، وفي الثانية كان الموقف مفيدًا، ولا لوم عليهم في ما فعلوه. إنّ ما يستطيع الإنسان أن يحفظه من كيد الأشرار المهاجمين من أجل أسباب نقيّة ودينيّة ترخص في سبيلها كلّ تضحية، ولو استلزم القيام بها أخطاء، غير ذات قيمة، لا تؤذي أحدًا متى توافرت الظروف وصار الوضع ممكنًا. إن قام إنسان بعمل ما تحاشيًا لشرّ أعظم، فلا يُعدّ عمله خطيئة، كمَن يضحّي بشيء مادّيّ غير ذي قيمة، صونًا لأمور ماليّة وصحّيّة ذات أهمّيّة، ولا نستطيع أن نعتبر خطأً في الأشياء المكرّسة، يرتّب مسؤوليّة على مَن يقوم به إن كان قد أتاه تجنّبًا للأفظع منه. أمّا إن كان حديثٌ عن ضررٍ ناتج من خسارةٍ، تجنّبًا لخسارة أعظم، فيجب أن تسمّى تلك الغلطة خطيئة، من دون أن يشكّ إنسان بأنّ ارتكابها كان ملزمًا بخسارة صغرى تفاديًا للكبرى.

(ثلاثة يجب المحافظة عليها صونًا للطهارة: جسم عفيف،

٣٩ - إنّ كلّ تلك الخطايا التي تضرّ بالناس في كلّ ما لديهم من خيور الحياة الحاضرة، كما تلك التي بها يتدنّسون شخصيًّا، لا تلحق الضرر بالإنسان، رغمًا عنه. إنّها وإن بدت بمجملها كأنّها تحمل منفعة أو تقدّم لذّة مرتبطة بهذه الحياة الزمنيّة (لا أحد يأتيها ويعملها لغاية أخرى)، بل تضايق الناس على طريق الحياة الأبديّة وتعرقل مسيرتهم بوسائل متعدّدة، منها ما يزعج مرتكبيها ومنها ما يزعج الذين تُرتكب في حقّهم. وفي الواقع عندما يسلبنا الأشرار خيرات نحتفظ بها للحياة الحاضرة فإنّهم وحدهم يخطأون، ويبتعدون عن الحياة الأبديّة لدى ارتكاب الجرم من دون الذين يُرتكب ضدّهم، وإن وافقوا على ذلك تفاديًا لشرٍّ أفظع قد يلحقه بهم أولئك الأشرار. في تلك الحال لا ذنب عليهم، بل في الأولى أتوا عملًا جريئًا ولائقًا، وفي الثانية كان الموقف مفيدًا، ولا لوم عليهم في ما فعلوه. إنّ ما يستطيع الإنسان أن يحفظه من كيد الأشرار المهاجمين من أجل أسباب نقيّة ودينيّة ترخص في سبيلها كلّ تضحية، ولو استلزم القيام بها أخطاء، غير ذات قيمة، لا تؤذي أحدًا متى توافرت الظروف وصار الوضع ممكنًا. إن قام إنسان بعمل ما تحاشيًا لشرّ أعظم، فلا يُعدّ عمله خطيئة، كمَن يضحّي بشيء مادّيّ غير ذي قيمة، صونًا لأمور ماليّة وصحّيّة ذات أهمّيّة، ولا نستطيع أن نعتبر خطأً في الأشياء المكرّسة، يرتّب مسؤوليّة على مَن يقوم به إن كان قد أتاه تجنّبًا للأفظع منه. أمّا إن كان حديثٌ عن ضررٍ ناتج من خسارةٍ، تجنّبًا لخسارة أعظم، فيجب أن تسمّى تلك الغلطة خطيئة، من دون أن يشكّ إنسان بأنّ ارتكابها كان ملزمًا بخسارة صغرى تفاديًا للكبرى.

(ثلاثة يجب المحافظة عليها صونًا للطهارة: جسم عفيف،

لا يسمح بالوصول إليها، وبالمكوث فيها، بشكل مطلق، والاتّحاد بها اتّحادًا تامًّا، إلّا «بعد أن يلبس هذا الكائن الفاسد عدم الفساد، وهذا المائت عدم الموت» (**١ قور ١٥ : ٥٣**). ولكن كما أنّ كلّ تقوى في هذه الحياة ممارسةٌ نتوق من خلالها إلى تلك الحقيقة التي توجّه إليها تلك العقيدة المذكورة، وتعمل على إدخال الحقيقة في كلمات الناس والعلامات الطبيعيّة للأسرار، وجب علينا، قبل كلّ شيء، أن نحفظ الحقيقة من الفساد الذي يتسرّب إليها من خلال الكذب، بحيث تصبح قادرة على أن تصلح ما يمكن أن يفسد في العقل السليم. أمّا إذا دبَّ الفساد في سلطة العقيدة فقد يصبح من المستحيل وجود أو استعادة سلامة العقل.

XX - ٤١ - (الكذب ممنوع في سبيل المحافظة على الطهارة الجسديّة).

إستنادًا إلى كلّ ما سبق وذكرناه، نستطيع أن نكوّن الفكرة التي بموجبها قد يصبح مقبولًا الكذب الذي لا يمسّ العقيدة الدينيّة والتقوى والبرارة وحسن الإرادة، إن كان يقصد منه الحفاظ على طهارة الجسد. ومع ذلك، إن كان أحد الناس يقدّم، كشيء حقيقيّ، حقيقة يجب أن تحبّ ليس بالعين المجرَّدة وحسب، بل وفي العمل أيضًا وفي كلّ شيء أنّى كان موجودًا، وآل على نفسه ألّا يتلفّظ بفم الجسد، بخلاف ما يفكّر فيه فيؤثر جمال الصدق الحقيقيّ ليس على الذهب والفضّة والجواهر وأعزّ ما لديه من خيور وحسب، بل وأيضًا على الحياة الزمنيّة وعلى جميع خيرات الجسد، فلست أدري إن وُجد مَن يُؤهّل لأنّ يقول ذلك عن خطأ وضلال. وإن حُقَّ لذلك الإنسان أن يؤثر تلك الحقيقة على ما يملك من خيرات خاصّة به، أو أن يثمّنها بأغلى ممّا هي عليه، حُقَّ له أيضًا أن يؤثرها على ما يملك سواه من

لا يسمح بالوصول إليها، وبالمكوث فيها، بشكل مطلق، والاتّحاد بها اتّحادًا تامًّا، إلّا «بعد أن يلبس هذا الكائن الفاسد عدم الفساد، وهذا المائت عدم الموت» (**١ قور ١٥ : ٥٣**). ولكن كما أنّ كلّ تقوى في هذه الحياة ممارسةٌ نتوق من خلالها إلى تلك الحقيقة التي توجّه إليها تلك العقيدة المذكورة، وتعمل على إدخال الحقيقة في كلمات الناس والعلامات الطبيعيّة للأسرار، وجب علينا، قبل كلّ شيء، أن نحفظ الحقيقة من الفساد الذي يتسرّب إليها من خلال الكذب، بحيث تصبح قادرة على أن تصلح ما يمكن أن يفسد في العقل السليم. أمّا إذا دبَّ الفساد في سلطة العقيدة فقد يصبح من المستحيل وجود أو استعادة سلامة العقل.

XX - ٤١ - (الكذب ممنوع في سبيل المحافظة على الطهارة الجسديّة).

إستنادًا إلى كلّ ما سبق وذكرناه، نستطيع أن نكوّن الفكرة التي بموجبها قد يصبح مقبولًا الكذب الذي لا يمسّ العقيدة الدينيّة والتقوى والبرارة وحسن الإرادة، إن كان يقصد منه الحفاظ على طهارة الجسد. ومع ذلك، إن كان أحد الناس يقدّم، كشيء حقيقيّ، حقيقة يجب أن تحبّ ليس بالعين المجرَّدة وحسب، بل وفي العمل أيضًا وفي كلّ شيء أنّى كان موجودًا، وآل على نفسه ألّا يتلفّظ بفم الجسد، بخلاف ما يفكّر فيه فيؤثر جمال الصدق الحقيقيّ ليس على الذهب والفضّة والجواهر وأعزّ ما لديه من خيور وحسب، بل وأيضًا على الحياة الزمنيّة وعلى جميع خيرات الجسد، فلست أدري إن وُجد مَن يُؤهّل لأنّ يقول ذلك عن خطأ وضلال. وإن حُقَّ لذلك الإنسان أن يؤثر تلك الحقيقة على ما يملك من خيرات خاصّة به، أو أن يثمّنها بأغلى ممّا هي عليه، حُقَّ له أيضًا أن يؤثرها على ما يملك سواه من

ورعايتهما بواسطة أخلاق نقيّة وسلوك لا عيب فيه، تحاشيًا لاغتصاب محتمل. وعندما تكون حماية الاثنين معًا أمرًا مستحيلًا، فمَن ذا الذي لا يرى منذئذ كيف يجب الاختيار؟ وبأيّ منهما تجب التضحية؟ هل الفكر يُضحّى به في سبيل الجسم العفيف أم هذا الأخير في سبيل عقل سليم؟ وأيّ شيء يجب أن نتحاشاه في الخطيئة؟ هل القبول بفعل الآخر هو المسموح به آنذاك أم القيام به شخصيًّا؟

النتيجة: لا يجوز للإنسان أن يرتكب أيًّا من أنواع الكذب الثمانية: المدافعون عن الكذب يخطأون.

XXI - ٤٢ - يظهر بوضوح بعد كلّ تلك المناقشات والدروس أنّ كلّ ما جاء في الكتب المقدّسة من شهادات تعلّم شيئًا واحدًا، وهو أنّ الكذب محرّم أيًّا تكن الظروف، لأنّنا لم نجد فيها مثلًا واحدًا في الكذب أهلًا لأن يُتّخذ مثالًا وقدوة في أخلاق القدّيسين وأعمالهم في تلك الأجزاء من الكتب، حيث لا ذكر ألبتّة لأيّ تعبير أو معنى رمزيّ. وعندما يقول الرسول: «لقد صرتُ كلًّا للكلّ لأخلّص الكلّ» **(١ قور ٩: ٢٢)** ندرك جيّدًا أنّه لم يعمل بواسطة الكذب بل بالحسنى عَمِل، باذلًا في سبيل ذلك محبّةً عظمى، كأنّه يشارك الكلّ في آلامهم التي يسعى جاهدًا إلى أن يحرّرهم منها.

ومن كلّ ما تقدّم ذكره نستنتج أنّ الكذب في نطاق العقيدة الدينيّة ممنوع منعًا باتًّا. إنّه إثم كبير، ومن الأكاذيب الأساسيّة الأشدّ كراهية. والكذب الذي يأتي في المرتبة الثانية ممقوت هو أيضًا. وهي حال النوع الثالث من الكذب، إذ لا يجوز لنا أن نهين إنسانًا من أجل مساعدة إنسان آخر. وكذلك هو النوع الرابع من

ورعايتهما بواسطة أخلاق نقيّة وسلوك لا عيب فيه، تحاشيًا لاغتصاب محتمل. وعندما تكون حماية الاثنين معًا أمرًا مستحيلًا، فمَن ذا الذي لا يرى منذئذ كيف يجب الاختيار؟ وبأيّ منهما تجب التضحية؟ هل الفكر يُضحّى به في سبيل الجسم العفيف أم هذا الأخير في سبيل عقل سليم؟ وأيّ شيء يجب أن نتحاشاه في الخطيئة؟ هل القبول بفعل الآخر هو المسموح به آنذاك أم القيام به شخصيًّا؟

النتيجة: لا يجوز للإنسان أن يرتكب أيًّا من أنواع الكذب الثمانية: المدافعون عن الكذب يخطأون.

XXI - ٤٢ - يظهر بوضوح بعد كلّ تلك المناقشات والدروس أنّ كلّ ما جاء في الكتب المقدّسة من شهادات تعلّم شيئًا واحدًا، وهو أنّ الكذب محرّم أيًّا تكن الظروف، لأنّنا لم نجد فيها مثلًا واحدًا في الكذب أهلًا لأن يُتّخذ مثالًا وقدوة في أخلاق القدّيسين وأعمالهم في تلك الأجزاء من الكتب، حيث لا ذكر ألبتّة لأيّ تعبير أو معنى رمزيّ. وعندما يقول الرسول: «لقد صرتُ كلًّا للكلّ لأخلّص الكلّ» **(١ قور ٩: ٢٢)** ندرك جيّدًا أنّه لم يعمل بواسطة الكذب بل بالحسنى عَمِل، باذلًا في سبيل ذلك محبّةً عظمى، كأنّه يشارك الكلّ في آلامهم التي يسعى جاهدًا إلى أن يحرّرهم منها.

ومن كلّ ما تقدّم ذكره نستنتج أنّ الكذب في نطاق العقيدة الدينيّة ممنوع منعًا باتًّا. إنّه إثم كبير، ومن الأكاذيب الأساسيّة الأشدّ كراهية. والكذب الذي يأتي في المرتبة الثانية ممقوت هو أيضًا. وهي حال النوع الثالث من الكذب، إذ لا يجوز لنا أن نهين إنسانًا من أجل مساعدة إنسان آخر. وكذلك هو النوع الرابع من

خطيئةً، ينخدع بشكل فظيع ظنًّا أنّه يخدع الآخرين من دون أن يُتّهم بسوء النيّة.

٤٣ - ذلك هو العمى الذي طغى على عقول الناس بحيث أصبح قليلًا القول فيهم إنّ بعض الأكاذيب ليست خطايا، وكان يجب أن يقولوا إنّ في الأمر خطيئة حيث نرفض أن نرى كذبًا. وفي دفاعهم عن الكذب راحوا يقولون إنّ بولس الرسول لجأ إلى النوع الأوّل من الكذب، وهذا شرُّ الأكاذيب قاطبة. وفي الواقع إنّهم ليرون في رسالته إلى **أهل غلاطية** المكتوبة كسائر الرسائل، تعليمًا للدين والتقوى، كذبةً في المقطع الأوّل منها، حيث يقول عن بطرس وبرنابا: «فلمّا رأيتُ أنّهم يسيرون سيرًا مستقيمًا إلى حقّ الإنجيل» (**غلاطية ٢: ١٤**)، ولمّا أرادوا أن يجنّبوا بطرس الغلط والطريق السيّئ الذي سقط فيه، قاموا بانقلاب على طريق الديانة حيث الخلاص المشترك، وذلك بالتقليل من سلطان الكتب المقدّسة والقضاء عليها نهائيًّا، من دون أن يروا أنّهم بذلك يتّهمون الرسول ليس بالكذب وحسب، بل باعتماد الحِنْث في تعليم الديانة بالذات، أي في الرسالة حيث يبشّر بالإنجيل، لأنّه يقول قبل ذاك الخبر تمامًا وفي موضوع سابق: «وما أنا كاتبٌ به إليكم، هاءنذا أمام الله لستُ أكذب فيه» (**غلاطية ١: ٢٠**). لنضع حدًّا هنا لهذا النقاش الذي توسّعنا فيه، وحيث لن نجد فكرة أو صلاة نتوخّاها أفضل من كلمات الرسول التالية: «لكنَّ الله أمينٌ لا يدعكم تجرّبون فوق طاقتكم، بل يجعل لكم مع التجربة مخرجًا لتستطيعوا أن تحتملوا» (**١ قور ١٠: ١٣**).

خطيئةً، ينخدع بشكل فظيع ظنًّا أنّه يخدع الآخرين من دون أن يُتّهم بسوء النيّة.

٤٣ - ذلك هو العمى الذي طغى على عقول الناس بحيث أصبح قليلًا القول فيهم إنّ بعض الأكاذيب ليست خطايا، وكان يجب أن يقولوا إنّ في الأمر خطيئة حيث نرفض أن نرى كذبًا. وفي دفاعهم عن الكذب راحوا يقولون إنّ بولس الرسول لجأ إلى النوع الأوّل من الكذب، وهذا شرُّ الأكاذيب قاطبة. وفي الواقع إنّهم ليرون في رسالته إلى **أهل غلاطية** المكتوبة كسائر الرسائل، تعليمًا للدين والتقوى، كذبةً في المقطع الأوّل منها، حيث يقول عن بطرس وبرنابا: «فلمّا رأيتُ أنّهم يسيرون سيرًا مستقيمًا إلى حقّ الإنجيل» **(غلاطية ٢: ١٤)**، ولمّا أرادوا أن يجنّبوا بطرس الغلط والطريق السيّئ الذي سقط فيه، قاموا بانقلاب على طريق الديانة حيث الخلاص المشترك، وذلك بالتقليل من سلطان الكتب المقدّسة والقضاء عليها نهائيًّا، من دون أن يروا أنّهم بذلك يتّهمون الرسول ليس بالكذب وحسب، بل باعتماد الحِنْث في تعليم الديانة بالذات، أي في الرسالة حيث يبشّر بالإنجيل، لأنّه يقول قبل ذاك الخبر تمامًا وفي موضوع سابق: «وما أنا كاتبٌ به إليكم، هاءنذا أمام الله لستُ أكذب فيه» **(غلاطية ١: ٢٠)**. لنضع حدًّا هنا لهذا النقاش الذي توسَّعنا فيه، وحيث لن نجد فكرة أو صلاة نتوخّاها أفضل من كلمات الرسول التالية: «لكنَّ الله أمينٌ لا يدعكم تجرّبون فوق طاقتكم، بل يجعل لكم مع التجربة مخرجًا لتستطيعوا أن تحتملوا» **(١ قور ١٠: ١٣)**.

فهرس المحتويات

كلمة المترجم ٥

تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحيّ ٧

المقدّمة ٩

١ - مناسبة الكتاب ٩

٢ - الرغبة في الخدمة ٩

٣ - ملاحظات أوّليّة ١٠

٤ - فرح المعلّم بعطائه ضروريّ لنجاحه ١١

تصميم الجزء الأوّل ١٣

الجزء الأوّل: **الأسلوب العقيديّ في التعليم الدينيّ** ١٥

القسم الأوّل: **في إخراج القصّة** ١٧

٥ - يجب أن تشمل القصّة أهمّ الأحداث في التاريخ الدينيّ . ١٧

٦ - من الضروريّ شرح الأحداث بالمحبّة ١٨

٧ - المحبّة هي السبب الحتميّ لمجيء المسيح ١٩

٨ - الكتب المقدّسة دليل محبّة اللهِ الإنسانَ ٢١

٩ - فعّاليّة القصّة منوطةٌ باستعدادات السامع ٢٢

١٠ - يجب أن نُغني القصّة المَرْويّة علميًّا، ونغذّيها بما
في الكتاب المقدّس ٢٤

فهرس المحتويات

كلمة المترجم ٥

تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحيّ ٧

المقدّمة ٩

١ - مناسبة الكتاب ٩

٢ - الرغبة في الخدمة ٩

٣ - ملاحظات أوّليّة ١٠

٤ - فرح المعلّم بعطائه ضروريّ لنجاحه ١١

تصميم الجزء الأوّل ١٣

الجزء الأوّل: **الأسلوب العقيديّ في التعليم الدينيّ** ١٥

القسم الأوّل: **في إخراج القصّة** ١٧

٥ - يجب أن تشمل القصّة أهمّ الأحداث في التاريخ الدينيّ . ١٧

٦ - من الضروريّ شرح الأحداث بالمحبّة ١٨

٧ - المحبّة هي السبب الحتميّ لمجيء المسيح ١٩

٨ - الكتب المقدّسة دليل محبّة اللهِ الإنسانَ ٢١

٩ - فعّاليّة القصّة منوطةٌ باستعدادات السامع ٢٢

١٠ - يجب أن نُغني القصّة المَرْويّة علميًّا، ونغذّيها بما
في الكتاب المقدّس ٢٤

٢٧ - النفي إلى مصر ٦١
٢٨ - إعلان الشريعة ٦٢
٢٩ - أرض الميعاد ٦٣
٣٠ - أسر بابل ٦٤
٣١ - إنتظار المخلّص ٦٦
عصور العالم الخمسة الأوائل ٦٧
العصر السادس ٦٧
٣٢ - نشر الإنجيل ٦٨
المسيح ٦٨
٣٣ - الصعود - العنصرة والشريعة الجديدة ٦٩
٣٤ - إهتداء اليهود ٧٠
٣٥ - إهتداء الوثنيّين ٧١
٣٦ - إنتشار الكنيسة ٧٢
٣٧ - الدينونة الأخيرة ٧٢
٣٨ - قيامة الأجسام ٧٣
٣٩ - السعادة الأبديّة ٧٤
إرشاد أخير للطالب ٧٥
تدريب المبتدئين ٧٧
القسم الثاني: **نموذج لخطاب مُختَصَر** ٧٩
٤٠ - ظروف الخطاب ٧٩
٤١ - موجز الديانة المسيحيّة ٧٩
٤٢ - إتمام النبوءات ٨٠

٢٧ - النفي إلى مصر ٦١
٢٨ - إعلان الشريعة ٦٢
٢٩ - أرض الميعاد ٦٣
٣٠ - أسر بابل ٦٤
٣١ - إنتظار المخلّص ٦٦
عصور العالم الخمسة الأوائل ٦٧
العصر السادس ٦٧
٣٢ - نشر الإنجيل ٦٨
المسيح ٦٨
٣٣ - الصعود - العنصرة والشريعة الجديدة ٦٩
٣٤ - إهتداء اليهود ٧٠
٣٥ - إهتداء الوثنيّين ٧١
٣٦ - إنتشار الكنيسة ٧٢
٣٧ - الدينونة الأخيرة ٧٢
٣٨ - قيامة الأجسام ٧٣
٣٩ - السعادة الأبديّة ٧٤
إرشاد أخير للطالب ٧٥
تدريب المبتدئين ٧٧
القسم الثاني: **نموذج لخطاب مُختَصَر** ٧٩
٤٠ - ظروف الخطاب ٧٩
٤١ - موجز الديانة المسيحيّة ٧٩
٤٢ - إتمام النبوءات ٨٠

هل الشقيّ هو بالضرورة في حاجة؟ ١١٠
حوار اليوم الثالث والأخير: عودة إلى السؤال الأخير ١١٠
ليس من تطابق بين الفاقة والبؤس ١١١
سعادة العاقل ترتكز على موقف له معيَّن من الأمور المادّيّة .. ١١٢
العودة إلى حالة أوراتا: الحماقة هي كالفاقة. التشابه بين
الشقاء والفاقة الروحيّة ١١٥
البحث عن لفظة عوضًا عن كلمة فاقة ١١٧
البحث عن معناه ١١٨
خلاصة الحوار ١٢٠
تأويل التحاليل السابقة رمزيًّا ١٢٠
في الكذب ١٢٣
توطئة ١٢٥
I-١- مناقشة الموضوع صعبة ١٢٧
II-٢- ليس المزاحُ كذبًا ١٢٨
III-٣- ما هو الكذب؟ هل كلّ مَن يريد أن يغشّ يُعتبر
كذّابًا؟ ١٢٨
IV-٤- هل الكذب مفيد أو مسموح به أحيانًا؟ ١٢٩
٥- متى يكون الكذب نافعًا ومفيدًا ١٣٣
أنواع الكذب الثمانية ١٥٨
«المعاني الثلاثة للمزمور الخامس من الآية ٧: كيف نفهم
الوصيّة التي تحرّم شهادة الزور؟» ١٦٦

هل الشقيّ هو بالضرورة في حاجة؟ ١١٠
حوار اليوم الثالث والأخير: عودة إلى السؤال الأخير ١١٠
ليس من تطابق بين الفاقة والبؤس ١١١
سعادة العاقل ترتكز على موقف له معيَّن من الأمور المادّيّة .. ١١٢
العودة إلى حالة أوراتا: الحماقة هي كالفاقة. التشابه بين
الشقاء والفاقة الروحيّة ١١٥
البحث عن لفظة عوضًا عن كلمة فاقة ١١٧
البحث عن معناه ١١٨
خلاصة الحوار ١٢٠
تأويل التحاليل السابقة رمزيًّا ١٢٠
في الكذب ١٢٣
توطئة ١٢٥
I-١- مناقشة الموضوع صعبة ١٢٧
II-٢- ليس المزاحُ كذبًا ١٢٨
III-٣- ما هو الكذب؟ هل كلّ مَن يريد أن يغشّ يُعتبر
كذّابًا؟ ١٢٨
IV-٤- هل الكذب مفيد أو مسموح به أحيانًا؟ ١٢٩
٥- متى يكون الكذب نافعًا ومفيدًا ١٣٣
أنواع الكذب الثمانية ١٥٨
«المعاني الثلاثة للمزمور الخامس من الآية ٧: كيف نفهم
الوصيّة التي تحرّم شهادة الزور؟» ١٦٦

الصفّ والإخراج : شركة الطّبع والنّشر اللّبنانيّة
(خليل الديك وأولاده)

الطباعة : مطبعة أيس ديزاين أند برنتنغ سنتر

١٤٣٠-٢-١٥/٨/٢٠٠٧

الصفّ والإخراج : شركة الطّبع والنّشر اللّبنانيّة
(خليل الديك وأولاده)

الطباعة : مطبعة أيس ديزاين أند برنتنغ سنتر

٢٠٠٧/٨/١٥-٢-١٤٣٠